اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال
تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية
اللجنة التربوية

المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام

الجزء الثالث

المفاهيم التربوية
في
أسـر الأنبيـاء

عليهم السلام

الجـزء الثالث

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

٧ ، ٢١٠ المفـاهيـم الـتربويـة فـي أسـر الأنبيـــاء عليهم السـلام/ الديوان الأميري .

اللجنة التربوية . اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام

الشريعة الإسلامية . - ط ١ - الكويت : اللجنة ، ٢٠٠٥

ج٣ (٣٣٤ ص) ؛ ١٧×٢٤سم

١ - المفاهيم التربوية . ٢ - أسر الأنبياء عليهم السلام.

٣ - وصايا الأنبياء .

أ - اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية . الكويت (ناشر) .

رقم الإيداع : Depository Number: 2006 / 00214

ردمك : ISBN : 99906 - 33 - 30 - 4

(set), : 99906 - 33 - 41 -x (v 3)

الطبعـــة الأولـى

1427 هـ - 2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
فهرس الجزء الثالث	٥
محتويات الجزء الثاني	١٩
محتويات الجزء الأول	٢٩
شكر وتقدير	٣٧
تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الأول)	٣٩
تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثاني)	٤٣
تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)	٥٥
مقدمة	٥٩
الباب التاسع : سيدنا زكريا وسيدنا يحيى عليهما السلام	٦٣
تمهيد	٦٥
المبحث الأول : طلب سيدنا زكريا عليه السلام الولد من الله سبحانه	٦٧
تذلل سيدنا زكريا وشكواه في طلب الولد	٧١
الهدف من طلب الولد	٧٢
المبحث الثاني : البشارة بسيدنا يحيى عليه السلام وبصفاته	٧٥

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
صفات سيدنا يحيى عليه السلام التي بشر الله عز وجل بها والده :	٧٩
١ – أنه سيكون مؤمناً كما يريده أبوه	٧٩
٢ – ومصدقاً	٧٩
٣ – وسيكون عليه السلام سيداً	٨٠
٤ – وحصوراً	٨١
٥ – ونبياً من الصالحين	٨١
موقف سيدنا زكريا عليه السلام من البشارة	٨١
آية تدل على تحقق البشرى لسيدنا زكريا عليه السلام	٨٣
المبحث الثالث : ولادة سيدنا يحيى عليه السلام ونعم الله عليه	٨٥
نعم الله عز وجل على سيدنا يحيى عليه السلام :	٨٧
١ – أعطاه الله الحكم صبياً	٨٧
٢ – والحنان	٨٨
٣ – وآتاه الله زكاة	٨٨
٤ – وكان تقياً	٨٨
٥ – وبراً بوالديه	٨٨
٦ – ولم يكن جباراً عصياً	٨٩

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
المبحث الرابع : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا زكريا وسيدنا يحيى عليهما السلام	٩١
المفهوم الأول : حب الذرية فطرة بشرية لكن المؤمن يدعو الله أن تكون صالحة	٩٣
المفهوم الثاني : الأنبياء عليهم السلام قدوتنا في التحلي بآداب الدعاء	٩٥
المفهوم الثالث : لاطريق لليأس إلى قلب المؤمن	٩٦
المفهوم الرابع : في كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة ، والذكر عبودية القلب واللسان في كل حال	٩٧
الباب العاشر : سيدنا عيسى عليه السلام وأمه السيدة مريم	١٠١
تمهيد	١٠٣
المبحث الأول : حمل السيدة مريم بسيدنا عيسى عليه السلام وولادتها له	١٠٥
موقف قومها من هذا الوليد	١٠٩
نبوة سيدنا عيسى عليه السلام	١١٠
خوارق العادات في حمل السيدة مريم بسيدنا عيسى عليه السلام وفي كلامه	١١١

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
المبحث الثاني : ما بشرت به السيدة مريم عن خصوصيات سيدنا عيسى عليه السلام	١١٣
أولاً : أنه بكلمـــة من الله	١١٥
ثانياً : اسمه المسيح عيسى بن مريم	١١٦
ثالثاً : وجيهـاً في الدنيا	١١٦
رابعاً : وهو وجيه في الآخرة	١١٦
خامساً : ومن المقربين	١١٦
سادساً : ويكلم الناس في المهد وكهلاً	١١٦
سابعاً : ومن الصالحين	١١٧
ثامناً : ويعلمه الكتاب والحكمة	١١٧
تاسعاً : ورسولاً إلى بني إسرائيل	١١٧
المبحث الثالث : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا عيسى عليه السلام وأمه	١٢١
المفهوم الأول : التوحيد والإخلاص هما الصورة المثلى للتحرر من العبودية لغير الله	١٢٣
المفهوم الثاني : على الآباء أن يختاروا لأبنائهم الأسماء الحسنة التي تدعو إلى التفاؤل	١٢٤

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
المفهوم الثالث : على ا لآباء أن يلجأوا إلى الله لدفع شر الشيطان عن أبنائهم ويعوّذوهم بالمعوّذات الشرعية	١٢٦
المفهوم الرابع : العناية بالأطفال منذ الصغر تكون باختيار المربين الصالحين والقرناء الطاهرين	١٢٧
المفهوم الخامس : السيدة مريم رضوان الله عليها النموذج والقدوة للنساء العابدات الطاهرات	١٢٨
المفهوم السادس : إن البيوت إذا تسلسل فيها الصلاح أحاطها الله بعنايته وخصها بإكرامه	١٢٩
المفهوم السابع : من انقطع إلى الله كفاه ، ومن أخذ بالأسباب المشروعة يسرها له الله	١٣٠
الباب الحادي عشر : لقمان الحكيم	١٣٣
تمهيد	١٣٥
هل كان لقمان نبياً؟	١٣٦
حكمة لقمان	١٣٧
المبحث الأول : مواعظ لقمان الحكيم لابنه	١٣٩
الموعظة الأولى : الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك	١٤٣
الموعظة الثانية : علم الله المحيط بدقائق الأمور	١٤٦

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
الموعظة الثالثة : الأمر بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٤٩
الموعظة الرابعة : الأمر بالتواضع ولين الجانب مع الناس	١٥١
الموعظة الخامسة : مراعاة الأدب في المشي والحديث	١٥٣
المبحث الثاني : التربية بالموعظة الحسنة وأهميتها وأساليبها	١٥٥
كلمة حول التربية بالموعظة	١٥٧
أساليب التربية بالموعظة	١٥٧
١ – النداء الإقناعي	١٥٧
٢ – الأسلوب القصصي المصحوب بالعبرة والموعظة .	١٥٧
٣ – انتهاج أسلوب الحوار والاستجواب	١٥٨
٤ – بدء الموعظة بالقسم بالله تعالى	١٥٨
٥ – دمج الموعظة بالمداعبة	١٥٩
٦ – الاقتصاد بالموعظة مخافة السآمة	١٥٩
٧ – أن يخلص الواعظ نيته	١٥٩
٨ – الموعظة بضرب المثل	١٥٩
٩ – الموعظة بالتمثيل باليد	١٥٩
١٠ – الموعظة بالرسم والإيضاح	١٦٠

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
١١ - الموعظة بالفعل التطبيقي	١٦٠
١٢ - الموعظة بانتهاز المناسبات	١٦١
١٣ - الموعظة بالالتفات إلى الأهم	١٦١
١٤ - الموعظة بإظهار المحرم الذي ينهى عنه	١٦١
المبحث الثالث : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة لقمان الحكيم	١٦٣
المفهوم الأول : المؤمن مكلف بهداية أهله وإصلاح بيته ، كما هو مكلف بهداية نفسه وإصلاح قلبه	١٦٥
المفهوم الثاني : أول ما يجب على الآباء بناء العقيدة الصحيحة في نفوس أبنائهم	١٦٦
المفهوم الثالث : التخلية قبل التحلية	١٦٧
المفهوم الرابع : الشرك ظلم عظيم ، والمشرك ظالم لنفسه ، ظالم للمخلوقات ، ظالم لحقوق الخالق	١٦٨
المفهوم الخامس : قيام الآباء بواجبهم نحو الأبناء فطرة وجبلّة ، وبر الأبناء للآباء يحتاج إلى مجاهدة وتذكير دائم بالجميل	١٧٢

فهرس الجزء الثالث

الموضوع	الصفحة
المفهوم السادس : الوصية بالأم تقتضي الوصية بالأب ، وخصت بالذكر لما تعانيه في الحمل والولادة من وهن وآلام	١٧٣
المفهوم السابع : ينبغي على الأم أن تراعي حق طفلها في الرضاعة الطبيعية وهي عامان	١٧٤
المفهوم الثامن : تعظيماً لحق الأبوين قرن الله شكرهما بشكره	١٧٥
المفهوم التاسع : وشيجة العقيدة مقدمة على رابطة الأبوة ، والإحسان للوالدين لا يسقط بحال	١٧٩
المفهوم العاشر : ينبغي ترويض الأبناء على مراقبة الله وخشيته في كل شؤون حياتهم ، والإخلاص له في كل أعمالهم	١٨٢
المفهوم الحادي عشر : تعميق الشعور الإيماني لدى الأبناء بالتأكيد على أن علم الله وقدرته يحيطان بجميع المعلومات والممكنات	١٨٤
المفهوم الثاني عشر : الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل	١٨٦
المفهوم الثالث عشر : الصلاة ركن في كل الديانات الصحيحة ، فعلى الآباء أن يكونوا قدوة في المحافظة عليها ، وينشّئوا الأبناء على إقامتها ومتابعتهم حتى يرشدوا	١٨٧

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
المفهوم الرابع عشر : تنشئة الأبناء على حب الخير وفعله والاهتمام بإصلاح المجتمع	١٩٣
المفهوم الخامس عشر : تبليغ الدعوة وتبصير الناس بمنهج الإصلاح يحتاج إلى صبر وعزيمة	١٩٧
المفهوم السادس عشر : الابتلاء صنو الدعوات قديماً وحديثاً	١٩٨
المفهوم السابع عشر : الدعوة إلى الخير لاتجيز التطاول على الناس والتعالي عليهم	٢٠٠
المفهوم الثامن عشر : اتزان الحركات الخارجية للإنسان له ارتباط وثيق بالاتزان النفسي الداخلي	٢٠٤
المفهوم التاسع عشر : على المربين أن يلتزموا في تربية أبنائهم منهجاً مدروساً شاملاً لأصول الشريعة وآدابها العامة والخاصة	٢٠٨
الباب الثاني عشر : قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام	٢٠٩
تمهيد	٢١١
المبحث الأول : ورود القصة في القرآن الكريم	٢١٣
المشهد الأول : عزم سيدنا موسى عليه السلام على السفر إلى العبد الصالح الذي أخبره الله عن علمه	٢١٥

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
المشهد الثاني : التحلي بالأدب مع العلماء	٢١٨
المشهد الثالث : اعتراض سيدنا موسى عليه السلام وإنكاره على الخضر بعض تصرفاته	٢٢١
المشهد الرابع : البون الشاسع بين علم الله المحيط وفهم الإنسان القاصر	٢٢٦
المبحث الثاني : ورود القصة في السنة النبوية	٢٣١
المبحث الثالث : سيدنا موسى بن عمران عليه السلام هو صاحب الخضر ، ورد شبهة من قال بخلاف ذلك	٢٣٧
دوافع إنكار المنكرين مصاحبة موسى بن عمران عليه السلام للخضر	٢٤٠
المبحث الرابع : فتى سيدنا موسى عليه السلام (يوشع بن نون)	٢٤٥
المبحث الخامس : الخضر عليه السلام	٢٥١
سبب تسميته بالخضر	٢٥٤
هل كان الخضر نبياً أم ولياً	٢٥٤
أدلة القائلين بنبوة الخضر عليه السلام	٢٦٠
القول الراجح في هذه المسألة	٢٦٣
تحرير المسألة في حياة الخضر أو موته	٢٦٤

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
أدلة القائلين بحياته	٢٦٥
أدلة القـائلين بمـوته	٢٧١
المبحث السادس : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا موسي والخضر عليهما السلام	٢٧٧
المفهوم الأول : على العالم - ومن في حكمه - لزوم التواضع وعدم الاغترار بعلمه ؛ لأن فوق كل ذي علم عليم	٢٧٩
المفهوم الثاني : العلم سبب ممدود إلى السماء ومُمتَدّ إلى ما لانهاية له فكُلَّماَ ازداد العبد منه رقى وبلغ الرتب	٢٨٠
المفهوم الثالث : سيدنا موسى عليه السلام أول من سَنَّ الرحلة في طلب العلم	٢٨٦
نماذج من الرحلة في طلب العلم :	٢٨٩
النموذج الأول : رحلة الحافظ أبي القاسم بن عساكر رحمه الله ...	٢٨٩
النموذج الثاني : رحلة المُقْرىء المغربي أبي القاسم الهُذَلي رحمه الله	٢٨٩
المفهوم الرابع : الأخذ بالأسباب وإتقانها مع التوكل على الله سبحانه سبيل النجاح في الأمور المهمات والوصول إلى تحقيق الغايات	٢٩٠

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
المفهوم الخامس : حسن معاملة الخدم والترفق بهم يشيع المحبة بينهم وبين مخدوميهم ويدعوهم لزيادة البذل والتضحية	٢٩٢
المفهوم السادس : اتخاذ الصاحب في السفر يخفف من عنائه ويعين على ما قد يحدث فيه من نوازل	٢٩٥
المفهوم السابع : العلم إن لم يقترن بالرحمة قد ينقلب إلى شر ودمار	٢٩٦
المفهوم الثامن : جواز الإخبار عن التعب والألم ونحو ذلك ، إذا لم يكن صادراً عن ضجر أو سخط	٢٩٨
المفهوم التاسع : الأدب في طلب العلم والتَّواضع للأستاذ من أبهى الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم ليبارك له في علمـــه	٢٩٩
المفهوم العاشر : ينبغي على طالب العلم أن يصحح النية والهدف فيبتغي العلم الذي يهدي إلى الرشد والخير	٣٠٢
المفهوم الحادي عشر : ينبغي على المتعلم إذا وثق من تمكن أستاذه وتبحره في العلم أن يلزم الصبر ولا يكثر الاعتراض والجدل لئلا يفسد العلاقة بينهما	٣٠٣
المفهوم الثاني عشر : من صفات النفس البشرية أنها جبلت على حب الاستطلاع فعلى المسلم الإفادة من ذلك في	

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
الأمور النافعة والبعد عما لايعني	٣٠٥
المفهوم الثالث عشر : الاستعانة بالله في جميع الأعمال ، ورد المشيئة إليه دائما	٣٠٦
المفهوم الرابع عشر : المسلم مجبول على عمل الخير فإذا رأى مجالا للعمل الخيري بادر إليه ولا ينتظر إذنا أو مكافأة ...	٣٠٧
المفهوم الخامس عشر : الصبر أعظم وسيلة لبلوغ الرتب العالية والمنازل السامية ، وفقده يفوت الخير الكثير	٣٠٨
المفهوم السادس عشر : على المسلم أن يبعد نفسه عن مواطن التهم ، وإن وقع منه ما يوهم ذلك فعليه أن يبينه ...	٣١٢
المفهوم السابع عشر : المسلم مدعو لرفع الظلم ومساندة المظلومين بالحكمة ، والوسائل في ذلك كثيرة ومتاحة	٣١٣
المفهوم الثامن عشر : الفطر السليمة في كل عصر تهفو إلى الكسب الشريف ، وتأبى التسول والاستجداء	٣١٤
المفهوم التاسع عشر : ينبغي مراعاة الأدب مع الله تعالى فننسب له كل خير ونثني عليه ، وننزهه عن نسبة الشر إليه ..	٣١٥
المفهوم العشرون : إن الله يحفظ العبد الصالح في نفسه وفي ولده ..	٣١٨
المفهوم الحادي والعشرون : ينبغي على المرء أن لا يتعجل بإنكار ما	

فهرس الجزء الثالث

الموضـــوع	الصفحة
لم يستحسنه ، فلعل فيه سرا لا يعرفه أو ربما تعرض لمثله ففعله	٣١٩
المفهوم الثاني والعشرون : على المسلم أن يوقن أنه إذا استسلم لله وانقاد إليه أنه مرحوم في كل ما يصيبه من قدر الله تعالى	٣٢٠
المفهوم الثالث والعشرون : المؤمن عميق النظرة صادق التحليل صائب التقويم	٣٢٢
المفهوم الرابع والعشرون : غرس المفاهيم التربوية عن طريق العمل أبلغ من إلقائها عن طريق القول	٣٢٣
ثبت المراجع	٣٢٤

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع

فهرس الجزء الثاني
فهرس الجزء الأول
المقدمة
الباب الخامس : سيدنا يعقوب عليه السلام وأسرته
المبحث الأول : منزلة سيدنا يوسف عليه السلام عند والده ورؤياه وحسد إخوته إياه
رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام وعرضها على والده
حسد إخوة يوسف عليه السلام وكيدهم له
المبحث الثاني : محن ومنح ألمت بسيدنا يوسف عليه السلام بعد إلقائه في الجب
الموقف الأول : التقاطه من الجب
الموقف الثاني : مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام
الموقف الثالث : سجن سيدنا يوسف عليه السلام
المبحث الثالث : تعرف سيدنا يوسف عليه السلام على إخوته واجتماع شمل الأسرة
طلب الإخوة من أبيهم اصطحاب بنيامين إلى مصر
وصية سيدنا يعقوب عليه السلام أولاده أن يدخلوا مصر متفرقين
لقاء بنيامين بسيدنا يوسف عليه السلام ورغبته في استبقائه
تنصل إخوة يوسف عليه السلام من المسؤولية
توسلاتهم ليوسف كي يفرج عن أخيهم

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع
جواب سيدنا يعقوب عليه السلام على مقالة أولاده
تولي سيدنا يعقوب عليه السلام عن أولاده وخوفهم عليه
سيدنا يوسف عليه السلام يكشف عن شخصيته لإخوته
إكرام سيدنا يوسف عليه السلام إخوته وإرسال البشارة لأبيه
انتهاء محنة يعقوب ، وتحقق رؤيا يوسف عليهما السلام
المبحث الرابع : وصية سيدنا يعقوب عليه السلام لبنيه
وصية سيدنا يعقوب عليه السلام لأبنائه عند وفاته
المبحث الخامس : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا يعقوب عليه السلام وأسرته
المفهوم الأول : الرؤيا استشفاف للمستقبل ، وتختلف باختلاف الرائي
المفهوم الثاني : الرؤيا الصالحة بشارة فلا تقص إلا على المحبين
المفهوم الثالث : الرجوع إلى الآباء قبل غيرهم في الأمور المهمة
المفهوم الرابع : على الوالدين مراعاة الحالات النفسية للأولاد
المفهوم الخامس : وقوع الحسد بين الأقارب أقرب وأثره أشد
المفهوم السادس : العدل بين الأولاد يذهب الغيرة من نفوسهم
المفهوم السابع : الكذب على الأبوين جريمة وعقوق
المفهوم الثامن : الحقد والحسد بين الإخوة يورث الكيد وقطيعة الرحم
المفهوم التاسع : على المربي أن يكون فطناً فلايسارع في تصديق من تظاهر بالبكاء أو التظلم

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع

المفهـــوم العـــاشـر : مشروعية السباق والترويح عن النفس للصغار والكبار

المفهوم الحادي عشر : على الآباء والمربين الاستفادة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام في تنشئة الأجيال على العفة والطهارة

المفهوم الثاني عشـــر : سيدنا يوسف عليه السلام قدوة لرواد الإصلاح الاجتماعي

المفهوم الثالث عشر : أصحاب النفوس الطاهرة لايرضون بديلاً عن كرامتهم وسلامة شرفهم

المفهوم الرابع عشر : يجوز للمسلم أن يذكر كفاءاته ، وأن يطلب الولاية إذا كان في ذلك تحقيق لمصلحة شرعية ، ولم ينازع من هو أكفأ منه

المفهوم الخامس عشر : تمكين ذوي الكفاءات المخلصة فيه ازدهار للبلاد وأمان من المهالك

المفهوم السادس عشر : التخطيط الجيد أصل لكل عمل ناجح

المفهوم السابع عشر : العفو والتسامح يوطد الحب بين أفراد الأسرة

المفهوم الثامن عشر : سوء الظن عند وجود القرائن مبرر

المفهـوم التاسع عشـــر : الحيطة والحذر قبل وقوع المصاب تعطي النفس قوة وعزاء عند وقوعه

المفهـــوم العشـــــرون : الحكمة والرزانة في التصرف مع الأبناء

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع

خير سبيل لتقويم اعوجاجهم

المفهوم الحادي والعشرون : صدق الإيمان بالله وقوة اليقين به تنشئ في القلب ثباتاً وإحساساً قد لايخيب

المفهوم الثاني والعشرون : قوة ارتباط الآباء بالأبناء والحزن لما يصيبهم أمر فطري إذا لم يصحبه ما يسخط الله

المفهوم الثالث والعشرون : المسلم يلزم نفسه الأدب مع الله ومع نفسه ومع الآخرين

المفهوم الرابع والعشرون : الالتزام بالشرع في الخلوة أمان وصون للبيوت

المفهوم الخامس والعشرون : سلامة العقيدة والمنهج هي الأولى في رسالة الآباء والمربين

وقفة في ختام قصة سيدنا يوسف عليه السلام

الباب السادس : سيدنا أيوب عليه السلام وأسرته

تمهيد

المبحث الأول : ابتلاء الله عز وجل سيدنا أيوب عليه السلام

موقف الناس منه

موقف زوجته منه

دعاؤه أن يكشف الله عنه الضر

استجابة الله دعاءه

يمين أيوب عليه السلام ولطف الله به

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع
هل يسلط الشيطان على الأنبياء والرسل عليهم السلام؟
المبحث الثاني : قصة سيدنا أيوب عليه السلام والإسرائيليات التي لحقت بها
المبحث الثالث : المفاهيم الأسرية والتربوية المستفادة من قصة سيدنا أيوب عليه السلام
المفهوم الأول : الابتلاء اختبار يظهر الله به فضل عباده ، ولايعني ذلك هوانهم عليه
المفهوم الثاني : في الابتلاء حكم بالغة ينبغي التنبه لها
المفهوم الثالث : المؤمن يصبر على البلاء ، ويلجأ إلى الله في كشفه ويجتهد في دفع آثاره
المفهوم الرابع : تذلل المبتلى إلى الله تعالى وسؤاله الشفاء منه لاينافي الصبر
المفهوم الخامس : العلاقة الزوجية المبنية على المودة والصلاح لاتفسدها الشدائد والمحن
الباب السابع : سيدنا موسى عليه السلام وأسرته
تمهيد
حالة مصر وقت مولده
المبحث الأول : مولد سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام
هل كان الوحي إلى أم موسى عن طريق الملك أو الإلهام

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع
المبحث الثاني : تربية سيدنا موسى عليه السلام في قصر فرعون
حقق الله وعده فأرجع الطفل لأمه
المبحث الثالث : خروج سيدنا موسى عليه السلام إلى مدين
نصرة سيدنا موسى عليه السلام للمظلومين أثارت نقمة فرعون
خروج سيدنا موسى عليه السلام إلى أرض مدين
الرجل الصالح يعرض ابنته على سيدنا موسى عليه السلام ليتزوجها
المبحث الرابع : إرسال سيدنا موسى وهارون عليهما السلام
المبحث الخامس : المفاهيم الأسرية والتربوية المستفادة من قصة سيدنا موسى عليه السلام
المفهوم الأول : سنة الله تعالى في الكون أن العاقبة للحق وأهله
المفهوم الثاني : الله يتخذ من عباده جنداً للحق فاجتهد أن تكون واحداً منهم
المفهوم الثالث : المؤمن مع الله تعالى ينفذ أمره دون خوف ولا وجل
المفهوم الرابع : للمرأة دور جليل في الحياة وفي نشر الفضائل : نماذج وصور
المفهوم الخامس : شقاء الأسر في الأنظمة الفاسدة ، وسعادتها في كنف الإسلام
المفهوم السادس : جبلت الأم على الرحمة والحنان فعلى الأبناء أن

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع

يقدروا تلك العواطف فيها

المفهوم السابع : إذا سبقت رحمة الله للعبد فلاخوف من مكر العباد

المفهوم الثامن : من نعم الله عز وجل على عباده أنه جعل الفرج بعد الشدة

المفهوم التاسع : لا أمان ولا أمن للمجتمعات إلا بالبعد عن الظلم والأخذ على يد الظالم

المفهوم العاشر : خروج المسلم من بلده عند الشدة نوع من الهجرة وليس فراراً من الحق

المفهوم الحادي عشر : الأنبياء معدن الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة فعلى المسلم الاقتداء بهم

المفهوم الثاني عشر : جواز خروج المرأة عند الضرورة للعمل مع مراعاة الضوابط والآداب الشرعية

قيود عمل المرأة

المفهوم الثالث عشر : التوسل إلى الله عز وجل بالعمل الصالح

المفهوم الرابع عشر : الحياء أبهى حلة تزدان بها الفتاة

المفهوم الخامس عشر : ينبغي على المرأة أن تختار من العمل ما يتلاءم مع طبيعتها فقط ، وتنأى عن الاحتكاك بالرجال

المفهوم السادس عشر : من حق الفتاة التعبير عن رأيها في شؤونها الخاصة

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع

المفهوم السابع عشر : عرض الرجل ابنته على من يرضى دينه وخلقه للزواج منها لاينافي الكرامة والحياء

الباب الثامن : سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام

تمهيد

المبحث الأول : خصوصيات سيدنا داود عليه السلام

أولاً : تمكينه من قتل طاغية عصره جالوت

ثانياً : قوة الملك والحكمة في سياسة الرعية

ثالثاً : إكرام الله له بإنزال (الزبور عليه)

رابعاً : علّمه صنعة الدروع فأغناه بها وانتفع بها الناس

خامساً : رزقه الله تعالى صوتاً حسناً

سادساً : وهبه الله تعالى ذرية صالحة

سابعاً : كان سيدنا داود عليه السلام من العابدين المخبتين

المبحث الثاني : خصوصيات سيدنا سليمان عليه السلام

أولاً : نشأته في بيت الملك

ثانياً : براعته في القضاء

ثالثاً : معرفته لغة الجن والطير والنمل

رابعاً : تسخير الرياح ، والشياطين والطير له

خامساً : إسالة عين القطر له

سادساً : العدل الشامل

سابعاً : حسن التدبير ، وصرامة التسيير لشؤون الملك

محتويات الجزء الثاني

الموضـــوع

ثامناً : ملازمته شكر نعم الله عز وجل عليه

المبحث الثالث : الأمور المشتركة التي أنعم الله عز وجل بها على سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام

أولاً : إنعام الله عز وجل عليهما بالعلم

ثانياً : حكمهما في قضية الزرع

المبحث الرابع : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام

المفهوم الأول : المؤمن يستمد قوته من الله فلا يرهبه جبروت الطغيان

المفهوم الثاني : على الأمة أن تجيد الحرَف والصَّنَائع لترتقي في سلم المدنية وتستغني عن أعدائها

المفهوم الثالث : الولد الصالح من أجَلِّ النعم وأنفعها

المفهوم الرابع : التساهل مع المقصر يغريه في الاستمرار ، ويفتح الباب لغيره

المفهوم الخامس : إعطاء المخطئ فرصته لتفسير موقفه

المفهوم السادس : التريث والتثبت في قبول الأخبار

فائدة

المفهوم السابع : الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة

المفهوم الثامن : التحدث بنعم الله والاعتراف بفضل المنعم نوع من الشكر والثناء على الله عز وجل

المفهوم التاسع : الفوز في الآخرة مرهون بالثبات على اليقين مع

محتويات الجزء الثاني

الموضوع
حسن الخاتمة
المفهوم العاشر : العلم النافع أنفس ما في الوجود ، وبه تدرك الغايات ولانهاية لحدوده
الترغيب في طلب العلم
فضل العلم والعلماء
شروط العلم النافع
المفهوم الحادي عشر : على الآباء أن يشجعوا أبناءهم على الإعلان عن آرائهم وقبولها إن كانت صحيحة

محتويات الجزء الأول

الموضـــوع

الفهرس العام

المقدمة

المنهج المتبع في هذا الكتاب

المنهج المتبع فيما يقال عند ذكر اسم الله تعالى ورسله الكرام

الباب الأول : سيدنا آدم عليه السلام وأسرته

تمهيد

المبحث الأول : سيدنا آدم عليه السلام وزوجه

آدم وزوجه في الجنة

ابتلاء واختبار

إغراء وإغواء

سبب أكلهما من الشجرة

عاقبة الأكل من الشجرة

عتاب وتوبة

إخراج آدم وزوجه من الجنة

المبحث الثاني : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة آدم عليه السلام

المفهوم الأول : تساوي المرأة والرجل في الإنسانية

المفهوم الثاني : تربية الإرادة والتحرر من رغائب النفس

المفهوم الثالث : ضعف النفس البشرية أمام المغريات

عداوة الشيطان للإنسان ومقتضيات هذه العداوة

محتويات الجزء الأول

الموضـــوع

وسائل الشيطان لإضلال الإنسان

كيفية الوقاية من الشيطان .؟

المفهوم الرابع : تربية النفس على النفور من الحرام والبعد عن مواطنه

المفهوم الخامس : زلة آدم فتحت باب التوبة لأبنائه

المفهوم السادس : قوة الارتباط بين الزوجين وتأثير وتأثر كل منهما بالآخر ، وانعكاس ذلك على الأسرة

المفهوم السابع : فهم طبيعة المرأة واحتمال بعض تصرفاتها في التسامح بين الزوجين الخير الكثير .

المفهوم الثامن : خطر الإصغاء إلى التدخل الخارجي وأثره في إفساد الحياة الأسرية

المفهوم التاسع : إسراع الزوجين في تدارك ما يقع من زلات تجاه الخالق عز وجل

المفهوم العاشر : ستر العورة واتخاذ الزينة فطرة بشرية . .

المبحث الثالث : قصة ابني آدم عليه السلام قابيل وهابيل

تمهيد

الشيطان يبدأ معركته مع أبناء آدم

سبب الخلاف بين ابني آدم

حقد ينتهي بجريمة .

موقف الأخ المؤمن من تهديد أخيه

موقف الأخ المجرم من وعظ أخيه

الغراب يعلم القاتل كيفية دفن الميت

محتويات الجزء الأول

الموضـــوع

المبحث الرابع : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة ابني آدم

المفهوم الأول : مشروعية التحكيم

المفهوم الثاني : التقوى شرط لقبول الأعمال

المفهوم الثالث : المؤمن يدفع السيئة بالحسنى

المفهوم الرابع : استفراغ بواعث الشر من قلب المعتدي

المفهوم الخامس : الجريمة يسبقها عادة صراع نفسي فعلى المصلحين تنمية الجانب الإيماني تفاديا لوقوعها

المفهوم السادس : الاهتمام بآثار الجريمة ونتائجها أولى من تفاصيلها

المفهوم السابع : عاقبة الجريمة خسران وندم طويل

المفهوم الثامن : خطورة الوساوس الشيطانية وكيفية الاحتراز منها

المفهوم التاسع : الحسد داء عضال كان وراء أول جريمة قتل في الأرض

تعريف الحسد

أضرار الحسد

اعتراض ورده

النهي عن الحسد

الوقاية من الحسد

المفهوم العاشر : المسلم يستفيد العلم ويستثير المعرفة من كل ما يحيط به

المفهوم الحادي عشر : حكمة الأب وأثرها في توجيه الأسرة

المفهوم الثاني عشر : الأسرة نموذج مصغر عن المجتمع ، فيتوقع من أفرادها النزاع

محتويات الجزء الأول

الموضـــوع

والأثرة

الباب الثاني : سيدنا نوح عليه السلام وأسرته

تمهيد

المبحث الأول : موقف أهله من دعوته

موقف والدي نوح عليه السلام من دعوته

زوجة نوح عليه السلام وموقفها من الدعوة

ابن نوح وموقفه من دعوة أبيه

مصير ابن نوح عليه السلام

نداء نوح عليه السلام ربه في شأن ابنه

شبهة وردها

اعتذار سيدنا نوح عليه السلام لربه واستغفاره

المبحث الثاني : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة نوح عليه السلام

المفهوم الأول : المؤمن مبتلى على قدر إيمانه

المفهوم الثاني : الفوز والنجاة بالعمل الصالح لا بالقرابة والنسب

المفهوم الثالث : الوشيجة التي تجمع الناس هي العقيدة الإسلامية

المفهوم الرابع : دعوة الأبناء والأقارب إلى الله والصبر عليهم

المفهوم الخامس : وجوب اختيار الزوجات الصالحات

المفهوم السادس : التلطف في دعوة الأبناء ونصحهم وإظهار الرحمة والرأفة بهم

المفهوم السابع : من بر الوالدين الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة

محتويات الجزء الأول

الموضـــوع

المفهوم الثامن : في قصة نوح عليه السلام أسوة لمن لم يوفق بأبناء بررة

الباب الثالث : سيدنا إبراهيم عليه السلام وأسرته

تمهيد .

المبحث الأول : دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه

تلطف إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه إلى التوحيد

رَدُّ الأب آزر على ابنه إبراهيم عليه السلام

رَدّ إبراهيم عليه السلام على أبيه

المبحث الثاني : سيدنا إسماعيل عليه السلام دعوة أبيه

هجرة سيدنا إبراهيم بزوجه هاجر وابنه إسماعيل إلى مكة

المبحث الثالث : قصة الذبيح

لقاء الأب بابنه

رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه إسماعيل وإخباره بها

استسلام سيدنا إبراهيم عليه السلام لهذا الأمر

انقياد الابن المطيع لأمر الله

تنفيذ الأمر الإلهي كما ورد في الرؤيا

شبهة وردها

المبحث الرابع : زيارات سيدنا إبراهيم عليه السلام لأهله بمكة ، وبناء الكعبة

زيارة سيدنا إبراهيم عليه السلام لابنه وتفقد أهله

بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام الكعبة ومعاونة ابنه إسماعيل له

محتويات الجزء الأول

الموضـــوع

إتمام البناء والابتهاج به والدعاء

المبحث الخامس : سيدنا إبراهيم عليه السلام والبشرى بإسحاق

الملائكة تبشر بإسحاق

موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام من هذه البشارة

موقف السيدة سارة من البشارة

نبوة سيدنا إسحاق عليه السلام

المبحث السادس : وصية سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبنائه

المقصود بالوصية

نص الوصية

المبحث السابع : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

المفهوم الأول : ينبغي للمربين والدعاة التزام الصدق والاستقامة

المفهوم الثاني : الآباء والأمهات أحق الناس بالإخلاص في النصيحة

المفهوم الثالث : اتباع اللطف واللين وحسن الأدب في الدعوة إلى الله

المفهوم الرابع : استعمال الألفاظ المحببة إلى النفس في الدعوة إلى الله

المفهوم الخامس : الترفق والترقق في الدعوة

المفهوم السادس : أسلوب التدرج في الدعوة والنصح

المفهوم السابع : إظهار الشفقة والرحمة بالمدعوين

المفهوم الثامن : ينبغي الاهتمام بأمور الأهل الدينية أكثر من الاهتمام بأمورهم الدنيوية

محتويات الجزء الأول

الموضـــوع

المفهوم التاسع : صدق الدعاة وثباتهم يجعل أرواحهم تسمو على آلام أجسادهم

المفهوم العاشر : سعادة الآباء والمجتمعات في النسل الصالح

المفهوم الحادي عشر : الحلم من أشرف الصفات للأفراد وألزمها للدعاة

المفهوم الثاني عشر : تقديم أمر الله تعالى على المصالح الدنيوية العاجلة

المفهوم الثالث عشر : العبودية لله تقتضي التزام أمره والاعتماد عليه وحده

المفهوم الرابع عشر : امرأة مؤمنة تعلم الأجيال دروس الصبر والثبات والتوكل على الله

المفهوم الخامس عشر : إقامة الصلاة محط اهتمام الأنبياء والصالحين

المفهوم السادس عشر : استشارة الأبناء في الأمور المهمة

المفهوم السابع عشر : الإيمان الحق يقتضي الرضا بقضاء الله وقدره والتضحية بكل شيء من أجله

المفهوم الثامن عشر : التزام الأدب مع الله عز وجل وإرجاع كل شيء إلى مشيئته

المفهوم التاسع عشر : الأشياء لاتؤثر بذاتها وإنما بإرادة الله عز وجل

المفهوم العشرون : الابتلاء والاختبار سنة الله في عباده ليميز به الخبيث من الطيب

المفهوم الحادي والعشرون : اهتمام الآباء بالأبناء ولو كانوا كبارا يشعرهم بالثقة ويحملهم على احترام آبائهم وقبول آرائهم

المفهوم الثاني والعشرون : ينبغي للمربي الناجح أن يبدأ بنفسه ليكون قدوة لغيره

المفهوم الثالث والعشرون : المؤمن يؤدي العمل الصالح وهو مشفق من التقصير فيه ، راغب إلى الله أن يتقبله

محتويات الجزء الأول

الموضـــوع

المفهوم الرابع والعشرون : الاجتهاد والإخلاص في الدعاء وعدم تعجل الإجابة

المفهوم الخامس والعشرون : الدعاء عبادة وأفضله ما دعا به الأنبياء عليهم السلام

المفهوم السادس والعشرون : إكرام الضيف من خلق الأنبياء والصالحين

المفهوم السابع والعشرون : من آداب الضيف أن يأكل ما قدم له

الباب الرابع : سيدنا لوط عليه السلام

تمهيد

المبحث الأول : موقف زوجة نبي الله لوط عليه السلام من دعوته

امرأة لوط عليه السلام على دين قومها

خيانة امرأة لوط عليه السلام .

المبحث الثاني : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة لوط عليه السلام

المفهوم الأول : المؤمن حسن الظن عف اللسان .

المفهوم الثاني : الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا سبب الإيمان

ثبت المراجع

شكر وتقدير

إن اللجنة التربوية تسجل في هذا المجال الشكر الجزيل لوزارة التربية ممثلة في التوجيه الفني العام للتربية الإسلامية على مبادرتها الكريمة بوضع الجداول المذكورة لاحقا والمشتملة على محتويات المفاهيم التربوية الواردة في هذا الكتاب، كي تكون متوفرة تحت تصرف الأسرة التربوية لمادة التربية الإسلامية، وجعلها ضمن الخطة الدراسية لكل مرحلة من المراحل الدراسية الثلاث كي يرتبط هذا الجهد بالأنشطة المصاحبة للمنهج ومن ثم بالميدان.

إن اللجنة التربوية حريصة على التواصل مع كافة الأجهزة المعنية بوزارة التربية الموقرة، وهذا ديدنها منذ نشأتها.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يكون هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون نافعا للعملية التعليمية بأركانها المختلفة.

وفي الصفحات التالية الجداول المشار إليها أعلاه.

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الأول)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
١	آدم عليه السلام وزوجه في الجنة	آدم وزوجه في الجنة	الصبر	ضبط النفس - والابتعاد عن مواطن الشبهات	المرحلة الثانوية	٣٣
		الإغراء والإغواء	مقاومة الشيطان	اختيار الصحبة الصالحة، الابتعاد عن صديق السوء، زيادة الإيمان بالله تعالى	المرحلة المتوسطة	٣٥-٤٢
٢	المفاهيم التربوية والأسرية في قصة آدم عليه السلام	المساواة بين الرجل والمرأة في الإنسانية	المساواة	تكريم الله تعالى لبني آدم، استغلال الأرض فيما ينفع البشرية، الاعتزاز بالانتماء للإسلام لتكريمه الإنسان المساواة في الحقوق والواجبات	المرحلة المتوسطة	٤٥
		وسائل الشيطان لإضلال بني آدم	الوقياة من الشيطان	الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه والاستعاذة بالله من الشيطان - أن يلجأ إلى الله في كل أموره الإكثار من تلاوة القرآن الكريم	المرحلة المتوسطة	٥١-٥٩
	المفاهيم التربوية والأسرية في قصة آدم عليه السلام	المبادرة بالتوبة والاستغفار والارتباط بين الزوجين	التوبة	عدم العودة إلى المعاصي، رد المظالم، الندم الشديد، الإكثار من الاستغفار	المرحلة الثانوية	٦١
			التسامح بين الزوجين	التحلي بالصبر، وحسن العشرة، العفو عند المقدرة	المرحلة الثانوية	٦٢-٦٦
٣	المفاهيم التربوية في قصة ابني آدم	قصة ابني آدم	التقوى والعدل	العدل بين الأولاد، العدل بين الزوجات، العدل بين الناس جميعا، عدل الحاكم بين الرعية، النفور من الظلم، مراقبة الله تعالى	المرحلة الثانوية	٧٩-٨١

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الأول)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٣	المفاهيم التربوية من قصة ابني آدم	المؤمن يدفع السيئة بالحسنة	العفو	الاقتداء بالرسول ﷺ في موقفه من أهل الطائف، مقابلة السيئة بالحسنة	المرحلة الثانوية	٨٢-٩٤
		الحسد داء عضال وراء أول جريمة قتل في الأرض	كراهية الحسد	الرضا بما قسمه الله لك، البعد عن كل ما يضعف الأخوة الإيمانية	المرحلة الثانوية	٩٥-١٠١
		المسلم يستفيد من العلم	العلم	الحرص على تلقي العلم النافع، الاستفادة مما تعلمت، نشر العلم والحث عليه، البحث عن الجديد في العلم	المرحلة المتوسطة	١٠٢-١٠٣
		حكمة الأب، وأثرها في توجيه الأسرة	حسن التربية	القدوة الحسنة - العدل بين الأبناء، النصح والرعاية	المرحلة المتوسطة	١٠٣-١٠٤
٤	المفاهيم التربوية المستفادة من قصة نوح عليه السلام	المؤمن مبتلى على قدر إيمانه	الرضا والتسليم	عدم الاعتراض على قضاء الله واحتساب الأجر	المرحلة الثانوية	١٣٢-١٥٢
		وجوب اختيار الزوجات الصالحات	حسن اختيار الزوجة	اختيار المرأة ذات الدين، طاعة أولى الأمر، اختيار الزوجة الصالحة، عدم الانسياق وراء الشهوات	المرحلة الثانوية	١٣٢-١٣٣
		التلطف في نصح الأبناء وإظهار الرحمة والرأفة بهم	النصح والإرشاد	التأدب بآداب النصيحة، الدعوة إلى الله بالحسنى	المرحلة الابتدائية	١٣٤

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الأول)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٤	المفاهيم التربوية المستفادة من قصة نوح عليه السلام	البر بالوالدين والدعاء لهما	بر الوالدين	طاعة الوالدين، وعدم عصيانهما في حياتهما، والدعاء والاستغفار لهما بعد مماتهما، تقبيل رأس الوالدين، تقديم هدية لهما، رعايتهما والإحسان إليهما عند الكبر	المرحلة الابتدائية	١٣٥-١٣٨
٥	المفاهيم التربوية المستفادة من قصة إبراهيم عليه السلام	على المربين، والدعاة التزام الصدق والاستقامة	الصدق	الاستجابة للنصيحة، والالتزام بالأخلاق الفاضلة، ليرقى بهم المجتمع، عدم الكذب، السير على النهج الإسلامي، الصدق مع الله والنفس والناس	المرحلة الابتدائية	١٩٩-٢١٧
		العبودية لله تعالى تقتضي التزام أمره والاعتماد عليه وحده	العبودية	الأخذ بالأسباب، والدعاء وترك النتائج على الله تعالى، الاقتداء بالرسول ﷺ يوم حنين، تحقيق العبودية لله وحده، الابتعاد عن كل أنواع الشرك	المرحلة المتوسطة	٢١٧-٢٢٢
		استشارة الأبناء في الأمور الهامة	الشورى	أخذ آراء الأخرين، مشاركة الأبناء في الرأي	المرحلة المتوسطة	٢٢٣-٢٢٨

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الأول)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
		اهتمام الأباء بالأبناء	الوالد القدوة	تعديل المعوج وتصحيحه، المساواة بين الأبناء، تقويم سلوكيات الأبناء، عدم التمييز بينهم	المرحلة المتوسطة	٢٣٠-٢٤٠
		المؤمن حسن الظن عف اللسان	حسن الظن	البعد عن الموبقات المهلكة، حسن الظن بالناس، والبعد عن الشك، حسن الظن بالله	المرحلة المتوسطة	٢٥١-٢٥٣

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثاني)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
١		رؤيا يوسف عليه السلام وعرضها على والده	البر والإحسان	حب الأبناء، طاعة الوالدين، تقدير الوالدين ورعايتهما في الكبر	الابتدائية والمتوسطة الخامس والسادس	٣٣-٣٤
		حسد سيدنا يوسف عليه السلام من إخوته وكيدهم له	العدل في المعاملة	عدم التمييز بين الأبناء، الوفاء بالكيل والميزان، إعطاء كل ذي حق حقه	المرحلة الثانوية	٣٦
		مراودة امرأة العزيز يوسف عليه السلام	العفة والعفاف	اللجوء إلى الله تعالى دائما، والابتعاد عن المعاصي، غض البصر وحفظ الفرج	المرحلة الثانوية	٤٢
		سجن سيدنا يوسف عليه السلام	الصبر على المصيبة	الثبات على الحق، الاستقامة على الدين، الصبر على البلاء، اللجوء إلى الله تعالى	المرحلة الثانوية	٤٣
		سجن سيدنا يوسف عليه السلام	الندم والتوبة	الإقلاع عن الذنب، رد المظالم، عدم العودة إلى المعاصي، الإخلاص في التوبة	المرحلة الثانوية	٤٤
٢	تعرف سيدنا يوسف عليه السلام على إخوته واجتماع شمل الاسرة	وصية سيدنا يعقوب عليه السلام أولاده أن يدخلوا مصر متفرقين	طاعة الوالدين	تقبيل رأس الوالدين، تقديم هدية للوالدين، طاعتهم، الإحسان إلى أصدقائهما، السمع والطاعة، الدعاء لهما	المرحلة الثانوية	٥١

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثاني)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٣	تولي سيدنا يعقوب عليه السلام عن أولاده وخوفهم عليه	الحب الشديد لأبنائه	حب الأبناء	العدل بينهم، حسن تربيتهم، الاهتمام بتعليمهم، الدعاء لهم، تأديبهم، الاقتداء بالصالحين	المرحلة الثانوية	٥٦-٥٧
		سيدنا يوسف عليه السلام يكشف شخصيته لإخوته	المودة والمحبة	العفو والتسامح مع الأقرباء، الصفح، كظم الغيظ، ترك الانتقام	المرحلة الثانوية والمتوسطة	٥٨-٦٠
٤	وصية يعقوب عليه السلام لبنيه	وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه عند وفاته	النصح والإرشاد	الالتزام بما أمر الله تعالى ورسوله، الابتعاد عما نهى عنه وزجر، الالتزام بالكتاب والسنة		
٥	المبحث الخامس المفاهيم التربوية	يوسف عليه السلام قدوة لرواد الإصلاح الاجتماعي	القدوة الحسنة	الاقتداء بالرسول ﷺ، الاقتداء بالصحابة الكرام، الالتزام بمنهج الله تعالى	المرحلة الثانوية	٨٦-٨٧
		العفو والتسامح يوطد الحب	العفو التسامح	كراهية الظلم، الصفح عن الآخرين، الصبر على أذى الآخرين، مقابلة السيئة بالحسنة	المرحلة الثانوية	٩٦-٩٧
		المسلم يلزم نفسه الأدب مع الله ومع الآخرين	حسن العلاقة مع الله سبحانه وتعالى	الإكثار من الطاعات، البعد عن المعاصي، الخوف من الله سبحانه، مراقبة الله سبحانه في السر والعلانية، الإخلاص في العمل	المرحلة الثانوية	١٠٣-١٠٤
٦	المفاهيم التربوية لقصة سيدنا موسى عليه السلام	للمرأة دور جليل في بناء الحياة ونشر الفضيلة	الإحسان للمرأة	احترام المرأة، الاعتزاز بالإسلام الذي كرم المرأة، الرفق بالنساء، تخير المرأة الصالحة، إكرام المرأة	المرحلة الثانوية	١٨٨

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثاني)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٦	المفاهيم التربوية لقصة سيدنا موسى عليه السلام	جبلت الأم على الرحمة والحنان	الرحمة	الرفق في التعامل مع الآخرين، الرحمة بالضعفاء، مساعدة الضعفاء، تحقيق مبدأ التكافل	المرحلة الثانوية	١٩٤
		الأنبياء مصدر الصفات الكريمة	حسن الخلق	التحلي بالأخلاق الكريمة، الاقتداء بالأنبياء الصالحين	المتوسطة والثانوية	٢٠١
		الحياء أبهى حله تزدان بها الفتاة	الحياء	التحلي بالحياء، بغض الفجور، كراهية المجاهرة	المتوسطة والثانوية	٢٠٧
		المفهوم الثامن عشر، إنزال الناس منازلهم	تقدير أهل الفضل	احترام الآخرين، تشجيع المبدعين، اكرام أهل الفضل، إكرام أهل العلم، إكرام كبير السن	المتوسطة والثانوية	٢١٤
			الطاعة	طاعة الله تعالى وتنفيذ أوامره، الإكثار من النوافل، الوقوف عند حدود الله		
٧	سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام	خصوصيات سيدنا سليمان عليه السلام	شكر النعم	حمد الله تعالى والثناء عليه دائما شكر الله تعالى على نعمة العظيمة، الإخلاص في العبادة لله تعالى	المتوسطة والثانوية	٢٤١
٨	المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام	الترغيب في طلب العلم	حب العلم	الاستزادة من العلم النافع، الحث على تلقي العلوم المختلفة، كراهية العلم الضار، نشر العلم وعدم كتمانه، إكرام العلماء	الابتدائية والمتوسطة والثانوية	٢٦٣-٢٦٩

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
١	طلب سيدنا زكريا الولد من الله تعالى	تذلل سيدنا زكريا عليه السلام وشكواه في طلب الولد	الدعاء من العبادة	الخضوع المطلق لله تعالى، التيقن من الاستجابة للدعاء، التضرع عند التوجه إلى الله بالدعاء	متوسط وثانوي	٦٧
٢	البشارة بسيدنا يحيى وصفاته	الهدف من طلب الولد	حب الأبناء	الولد الصالح خير لأهله ومجتمعه، رعاية الأبناء وتوجيههم	متوسط وثانوي	٧٥
		صفات سيدنا يحيى عليه السلام التي بشر الله بها والده	البذل والعطاء	المبادرة إلى قضاء حوائج الناس	جميع المراحل	٧٩
			الأخلاق الفاضلة	صاحب الخلق الطيب محبوب بين الناس	جميع المراحل	
			الطهارة	اجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن	جميع المراحل	
			الصلاح والتقوى	الحرص على طهارة النفس والجوارح	جميع المراحل	
		موقف سيدنا زكريا عليه السلام من البشارة	شكر المنعم	تداول الشكر بين الناس يزيد المحبة، شكر الله سبب زيادة النعم	متوسط وثانوي	٨١
		آية تدل على تحقق البشرى لسيدنا زكريا عليه السلام	طاعة الله	تنفيذ أوامر الله عز وجل	الابتدائي والمتوسط	٨٣

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٣	ولادة سيدنا يحيى عليه السلام ونعم الله عليه	نعم الله على سيدنا يحيى عليه السلام	العلم	تعلم العلوم الشريعة والمفيدة	جميع المراحل	٨٥
			العدل	العدل بين الناس في الحكم	جميع المراحل	
			الحنان	الألفة والمحبة تزيدان الناس قربا	جميع المراحل	
			التصدق	البذل والعطاء على المحتاج	جميع المراحل	
			التقوى	تقوى الله والخوف من عقابه	جميع المراحل	
			بر الوالدين	بر الوالدين وطاعتهما	جميع المراحل	
			عدم التعالي والتكبر	التواضع يرفع منزلة صاحبه	جميع المراحل	
				معاملة الناس بالحسنى	جميع المراحل	
٤	المفاهيم التربوية المستفادة من قصة سيدنا زكريا وسيدنا يحيى عليهما السلام	حب الذرية فطرة بشرية	حب الأبناء	رعاية الأبناء وتوجيهم	الثانوية	٩١
		المؤمن يرجو الله الذرية الصالحة	الاستقامة	عدم مصاحبة الأشرار، الولد الصالح يحبه أهله ومجتمعه	الثانوية	٩٣
		الأنبياء قدوتنا في التحلي بأداب الدعاء	القدوة الصالحة	الاقتداء بالصالحين والأخيار، اتباع الأنبياء والسير على نهجهم		٩٥
		لاطريق لليأس إلى قلب المؤمن	لا يأس مع إيمان	المؤمن لا ييأس من رحمة الله	الثانوية	٩٦

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
		في كل جارحة عبودية والذكر عبودية القلب واللسان في كل حال	العبودية لله وحده	التعلق بذكر الله، عدم الخضوع لغير الله	الثانوية	٩٧
		مكانة ومنزلة الذكر	اطمئنان القلوب بالذكر	بالذكر يصرع العبد الشيطان، التيقن بأن الله مع المؤمنين	الثانوية	٩٨
٥	سيدنا عيسى وأمه السيدة مريم عليهما السلام	موقف قومها من هذا الولد	التوكل على الله	أن يلجأ الإنسان إلى الله في كربه	الثانوية	١٠٩
	حمل السيدة مريم سيدنا عيسى وولادتها له	نبوة سيدنا عيسى عليه السلام	الدعوة إلى الله	تبليغ الرسالة بقدر الاستطاعة	الثانوية	١١٠
		خوارق العادات في حمل السيدة مريم لسيدنا عيسى عليه السلام	قدرة الله	التسليم التام بمعجزات الأنبياء، التسليم التام بخوارق العادات	الثانوية	١١١
		خصوصيات سيدنا عيسى عليه السلام	إرادة الله	التسليم بأن الله يقول للشيء كن فيكون	الثانوية	١١٣
			التقوى والصلاح	التقي الورع مهاب الجانب		
			العلم النافع	الحرص على تعلم العلم النافع ونشره، الحكمة في إصدار الحكم على الأمور		

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٦	المفاهيم المستفادة من قسة سيدنا عيسى وأمه عليهما السلام	التوحيد والاخلاص هما الصورة المثلى للتحرر من العبودية لغير الله	العبودية لله وحده	أن نعبد الله ولا شريك به أحداً	الثانوية	١٢١
			التوحيد أساس العقيدة	أن نبتعد عن كل مظاهر الشرك، التوجه بالسؤال عند الحاجة إلى الله، هجر التوسل لغير الله، تطهير النفس والجوارح من كل شائبة شرك	الثانوية	
		على الآباء اختيار الأسماء الحسنة التي تدعو إلى التفاؤل	رعاية الأبناء	تسمية الأبناء بالأسماء الحسنة، عدم تدليل الأولاد بأسماء لها دلالات منهى عنها شرعا	الثانوية	١٢٤
		على الآباء اللجوء إلى الله لدفع شر الشيطان عن أبنائهم	الاستعانة بالله	مداومة ذكر الله والاستعاذة به في كل الأمور	الثانوية	١٢٦
		العناية بالأطفال منذ الصغر وتكون باختيار المربين الصالحين	النشأة الفاضلة	اختيار الصاحب التقي، رعاية الأبناء في جميع المراحل، تربية الطفل على تقوى الله، تعليم الأبناء العلم النافع	جميع المراحل	١٢٧
			القدوة الحسنة	صلاح الأباء فيه القدوة الحسنة لآبنائهم		

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
		السيدة مريم النموذج والقدوة للنساء العابدات	الاستعانة بالله	تعليم الفتيات والنساء أن يلجأن إلى الله في كل هم، تقوية الصلة بالله، أداء العبادات يحفظ الإنسان من الزلل	جميع المراحل	١٢٨
			العمل الصالح	الالتزام بالعمل الصالح، الابتعاد عن الحرام بشتى صوره، طهارة الظاهر والباطن في السر والعلن	جميع المراحل	
		أن البيوت إذا تسلسل فيها الصلاح احاطها الله بعنايته	التقوى والصلاح	القدوة الصالحة تسلسل الصلاح في الأسرة	جميع المراحل	١٢٩
			رعاية الله للصالحين	الله يرعى عبده الصالح ويدافع عنه		
			التوكل على الله	التوكل على الله يصون الإنسان ويحميه من وساوس الشيطان		
		من انقطع إلى الله كفاه	مشروعية الأخذ بالأسباب	أن يتقن الإنسان عمله، ويتوكل على الله في النتيجة، أن يلم الطالب بمنهجه ويتوكل على الله في تحقيق النجاح	متوسط وثانوي	١٣٠

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٧	مواعظ لقمان الحكيم لابنه		العطف	عطف الآباء على الأبناء، نصحهم	جميع المراحل	١٣٩
				نصيحتهم وتوجيههم		
			حب الأبناء	حب الولد لولده، حب الوالدين، حب الخالق سبحانه، العدل بينهم	جميع المراحل	
		الموعظة الأولى	الطاعة	طاعة الله والانقياد له وإفراده بالعبودية	جميع المراحل	١٤٣
			الرحمة	بر الوالدين ولين الجانب معهم، الرحمة بالضعفاء	جميع المراحل	
		الموعظة الثانية	الإيمان بالله تعالى	التأمل في ملكوت السماوات والأرض، استشعار عظمة الخالق سبحانه	جميع المراحل	١٤٦
		الموعظة الثالثة	العبودية لله تعالى	الإكثار من الطاعات، البعد عن المعاصي، إقامة الصلاة، التوجه والخضوع لله سبحانه وتعالى	جميع المراحل	١٤٩
			الانتماء والولاء	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حب الوطن، الاعتزاز بالانتماء للإسلام	المرحلة المتوسطة والثانوية	
		الموعظة الرابعة	التواضع	التواضع مع الناس وعدم التكبر	المرحلة الثانوية	١٥١

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
		الموعظة الخامسة	حسن الخلق (أدب الحديث مع الناس)	النهي عن الغرور والتكبر وعدم رفع الصوت، التحلي بالأخلاق الكريمة	المرحلة الثانوية	١٥٣
٨	المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة لقمان الحكيم	التربية بالموعظة الحسنة وأهميتها وأساليبها	حب العلم	التنوع في الأساليب التربوية وفق المنهج النبوي، الاستزادة من العلم النافع، وكراهية العلم الضار		١٥٥
		المؤمن مكلف بإرشاد أهله وإصلاح بنيه كما هو مكلف بإصلاح نفسه	الرحمة	الرحمة بالضعفاء، الرفق في التعامل مع الآخرين		١٦٥
		أول ما يجب على الآباء: بناء العقيدة الصحيحة في نفوس أبنائهم	التربية الإيمانية	الاهتمام بعقيدة الأبناء والأسرة، الحكمة في حل المشكلات	المرحلة الثانوية	١٦٦
		التخلية قبل التحلية	تهذيب النفس	الاهتمام بصلاح الأعمال والتخلي عن الفساد	المرحلة الثانوية	١٦٧
		الشرك ظلم عظيم	العبودية والإخلاص	إفراد الله تعالى بالعبودية وإخلاص النية لله، النفور من النفاق	المتوسطة والثانوية	١٦٨
		قيام الآباء بواجبهم نحو الأبناء	البر والإحسان	احترام الأكبر سنا، البذل والعطاء في الأسرة، حب الأبناء، طاعة الوالدين	المتوسطة والثانوية	١٧٢

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
		التعظيم لحق الأبوين، قرن الله شكرهما بشكره	الشكر لله وللوالدين	شكر لله وطاعته، عدم معصيته، شكر الوالدين، حبهم ورعايتهم، طاعتهم والنفقة عليهم.... إلخ	جميع المراحل	١٧٥
		ترويض الأبناء على مراقبة الله وخشيته في كل شئون حياتهم	مراقبة الله تعالى	الإخلاص لله سبحانه وتعالى في جميع الأعمال، الخوف من الله سبحانه، الإكثار من الطاعات، البعد عن المعاصي	المرحلة الثانوية	١٨٢
		تنشئة الأبناء على حب الخير	سلامة الصدر من الأحقاد	حب الخير للآخرين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، العفو عمن أساء لغيره	المتوسطة والثانوية	١٩٣
٩	ورود القصة في القرآن الكريم	عزم سيدنا موسى عليه السلام على السفر إلى العبد الصالح	التعلم	بذل الجهد في سبيل الحصول على العلم (فوق كل ذي علم عليم)	المرحلة الثانوية	٢١٣
		التحلي بالأدب مع العلماء	التواضع	احترام العلماء، توقير العلم وأهله، الصبر على العلم، طاعة المعلم	المتوسطة والثانوية	٢١٨
		اعتراض سيدنا موسى عليه السلام وإنكاره على الخضر بعض التصرفات	دفع المنكر	الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، التثبت قبل الاعتراض	المرحلة الثانوية	٢٢١
		البون الشاسع بين علم الله المحيط بكل شيء وفهم الإنسان القاصر	العلم	علم الله تعالى محيط بالكون كله، صبر المتعلم على معلمه، استخدام الأدلة العلمية في التثبت	المرحلة الثانوية	٢٢٦

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
١٠	ورود القصة في السنة النبوية	موسى بن عمران وصاحبه الخضر	التثبت	تحري الدقة في القول، إقامة الحجة والبراهين على كل قول	المرحلة الثانوية	٢٣٧
		فتى سيدنا موسى عليه السلام يوشع بن نون	الطاعة	تقدير الفتوة، تدريب الشباب على تحمل المسئولية	المرحلة الثانوية	٢٤٥
		الخضر عليه السلام	العبودية	الإخلاص في العمل، تحقيق العبودية لله تعالى، شكر لله تعالى على نعمه	المرحلة الثانوية	٢٥١
١١	المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام	صفات العالم والمتعلم	الحلم والأناة	الإصغاء للمعلم، لين الجانب، الصبر على تلقي العلم	المتوسطة والثانوية	٢٧٧
			الخشية من الله	مراقبة الله تعالى في السر والعلن (الحياء من الله)	المتوسطة والثانوية	
			التروي في الأمور	التأني وعدم العجلة في الحكم على الأشياء، تحري الدقة في إثبات الأحكام	المتوسطة والثانوية	
١٢	العلم سبب ممدود إلى السماء، وممتد إلى مالا نهاية له	علم الله تعالى لا نهاية له	طلب العلم «وقل رب زدني علما»	السعي في طلب العلم، استخدام الأدلة العلمية، الاهتمام بالعلوم الدينية والدنيوية	المرحلة المتوسطة	٢٨٠

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
١٣	موسى عليه السلام أول من سن الرحلة في طلب العلم	القرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان على أهمية الرحلة في طلب العلم «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين»	فضل العلم	الحرص على مجالسة العلماء والأخذ عنهم، تقدير العلم والعلماء، المثابرة على تحصيل العلم	المرحلة المتوسطة	٢٨٦
١٤	الأخذ بالأسباب سبيل النجاح في الأمور المهمة	التوكل على الله تعالى في كل كل الأمور	العدل	حق الفرد في دفع الظلم عن نفسه، حق الفرد في دفع الظلم عن الآخرين، «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..الآية»	المرحلة الثانوية	٢٩٠
١٥	حسن معاملة الخدم يشيع المحبة بينهم وبين مخدوميهم	المعاملة الإسلامية الحكيمة للخدم	الرحمة	تقدير مشاعر الآخرين، لين الجانب والتلطف بالخدم، التخفيف عن الخدم	المرحلة المتوسطة	٢٩٢
١٦	اتخاذ الصاحب في السفر يخفف من عنائه	الرفقة في السفر على ما قد يحدث فيه من مشكلات وعوائق	اختيار الصاحب الأمين في السفر	تحقيق مبدأ الأخوة الإيمانية والإنسانية، القيام بواجبات الأخوة	المرحلة الثانوية	٢٩٥
١٧	اقتران الرحمة بالعلم	تقديم الرحمة على العلم «وآتيناه رحمة من عندنا»	العلم النافع خير وبركة	الحرص على تلقي العلم النافع، والاستفادة منه، السعي في طلبه	المرحلة المتوسطة	٢٩٦

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
١٨	الإخبار عن الألم ما لم يكن صادرا عن ضجر أو سخط	الرضا والتسليم للقضاء	الإيمان	الإيمان بالقضاء والقدر، الحكمة في حل المشكلات	المرحلة الثانوية	٢٩٨
١٩	الأدب في طلب العلم	قوة العزيمة في حمل النفس على طلب العلم النافع	التواضع	الإقبال على المعلم، التلطف مع العلماء	المتوسطة والثانوية	٢٩٩
٢٠	على طالب العلم ابتغاء العلم الذي يهدي إلى الرشد والخير	تصحيح النية والهدف	الصدق	الابتعاد عن التصرفات القبيحة، حسن التصرف، الصدق مع الله ثم مع النفس ثم مع الناس	المرحلة المتوسطة	٣٠٢
٢١	أن يلتزم المتعلم الصبر مع معلمه	الصبر على طلب العلم	أدب الحديث	تقدير جهود العلماء، البعد عن المجادلة والاغترار بالنفس	المرحلة الثانوية	٣٠٣
٢٢	الإفادة من حب الاستطلاع في الأمور النافعة	فطرة النفس البشرية على حب الاستطلاع	العبودية لله تعالى	إفراد الله تعالى بالعبادة والطاعة، إعمال العقل في النافع والمفيد، البعد عن هوى النفس	المرحلة المتوسطة	٣٠٥
٢٣	الاستعانة بالله تعالى في جميع الأعمال	تعليق الوعد بالمشيئة، «ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمراً»	الوفاء بالوعد	احترام العهود والمواثيق، الثبات على المبدأ	المرحلة المتوسطة	٣٠٦

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٢٤	المسلم مجبول على عمل الخير	على المسلم ألا يقابل الإساءة بمثلها	الحلم	سعة الصدر، تقبل الأعذار، الصفح، والإحسان «ادفع بالتي هي أحسن..الآية»	المرحلة الابتدائية	٣٠٧
٢٥	الصبر أعظم وسيلة لبلوغ المنازل السامية	الصبر سلاح في مواجهة الصعاب، والنوازل، والصبر من عناصر الرجولة الناضجة	الطاعة	الانقياد لأوامر الله تعالى، الاستقامة وفق شريعة الله	المرحلة الثانوية	٣٠٨
٢٦	المسلم يبعد نفسه عن مواطن التهم	البعد عن مواطن الشبهات	العفة	تطهير القلب والجوارح من الآثام، البعد عن المعاصي	المرحلة الثانوية	٣١٢
٢٧	المسلم مدعو لرفع الظلم ومساندة المظلومين بالحكمة	الأخذ على يد الظالم	الشجاعة	الجرأة في قول الحق، العمل على رفع الظلم والمعاناة عن الضعفاء	المرحلة المتوسطة	٣١٣
٢٨	الفطرة السليمة تهفو إلى الكسب الشريف	اليد العليا خير من اليد السفلى	العمل	السعي في طلب الرزق الشريف، البعد عن التسول، والاستجداء	المرحلة المتوسطة	٣١٤
٢٩	مراعاة الأدب مع الله	الأدب مع الله تعالى	الحب	حب الخالق المنعم الرزاق	المرحلة المتوسطة	٣١٥

تفعيل القيم المستفادة من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الميدان التربوي (الجزء الثالث)

م	عنوان الموضوع	الفكرة الجانبية	القيمة التربوية	مظاهرها	الصف المناسب لها	الصفحات
٣٠	الله تعالى يحفظ العبد الصالح في نفسه وولده	صلاح الآباء ينفع الأبناء	الطاعة	الطاعة لله تعالى، طاعة الرسول الكريم واتباع سنته	المرحلة الابتدائية	٣١٨
٣١	العجلة عند الغضب	في التأني السلامة	الحلم	ضبط النفس عند الغضب، سعة الصدر، كظم الغيظ	المرحلة الثانوية	٣١٩
٣٢	الإنقياد لأوامر الله تعالى	التسليم بقضاء الله وقدره	الرضا والتسليم	تحقيق العبودية لله تعالى، الأخذ بالأسباب، الاقتداء بالرسول الكريم، عدم الاعتراض على قضاء الله تعالى واحتساب الأجر	المرحلة الثانوية	٣٢٠
٣٣	المؤمن عميق النظرة صادق التحليل	عمق النظرة المستقبلية للمؤمن	الفطانة	بذل الجهد في المطلوب من الأعمال	المرحلة الثانوية	٣٢٢
٣٤	غرس المفاهيم التربوية عن طريق العمل	الحرص على العمل	العمل	الجد والمثابرة، عدم إهدار الوقت والمحافظة عليه	المرحلة الثانوية	٣٢٣

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، وبعد:

فقد يسر الله بمنه وكرمه إتمام الجزء الأول، والجزء الثاني من سلسلة «المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام».

وها نحن نقدم بين يدي القارئ الكريم الجزء الثالث من هذه السلسلة المباركة، والذي جعلناه متضمنا لقصص سيدنا زكريا وسيدنا يحيى وسيدنا عيسى وأمه السيدة مريم ابنة عمران عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأزكى التسليمات، ثم أتبعنا كل قصة من هذه القصص بالعبر والعظات والمفاهيم التربوية المستفادة من المواقف الأسرية المنتظمة في قصص هؤلاء الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام.

وقد رأينا أن نلحق بهذه الكوكبة المباركة من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام شخصيتين كان لهما أثر عظيم في الأحداث الاجتماعية والأسرية، وكان السبب الرئيس في اختيار هاتين الشخصيتين، من بين شخصيات كثيرة ذكرت في القرآن الكريم، وقصص أخرى فيها عبر وعظات، هو كونهما مختلفا في نبوتهما، وسيجد القارئ الكريم في مستهل قصتيهما تحرير هذه المسألة،

وبيان أقوال العلماء وأدلتهم والراجح منها، من أجل ذلك رأينا أن نلحق هاتين الشخصيتين بقصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وذلك من أجل استخلاص المفاهيم التربوية المستفادة من المواقف التربوية الأسرية الواردة في قصتي هاتين الشخصيتين.

أما أولاهما فهي قصة لقمان الحكيم مع ابنه الذي خلّد قصته القرآن الكريم من خلال سورة سميت باسمه، ومن خلال المواعظ البليغة، والحكم الراقية التي كان يسوس ابنه بها، فهي نبراس لكل غلام ينشد أبواه تربيته على أعلى الفضائل، وأنبل الأخلاق وأزكاها.

وأما الشخصية الثانية فهي الخضر عليه السلام الذي رحل إليه نبي من أولي العزم هو سيدنا موسى عليه السلام لينهل من علمه، ويسترشد بهديه، فرجع بثلاث مسائل كان لها بعد اجتماعي كبير في كيفية علاج الخلل، والوصول إلى الهدف، والتخلص من أثر الظلم بهدوء وحكمة، وأهمية الأسرة والعمل على الحفاظ على صلاحها وطهارتها، والاهتمام برعاية الأيتام وبركة صلاح الآباء وأثر ذلك على الأبناء.

والهدف من دراسة قصص هذه الكوكبة المباركة هو استخلاص المفاهيم التربوية والأسرية التي تكون نبراسا لنا في حياتنا نستطيع من خلالها تكوين أسر مسلمة مؤسسة على عقيدة الإسلام، وعلى التوادِّ والتراحم والإخلاص، وغرس القيم الدينية الأصيلة في نفوس أفرادها، المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ليستبين لنا من خلالها أن حديث القرآن الكريم عن

الأسرة كان حديثا عن نظام كلي متكامل جامع لكل أسباب خير الإنسان والمجتمع، وإن الناظر إلى مفردات هذا النظام نظرة واعية يقف مبهورا بما يراه من إحكام البناء وتوافق النتائج مع المقدمات، وتسلسل العناصر وتتابعها في نسق بديع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويرد على من نعى على المسلمين أن القرآن لا يصلح للعصر الذي نعيشه، وأنه لا يشتمل على النظريات العصرية أو النظريات التربوية.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾[1].

وقد رأى الفريق[2] من باب إتمام الفائدة تضمين فهرس الجزء الأول من كتاب المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام في الجزء الثالث، وكذلك فهرس الجزء الثاني، فيكون الترتيب على الشكل التالي:

١ - فهرس الجزء الثالث.

٢ - فهرس الجزء الثاني.

٣ - فهرس الجزء الأول.

وذلك ليحاط القارئ بتسلسل الموضوعات في الأجزاء كلها، وليسهل عليه الرجوع إليها في موطنها عند الرغبة في ذلك.

---

(١) سورة الكهف الآية: ٥ .

(٢) أعضاء الفريق هم : د. عبدالمحسن الجار الله الخرافي رئيساً
د. محمد المأمون محمد علي المحرزي عضواً
د. عبدالله محمد حسن عضواً
د. أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل عضواً
أ. سامي محمد العسلاوي مقرراً

ونأمل من القارئ الكريم إن رأى خللا أو كانت لديه مقترحات مفيدة أن يزودنا بها مشكورا مأجورا إن شاء الله على عنوان اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت المذكور في صدر الكتاب.

والحمدلله رب العالمين

د. عبدالمحسن الجارالله الخرافي

رئيس اللجنة التربوية

الباب التاسع
سيدنا زكريا وسيدنا يحيى عليهما السلام

- تمهيد
- المبحث الأول : طلب الولد من الله سبحانه.
- المبحث الثاني : البشارة بسيدنا يحيى عليه السلام وبصفاته.
- المبحث الثالث : ولادة سيدنا يحيى عليه السلام ونعم الله عليه.
- المبحث الرابع: المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا زكريا وسيدنا يحيى عليهما السلام.

تمهيد

سيدنا زكريا عليه السلام نبي من أنبياء بني إسرائيل، قضى عمره في الدعوة إلى الله عز وجل، وكان متزوجا أخت السيدة مريم ابنة عمران أم سيدنا عيسى عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى السلام، وكان سيدنا زكريا عليه السلام يأكل من عمل يده، فقد كان نجارا، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وكان زكريا نجارا»[1].

(١) أخرجه مسلم في كتاب - الفضائل - الحديث (٦١١٢)، وابن ماجه في كتاب - التجارات - الحديث (٢١٥٠)، وابن حبان في صحيحه الحديث (٥١٤٢)، وأحمد (٢/٤٠٥).

المبحث الأول
طلب سيدنا زكريا عليه السلام الولد من الله سبحانه

طلب سيدنا زكريا عليه السلام الولد من الله سبحانه

كان سيدنا زكريا عليه السلام يتمنى أن يرزقه الله عز وجل ولدا يواصل دعوته إلى الله تعالى من بعده، خوفا على قومه أن يضلوا، فقد كانت بوادر الضلال تظهر فيهم. لأن أقرباءه ومواليه (كانوا مهملين للدين، فخاف بموته أن يضيع الدين)[1] لذلك توجّه عليه السلام إلى ربه بالدعاء عند رؤيته كرامة الله عز وجل لمريم ابنة عمران الصالحة أخت زوجته - التي كان يتردد عليها لكونه كفيلاً لها - إذ كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً، أي: طعاما وشراباً وفاكهة في غير أوانها، فسألها من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

فلما رأى زكريا عليه السلام آيات الله الباهرات، وإكرامه تعالى لمريم المؤمنة المتبتلة، حفزه ذلك على أن يتوجه إلى محرابه، ويقف بين يدي ربه، ويطلق لكيانه ولسانه العنان، طالبا من الله عز وجل ما شغل فكره، وعاش معه دهره، وبالفعل توجه عليه السلام بالدعاء إلى الله عز وجل طالبا منه أن يرزقه الولد، وقد التزم السرية في دعائه هذا ليكون سرا بينه وبين ربه، وليقينه أنه سبحانه وتعالى مطّلع على فؤاده ورغبته، وليتجنب ملامة قومه وسامعيه، وهو في هذه الحال، وهذه السن يطلب الولد، ولأن الله عز وجل يحب النداء الخفي، والقلب النقي، فعرض على ربه - وهو أعلم به - حاله، وبين في هذه اللحظات مايطلبه ويرجوه في غاية من الخضوع، وامتلاء من الرجاء، وعن كل ما سبق يقول سبحانه وتعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢

(١) تفسير الثعالبي (٣/٣).

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾[1]، ويقول أيضا عن السيدة مريم ودخول سيدنا زكريا عليه السلام عليها، ورؤيته نعم الله التي كان يهيها الله عز وجل لها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[3]، فهذه الآيات الكريمة تصور لنا تصويرا دقيقا مناجاة سيدنا زكريا عليه السلام لربه (فهو يناجيه بعيدا عن عيون الناس، بعيدا عن أسماعهم، في عزلة يخلص فيها لربه، ويكشف له عما يثقل كاهله، ويكرب صدره، ويناديه في قرب واتصال «رب..» بلا واسطة حتى ولاحرف النداء، وإن ربه ليسمع ويرى من غير دعاء ولانداء، ولكن المكروب يستريح إلى الْبَثِّ، ويحتاج إلى الشكوى، والله الرحيم بعباده يعرف أن ذلك من فطرة البشر، فيستحب لهم أن يدعوه، وأن يبثوه ما تضيق به صدورهم، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4] ليريحوا أعصابهم من العبء

---

(١) سورة مريم الآيات : ١ - ٦ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان : ٣٧، ٣٨ .

(٣) سورة الأنبياء الآية : ٨٩ .

(٤) سورة غافر الآية : ٦٠ .

المرهق، ولتطمئن قلوبهم إلى أنهم قد عهدوا بأعبائهم إلى من هو أقوى وأقدر، وليستشعروا صلتهم بالجناب الذي لايضام من يلجأ إليه، ولايخيب من يتوكل عليه)[1].

تذلل سيدنا زكريا وشكواه في طلب الولد :

شكا سيدنا زكريا عليه السلام إلى ربه وهن العظم، وحين يهن العظم يكون الجسم كله قد وهن، فالعظم هو أصلب ما فيه، وهو قوامه الذي يقوم به، ويجتمع عليه، ويشكو إليه اشتعال الرأس شيبا، والتعبير المصور يجعل الشيب كأنه نار تشتعل، ويجعل الرأس كله كأنما تشمله هذه النار المشتعلة، فلا يبقى في الرأس المشتعل سواد.

ووهن العظم واشتعال الرأس شيبا كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه سيدنا زكريا عليه السلام، ويشكوه إلى ربه، وهو يعرض عليه حاله ورجاءه. ثم يعقّب عليه بقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[2] معترفا بأن الله قَدْ عَوَّدَهُ أن يستجيب إليه إذا دعاه، فلم يَشْقَ مع دعائه لربه، وهو في فتوته وقوته، فما أحوجه الآن في هرمه وكبره أن يستجيب الله له، ويتم عليه نعمته.

فإذا صور حاله، وقدم رجاءه، ذكر ما يخشاه، وعرض ما يطلبه ... إنه يخشى مَنْ بعده، يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه، وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها - وهو أحد أنبياء بني إسرائيل البارزين - وأهله الذين

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٣٠٢).

(٢) سورة مريم جزء من الآية : ٤ .

يرعاهم - ومنهم مريم التي كان قيما عليها، وهي تخدم المحراب الذي يتولاه - وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه، وهو يخشى الموالي من ورائه على هذا التراث كله، ويخشى ألا يسيروا فيه سيرته، قيل لأنه يعهدهم غير صالحين للقيام على ذلك التراث. ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾[1] .. لم تعقب فلم يكن له من ذريته مايملك تربيته وإعداده لوراثته وخلافته، ذلك ما يخشاه[2].

الهدف من طلب الولد :

(دعا سيدنا زكريا ربه أن ينعم عليه بأن يرزقه الولي الصالح، الذي يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه وتراث النبوة من آبائه وأجداده: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾[3]، ولاينسى زكريا، النبي الصالح، أن يصور أمله في ذلك الوريث الذي يرجوه في شيخوخته ﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[4] لاجباراً ولاغليظاً، ولامتبطراً ولا طموعاً، ولفظة «رضي» تلقى هذه الظلال، فالرَّضِي الذي يَرْضى ويُرْضِي، وينشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله.

ذلك دعاء سيدنا زكريا عليه السلام لربه في ضراعة وخفية، والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع الرخي، كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء)[5]. كما تشارك

---

(١) سورة مريم الآية : ٥ .

(٢) في ظلال القرآن (٢٣٠٢/٤).

(٣) سورة مريم الآية : ٥، ٦ .

(٤) سورة مريم جزء من الآية : ٦

(٥) في ظلال القرآن (٢٣٠٢/٤) بتصرف يسير.

في تصوير الهدف منه، كما يُصور هذا الهدف أيضا قوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[1] (أي: لاتتركني بلا ولد، ولا وارث يقوم في الناس بعدي ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ هذا دعاء وثناء للمسألة ذاتها)[2].

وهكذا حدد سيدنا زكريا عليه السلام صفات الذرية الطيبة التي يريد: وَلِيّاً لله، ولرسله وارثاً، وارثاً لعلوم النّبوة، ومجد الآباء والأجداد، رضيٌّ لربه ولنفسه، ولأهله ولمن حوله. إنه يريد ولداً قُرَّة عين لوالديه، ولمن حوله[3].

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٨٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٩٣/٣).

(٣) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم (ص ١٤٥).

المبحث الثاني
البشارة بسيدنا يحيى عليه السلام وبصفاته

البشارة بسيدنا يحيى عليه السلام وبصفاته

ظَلّ سيدنا زكريا عليه السلام مستغرقا في الدعاء في خشوع وخضوع بكل كيانه، إلى أن استجاب الله عز وجل دعاءه، وأرسل إليه ملائكة تبشره بهذه الاستجابة قائلا له: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾[1] (ويغمره سبحانه وتعالى بعطفه وفضله فيختار له اسم الغلام الذي بشره به ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾[1] وهو اسم فذ غير مسبوق: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾[1]. إنه فيض الكرم الإلهي يغدقه على عبده الذي دعاه في ضراعة، وناجاه في خفية، وكشف له عما يخشى، وتوجه إليه فيما يرجو، والذي دفعه إلى دعاء ربه خوفه الموالي من بعده على العقيدة، وعلى تدبير المال، والقيام على الأهل بما يرضى الله، وعلم الله ذلك من نيته فأغدق عليه وأرضاه)[2]. وقد ذكر الله عز وجل هذه البشارة في قوله سبحانه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾[3]، وفي قوله سبحانه: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ

(١) سورة مريم جزء من الآية : ٧ .

(٢) في ظلال القرآن (٢٣٠٢/٤، ٢٣٠٣).

(٣) سورة آل عمران الآيات : ٣٩ - ٤١ .

لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾[1].

وفي قوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[2]. فهذه الآيات الكريمة تبين أن البشرى بيحيى لزكريا عليهما السلام كانت في أقرب لحظاته إلى ربه، وفي أشرف الأماكن وأعظم الحالات، في محرابه، وهكذا فالاستجابة للدعاء تكون مرهونة بمدى قرب المرء من ربه سبحانه، وليست مرهونة بألفاظ يلوكها بلسانه، دون حركة الأعضاء خضوعاً وسجوداً، ودون حركة القلب شعوراً وحباً.

والاستجابة للدعاء تكون مرهونة بانطلاق هذا الدعاء من القلب الطاهر الذي علق رجاءه بمن يسمع الدعاء، ويملك الإجابة حيث يشاء.

لقد استجيبت الدعوة، ولم يحل دونها مألوف البشر الذي يحسبونه قانوناً، ثم يحسبون أن مشيئة الله سبحانه مقيدة بهذا القانون! وكل ما يراه الإنسان ويحسبه قانونا لايخرج عن أن يكون أمراً نسبياً - لامطلقاً ولا نهائياً - فما يملك الإنسان وهو محدود العمر والمعرفة، وما يملك العقل وهو محكوم

(١) سورة مريم الآيات : ٧ - ١١ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٩٠ .

بطبيعة الإنسان هذه، أن يصل إلى قانون نهائي، ولا أن يدرك حقيقة مطلقة.. فما أجدر الإنسان أن يتأدب في جناب الله، وما أجدره أن يلتزم حدود طبيعته، وحدود مجاله، فلا يخبط في التيه بلا دليل. وهو يتحدث عن الممكن والمستحيل، وهو يضع لمشيئة الله المطلقة إطاراً من تجاربه هو، ومن مقرراته هو، ومن علمه القليل[1]!.

ولكي يتم تحقيق هذه البشرى أصلح الله عز وجل زوج سيدنا زكريا بأن رَدَّ إليها شبابها، وجعلها ولوداً بعد أن كانت عقيماً لاتلد[2].

صفات سيدنا يحيى عليه السلام التي بشر الله عز وجل بها والده :

تتابعت نعم الله سبحانه وتعالى على سيدنا زكريا عليه السلام في شخص المبشر به سيدنا يحيى عليه السلام، فقد حملت البشرى أن هذا الولي سيكون متصفا بصفات عدة، تتمثل فيما يلي:

١ - **أنه سيكون مؤمنا** كما يريده أبوه.

٢ - **ومصدقا** ، أي: كامل التوفيق، لايتردد في كلمة تأتي من عند الله، وقد أجمل هذا الخبر لزكريا عليه السلام ليعلم أن حادثاً عظيماً سيقع يكون ابنه فيه مصدقاً برسول يجيء وهو عيسى عليه السلام، ووصف عيسى عليه السلام (كلمة من الله) لأنه خُلِقَ بمجرد أمر التكوين الإلهي المعبر عنه بكلمة «كن» أي: كان تكوينه غير معتاد[3] وتصديق سيدنا يحيى لسيدنا عيسى عليه السلام هو أنه (كان

---

(١) في ظلال القرآن (٣٩٤/١).

(٢) روح المعاني (٨٧/١٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣٩/٣، ٢٤٠).

أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله وروحه)[1].

والكلمة على هذا إشارة إلى مجئ عيسى عليه السلام، ولاشك أن تصديق الرسول، ومعرفة كونه صادقاً بدون تردد، هدى عظيم من الله لدلالته على صدق التأمل السريع لمعرفة الحق، وقد فاز بهذا الوصف سيدنا يحيى عليه السلام حين صدق بكلمة الله سيدنا عيسى عليه السلام.

٣ - **وسيكون (سيداً)**، والسيد من ساد يسود، إذا فاق قومه في محامد الخصال، حتى قدموه على أنفسهم، واعترفوا له بالفضل، فالسؤدد عند العرب في الجاهلية يعتمد كفاية مهمات القبيلة، والبذل لها، وإتعاب النفس لراحة الناس، قال الهذلي:

وإن سيادة الأقْوَامِ فَاعْلَمْ ... لها صُعَدَاءُ مطلبها طويل

أترجو أن تَسُودَ ولن تُعَنّى ... وكيف يَسُودُ ذو الدعَةِ البخيل

وكان السؤدد عندهم يعتمد خلالاً مرجعها إلى إرضاء الناس على أشرف الوجوه، وملاكه بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال العظائم، وأصالة الرأي، وفصاحة اللسان.

والسيد في اصطلاح الشرع من يقوم بإصلاح حال الناس في دنياهم وأخراهم معاً. ووصف الله عز وجل سيدنا يحيى عليه السلام بالسيد لتحصيله الرئاسة الدينية فيه من صباه، فنشأ محترماً من جميع قومه، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾[2] وقد قيل: السيد هنا الحليم التقي معاً، وقيل: هو الحليم فقط، أو الشريف، أو

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣٥/٨).

(٢) سورة مريم الآيتان : ١٢، ١٣ .

العالم[1]، أو هو قدوة للمؤمنين، ورئيس لهم في الدين، أعني في العلم والحلم والعبادة والورع، أو الكريم على الله، أو الفقيه العالم، أو الذي لا يغلبه الغضب، أو السيد المتقدم المرجوع إليه، فلما كان سيدا في الدين كان مرجوعا إليه في الدين، وقدوة في الدين، فيدخل فيه جميع الصفات المذكورة من العلم والحلم والكرم والعفة والزهد والورع[2].

٤ - **وحصورا** : أي: بعيدا منزها عن الفواحش والقاذورات التي يقع فيها الشباب من الخلق، وخاصة الميل إلى الفساد وما يتبعه، فهو قد حبس نفسه عن الفواحش كلها صغيرها وكبيرها، لا يفكر فيها، ولايتجه صوبها، فلايُمَسُّ في كرامته، ولايقدح شرفه وعرضه، بل هو مثال فريد في الاستقامة، وطهارة الذيل، لكل شاب وشابة، ومؤمن ومؤمنة.

٥ - **ونبيا من الصالحين** : والمراد بالصلاح هنا: ما فوق الصلاح الذي لابد منه في منصب النبوة البتة، من أقاصي مراتبه، وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝١٩﴾[3].

موقف سيدنا زكريا عليه السلام من البشارة :

لما طرقت البشرى سمع سيدنا زكريا عليه السلام، ولامست شغاف قلبه، أدركه تعجب واندهاش، وفاض لديه تطلع ورغبة لمعرفة الطريقة التي يكون بها الولد، وتتحقق بها البشرى الإلهية، وقد عرف من نفسه الوهن، ومن زوجته العُقر،

---

(١) التحرير والتنوير (٣/٣٤٠، ٣٤١) بتصرف.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٨/٣٦).

(٣) الكشاف (١/٤٢٨) ومفاتيح الغيب (٨/٣٧) وتفسير القرآن العظيم (١/٣٦٢) والآية من سورة النمل ١٩ .

فانطلق لسانه، بالسؤال ليس للملائكة الذين بشروه، بل لله الذي قدر ذلك وأراده، واستجاب له الدعاء: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾[1]، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾[2].

إنه يقرر الواقع والحال التي عرفها من نفسه، وعرضها في شكواه، وبثها إلى مولاه، فكيف يتأتى مجيء الولد والحالة هذه؟ أمن زوجي هذه العاقر، أم من زوج أخرى، أم بسبيل غير معهود؟

فردته الملائكة إلى الحقيقة وإلى ذاته[3]، ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾[4]، ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾[5]. (وليس في الخلق هين وصعب على الله، ووسيلة الخلق للصغير والكبير، وللحقير والجليل واحدة «كن فيكون»، والله هو الذي جعل العاقر لاتلد، وجعل الشيخ الفاني لاينسل، وهو قادر على إصلاح العاقر، وإزالة سبب العقم، وتجديد قوة الإخصاب في الرجل، وهو أهون في اعتبار الناس من إنشاء الحياة ابتداء، وإن كان كل شيء هيناً على القدرة إعادة وإنشاء)[6].

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٤٠ .

(٢) سورة مريم الآية : ٨ .

(٣) آباء وأبناء ملامح تربوية ص ١٤٨ .

(٤) سورة آل عمران جزء من الآية : ٤٠ .

(٥) سورة مريم الآية : ٩ .

(٦) في ظلال القرآن (٤/٢٣٠٣).

آية تدل على تحقق الْبُشْرى لسيدنا زكريا عليه السلام :

لما كان سيدنا زكريا عليه السلام شديد التعلق والحرص والتلهف على إنجاب الولد، لذا فقد قال لربه ﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾[1] (أي: علامة ودليلا على تحقيق ما وعدتني به من الولد لتستقر نفسي، ويطمئن قلبي بما وعدتني، فأعطاه الله سبحانه وتعالى آية تناسب الجو النفسي الذي كان فيه الدعاء، وكانت فيه الاستجابة، ويؤدي بها حق الشكر لله الذي وهبه على الكبر غلاماً ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ أي: علامتك ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[1] أي: أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوي من غير مرض ولاعلة، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسُدِّي وقتادة وغير واحد: اعتقل لسانه من غير مرض ولاعلة. قال زيد بن أسلم: كان يقرأ ويسبح ولايستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي: متتابعات، والقول الأول عنه وعن الجمهور أصح، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾[2]، وقال مالك عن زيد بن أسلم: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ من غير خرس، وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها إلا رمزا، أي: إشارة، ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾[3] أي: الذي بشر فيه بالولد ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾[3] أي: إشارة خفيفة سريعة

(١) سورة مريم الآية : ١٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٤١ .

(٣) سورة مريم الآية : ١١ .

- لأنه منع الكلام إلا الرّمز - أي الإشارة باليد أو بالرأس أو نحوهما - ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾[1] أي: موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكراً لله على ما أولاه)[2] وأولاهم بنعمه.

قال الزمخشري (فإن قلت: لم حبس لسانه عن كلام الناس؟ قلت: ليخلص المدة بذكر الله، لايشغل لسانه بغيره توفّراً منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة، وشكرها الذي طلب الآية من أجله، كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له: أَيَتُكَ أن تَحْبِس لسانك إلا عن الشكر[3]) أو نَحْبِس لسانك إلا عن الشكر والتسبيح والثناء.

وإن في هذه الآية الكريمة، وعمل هذا النبي الجليل تعليم للمسلمين وحث لهم، على حمد الله وشكره عند حدوث أي نعمة من نعم الله عز وجل، أو دفع أي نقمة، وكيفية الشكر في حالات تقلب الإنسان، قد بينته الشريعة المطهرة في الآيات الكريمات، والأحاديث الشريفة. وقد قالوا: وبالشكر تدوم النعم[4].

---

(١) سورة مريم الآية : ١١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/١١٢، ١١٣).

(٣) الكشاف (١/٤٢٩).

(٤) آباء وأبناء ملامح تربوية (ص ١٤٩، ١٥٠).

المبحث الثالث
ولادة سيدنا يحيى عليه السلام ونعم الله عليه

ولادة سيدنا يحيى عليه السلام ونعم الله عليه

لما أعطى الله عز وجل لسيدنا زكريا عليه السلام العلامة والآية التي تدل على استجابته خرج على قومه من المحراب، وأشار إليهم بيده ليشرعوا في عبادتهم وصلاتهم، وعاد إلى عبادته لأنه حَبْرهم الأعظم، وإمامهم المقدم. وفي هذا الجو الإيماني الرفيع والابتهالات والصلوات يستغرق سيدنا زكريا عليه السلام وقومه معه، ويصلح الله له زوجه، ويولد سيدنا يحيى بن زكريا، ويشب ويترعرع، ويأتيه النداء الإلهي ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[1] وهذا هو يحيى يَدُبُّ ويدرج يَافِعاً في مقتبل العمر، ويؤمر بتلقي العلم من مصدره ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[1] والمقصود بالكتاب: التوراة، وبقوة: بجد واجتهاد، وتعلم منه، وحفظ له، وعمل به، والتزام لأوامره، وكف عن نواهيه، وكذلك بتوفيق الله ورعايته كان، فقد قام به حق القيام متعلما ومعلما[2].

نعم الله عز وجل على سيدنا يحيى عليه السلام :

أنعم الله عز وجل على سيدنا يحيى عليه السلام بنعم عظيمة من أهمها مايلي:

١ - **أعطاه الله الحكم صبيا** : أي: المعرفة بالأحكام الشرعية، وما يجب وما يحرم، وما يجوز وما لايجوز، وهو صبي. قال الإمام الطبري: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ أي: أعطيناه الفهم بكتاب الله - التوراة - في حال صباه، قبل بلوغه سن الرجال[3]. وأعطيناه استقامة الفكر، وإدراك الحقائق في حال الصبا على

---

(١) سورة مريم الآية : ١٢ .

(٢) آباء وأبناء ملامح تربوية (ص ١٥٠).

(٣) جامع البيان لابن جرير الطبري (٤٢/١٦)، وتفسير القرآن العظيم (١١٤/٣) بتصرف.

غير المعتاد[1].

٢ - **والحنان** : قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾[2] والحنان هو: الشفقة والرحمة والمحبة، والتعطف، والمقصود أن الله عز وجل وهب سيدنا يحيى عليه السلام ومنحه حناناً في قلبه، ورقة في سلوكه، ورأفة في مشاعره، يرحم بها الخلق، ويشفق عليهم، ويسعى لإنقاذهم من الهلكة والضلالة، ويعمل لإخراجهم من الكفر والشرك، ويزرع في بني إسرائيل قساة القلوب غلاظ الأكباد هذه الخصلة الحميدة، ليتراحم الخلق ويتعاطف الناس[3].

٣ - **آتاه الله زكاة كما قال تعالى** : ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي: صدقة، أي: تصدقا على الناس، أي: أعطاه الله توفيقا للتصدق على الناس، أو أعطاه طهارة من الذنوب أو صدقة، أى: تصدق الله به على أبويه، أو مكنه ووفقه للتصدق على الناس[4]. أي جعله الله طاهراً في نفسه، فلا تلحقه معرَّة، ولايدركه وهو يدعو الناس إلى الطهارة شين أو ملامة، وهو كذلك تطهير وبركة لعشيرته وقومه[5].

٤ - ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي: كان من المتقين، موصولا بالله، متحرجاً معه، مراقبا له يخشاه، ويستشعر رقابته عليه في سره ونجواه[6].

٥ - ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: محسناً إليهما، وباراً بهما، وعطوفاً عليهما،

---

(١) التحرير والتنوير (٧٦/١٦).

(٢) سورة مريم الآية : ١٣ .

(٣) آباء وأبناء ملامح تربوية (ص ١٥١).

(٤) تفسير الجمل على الجلالين (٥٤/٣).

(٥) آباء وأبناء ملامح تربوية (ص١٥١).

(٦) في ظلال القرآن (٢٣٠٤/٤).

ومترضياً لهما، عاملاً لمرضاتهما، وساعياً كل جهده على الإحسان إليهما، والقيام بكل ما يسعدهما في شئون الدنيا وأمور الآخرة.

٦ - ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[١] ولم يكن متجبراً ولا متكبراً على أحد، ولاظالماً ولا متسلطاً على أحد من الناس، ولا مستخفاً بحقوق الآخرين، بل كان حليماً على الآخرين، يتعامل معهم بلطف ورقة وعطف.

ولما كان الأمر كذلك ولما كان يحيى عليه السلام متصفاً بهذه الصفات لذا فقد استحق من الله عز وجل التحية والسلام في الدنيا والآخرة، وفي أصعب الأحوال. ولهذا قال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[٢] أي: (سلام من الله عليه، وهو ثناء الله عليه، والمعنى: أن إكرام الله متمكن من أحواله الثلاثة المذكورة، وهذه الأحوال الثلاثة المذكورة هنا وهي أحوال ابتداء أطوار: طور الورود على الدنيا، وطور الارتحال عنها، وطور الورود على الآخرة، وهذا كناية على أنه بمحل العناية الإلهية في هذه الأحوال)[٣]. فالسلام عليه يوم يولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم. وسلام عليه يوم يموت، أي: من عذاب القبر، وسلام عليه يوم يبعث حياً، أي: من هول الموقف، وحكمة السلام عليه في هذه الأيام أنها مواطن الخوف، والسلام هو الأمن من الله فآمنه فيها[٤].

---

(١) سورة مريم الآية : ١٤ .

(٢) سورة مريم الآية : ١٥ .

(٣) التحرير والتنوير (١٦/٧٧، ٧٨) باختصار يسير.

(٤) تفسير الجمل (٣/٥٥) بتصرف.

هذه بعض الصفات التي كان يتحلى بها سيدنا يحيى عليه السلام، والتي أهلته لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة، فيها إشارة للمربين والموجهين والدعاة الذين يحملون أمانة التربية والتوجيه والدعوة إلى الله عز وجل، بأنه يجب عليهم التحلي بما كان يتحلى به سيدنا يحيى عليه السلام، كي يكونوا قدوة لغيرهم، فيؤثروا فيهم، فيتأدبوا بآدابهم، ويلتزموا بمنهجهم، ويعملوا بما يوجهوا إليه، ويجتنبوا كل ما نهوا عنه، ويستحقون السلام من الله عز وجل الذي أعطاه سبحانه وتعالى لسيدنا يحيى ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[1].

(١) سورة مريم الآية : ١٥ .

المبحث الرابع
المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا زكريا وسيدنا يحيى عليهما السلام

المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة

من قصة سيدنا زكريا وسيدنا يحيى عليهما السلام

المفهوم الأول : حب الذرية فطرة بشرية، لكن المؤمن يرجو الله أن تكون صالحة.

في طلب سيدنا زكريا عليه السلام من ربه أن يهبه وليا يرثه ويرث آل يعقوب الخ دليل على أن حب الولد فطرة في النفس البشرية، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾[1]. وبالتالي فإن الدين لا يجافي الفطرة، فها هو ذا سيدنا زكريا نبي الله عليه السلام يبلغ من العمر ما يبلغ، وفات أوانه، وأوان حمل زوجته، ولكنه طرق باب الله بالدعوات في أن يرزقه الذرية الصالحة، فدعا الله قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ...﴾[2].

وإن تلك هي سنة المرسلين والصديقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾[3]، وقال تعالى مخبرا عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[4] وقد وصف الله عباده المتقين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٣٨ .

(٣) سورة الرعد الآية : ٣٨ .

(٤) سورة الشعراء الآية : ٨٤ .

قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[1].

كما أن النبي ﷺ حض على تزوج المرأة الولود فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[2]. ودعا لأنس بن مالك رضي الله عنه بكثرة الولد فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته»[3]. وينبغي لمن يطلب الولد أن يطلبه صالحا، كما طلب سيدنا زكريا عليه السلام، فقد سأل ربه الولد قائلا: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[4]، وقال: ﴿.... ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[5].

فالغاية ليست هي كثرة الأولاد فحسب، وإنما هي بأن يكون هؤلاء الأولاد صالحين، فتقر بهم أعين آبائهم، وينتفعون بدعائهم لهم بعد أن ينتقلوا إلى ربهم (أو ولد صالح يدعو له). كما أن في طلب الولد الصالح نظرا إلى مصلحة الدين والخوف من ضياعه، ولذلك قال سيدنا زكريا عليه السلام ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى ...﴾[6] فإنه خاف من يتولى على بني إسرائيل من بعد موته ألا يقوموا بشأن الدين حق القيام، ولا يدعوا العباد إلى التوحيد، فطلب من الله الولد الصالح)[7].

وهكذا ينبغي على الآباء أن ينظروا إلى مستقبل دين الله في مجتمعاتهم وَأُمَّتِهِمْ، فالأولاد الصالحون هم الأساس الخير في المجتمعات وعماده، وبهم

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٧٤ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، حديث رقم (٢٠٥٠) والنسائي في كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم.

(٣) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال مع البركة، الحديث (٦٣٧٨).

(٤) سورة مريم جزء من الآية : ٦ .

(٥) سورة آل عمران جزء من الآية : ٣٨ .

(٦) سورة مريم الآية : ٥ .

(٧) تفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي (٥/٩٠، ٩١) بتصرف.

يصلح ما فسد، ومنهم تنشأ الأسر الصالحة فيعم الخير هذه الأمة[1].

المفهوم الثاني : الأنبياء عليهم السلام قدوتنا في التحلي بآداب الدعاء.

عندما توجه سيدنا زكريا عليه السلام لربه بالدعاء تحلى بآداب عدة، ينبغي على كل من يدعو ربه أن يلتزم بها، حتى يستجيب الله عز وجل له.

ومن هذه الآداب ما يلي:

أولها : أنه نادى ربه مفصحا عما يجيش في نفسه وما يتمناه من ربه عز وجل، ولم يكتف بالأماني القلبية دون التعبير عنها.

ثانيها : توجه إلى الله عز وجل بالدعاء، وكان هذا الدعاء في الخفاء، لأنه يعلم أن الدعاء في الخفاء محبب إلى الله عز وجل، وإخفاء الصوت في الدعاء مشعر بالانكسار الذي هو عمدة الدعاء. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى أمر بالدعاء تضرعا وخفية. قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[2].

ثالثها : قدم بين يدي دعائه ضعف نفسه وعجزها وخضوعه لربه جلت قدرته، فقال: ﴿إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[3].

رابعا : ذكر سيدنا زكريا عليه السلام بين يدي دعائه نعم الله عز وجل عليه، وتفضله عز وجل في إجابته دعواه، ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

(١) القصص القرآني ص ٢٧٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٥٥ .

(٣) سورة مريم الآية : ٤ .

خامسها : بين عليه السلام أن الطلب الذي يطلبه من ربه من أجل الدين لا لمحض الدنيا، فقال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي ...﴾[1].

سادسها : نادى ربه بقوله رب، أي: يارب[2]. ولذلك فإنه يستحب لمن يتوجه إلى الله بالدعاء أن يفعل كما فعل سيدنا زكريا عليه السلام، ويلتزم بما التزم به.

المفهوم الثالث : لا طريق لليأس إلى قلب المؤمن :

تشير قصة سيدنا زكريا عليه السلام، وطلبه من ربه وَلِيّاً يرثه ويرث آل يعقوب إلى أمر مهم وأساس في حياة الإنسان، بل والأمة الإسلامية كلها، ويتمثل هذا الأمر في: وجوب عدم تسرب اليأس والقنوط إلى النفس، فها هو عليه السلام قد اجتاز مرحلة الإنجاب، وكانت امرأته عاقرا، أي: لاتملك القدرة البيولوجية على الإنجاب، وبرغم هذه الظروف غير المواتية، كان يساوره أمل في أن يكون له ولد، فتوجه إلى ربه داعياً واثقاً من أن الله سبحانه وتعالى سوف يستجيب له، وإلا لما توجه له بهذا الدعاء، وسط هذه الظروف والمعطيات، فاستجاب الله لدعائه كما سنعرف لاحقا.

معنى هذا أنه مهما تكاثرت الكروب، واشتدت الهموم، وادلهمت الخُطوب، سواء على مستوى الفرد أو الأمة فقد يأتي يوم تنقشع فيه الغيوم، وتصفو سماء الحياة، وتتغير الظروف إلى ما هو أحسن[2] وأفضل وأكثر إشراقا، فما على الإنسان إلا أن يعبد الله حق العبادة، ويتقرب إليه بأنواع القربات المختلفة،

---

(١) سورة مريم جزء من الآية : ٥ .

(٢) القصص القرآني تفسير اجتماعي (ص ١٨٥، ١٨٦) بتصرف.

ويسير على منهجه القويم، ودستوره المستقيم، ثم مع كل ذلك لايقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روحه، إذا فعل ذلك فإنه سوف يجني ثمار ذلك خيرا وبركة، ورحمة ونعمة ورخاء، وبالتالي سوف تزول الكربات، وستكشف الهموم والخطوب، وستزول جميع العقبات بإذن الله عز وجل.

المفهوم الرابع : في كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان في كل حال.

حينما طلب سيدنا زكريا عليه السلام من ربه آية تدل على وجود الحمل، قال له سبحانه: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[1] أمره بالذكر بل بالإكثار منه، وفي هذا يقول محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، ولرخص للرجل يكون في الحرب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا....﴾[2] الآية.

ولهذا دلالة واضحة على أهمية الذكر وفضله، ولذلك فإن الله عز وجل أمر به في كل الأمور وجميع الأحوال، بل وأمر بالإكثار منه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٤١ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٤٥ .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان : ٤١، ٤٢ .

وعن مكانة ومنزلة الذكر يقول ابن القيم رحمه الله :

وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون، والذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه انعزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم، التي إذا تعطّلت عنه صارت بورا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلّبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتّجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورا. وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما وقعودا، وعلى جنوبهم. فكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بُورٌ خَرابٌ، وهو عمارتها، وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازْدَادَ الذاكر في ذكره استغراقا، ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا، وإذا واطأ

في ذكره قلبه للسانه: نسى في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضا من كل شيء.

به يزول الوقر من الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين ... كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل: كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاَّء،

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته، قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن. فإن وجدتم - الحلاوة - وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

وبالذكر: يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان. وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه. والله أعلم.

وهو في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقا ومقيدا.

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان.

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته.

الرابع: الثناء على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة.

الخامس: الإخبار عن خسران من لهى عنه بغيره.

السادس: إنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء.

الثامن: إنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة، كما كان مفتاحها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم أهل الانتفاع بآياته، وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم.

العاشر: إنه جعل قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح[1].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٤٢٣ - ٤٢٥).

الباب العاشر
سيدنا عيسى عليه السلام وأمه السيدة مريم

- تمهيد

- المبحث الأول : حمل السيدة مريم بعيسى وولادتها له.

- المبحث الثاني : ما بشرت به مريم عن خصوصيات سيدنا عيسى عليه السلام.

- المبحث الثالث : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا عيسى عليه السلام وأمه.

تمهيد

كان عمران أبو مريم رجلا عظيما بين العلماء في بني إسرائيل، وقد حملت زوجه فنذرت أن تجعل ما في بطنها من الحمل محررا - أي: حبيساً في بيت المقدس لخدمته، فلما وضعت تبينت أن الجنين الذي انفصل منها أنثى، وكانت ترجو أن يكون ذكراً ليخدم في بيت الله، فتوجهت إلى الله تعالى كالمعتذرة أو الآسفة قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾[1].

ثم لفتها في خرقة ووضعتها في بيت المقدس عند القراء فتساهم القراء عليها لأنها كانت بنت إمامهم، فكانت كفالتها من نصيب سيدنا زكريا عليه السلام، وكان زوجا لأختها أو لخالتها على القولين، فاتخذ لها مكاناً خاصاً من المسجد لايدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى إنه كان نبي الله سيدنا زكريا عليه السلام كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها[2] ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ

(١) سورة آل عمران الآية : ٣٦ .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٨٦، ٦٨٧، وروح المعاني للألوسي (٣/١٣٨، ١٣٩).

هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى عن اصطفائه لها وطهارتها واصطفائها على نساء العالمين ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ٣٧، ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران الآيات : ٤٠ - ٤٤ .

المبحث الأول
حمل السيدة مريم
بسيدنا عيسى عليه السلام وولادتها له

حمل السيدة مريم

بسيدنا عيسى عليه السلام وولادتها له

عاشت السيدة مريم رضي الله عنها عيشة طهر ونقاء وصفاء، مرعية برعاية الله وعنايته، فلما بلغت مبلغ النساء أراد الله عز وجل أن يجعل لها كرامة لم يسبقها بمثلها غيرها من نساء العالمين، وتتمثل هذه الكرامة بأن يهب الله عز وجل لها غلاما سيكون له شأن عظيم، وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين، فجاءها سيدنا جبريل عليه السلام، فقالت له: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ فقال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾[1] فقالت له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾[1]، وفي آيات أخرى تقول له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾[2]، فيرد عليها قائلا: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾[2]، وفي بعض الآيات الأخرى يذكر اللهُ المَلَكَ الواحد - وهو جبريل عليه السلام - بصيغة الجمع فيقول: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦﴾[3]، ولاشك أن

---

(١) سورة مريم الآيات : ١٨ - ٢١ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٤٧ .

(٣) سورة آل عمران الآيتان : ٤٥، ٤٦ .

خلق الله عز وجل سيدنا عيسى عليه السلام على هذا الوضع العجيب آية بالغة على كمال قدرة الله على أنواع الخلق، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى. كما أن سيدنا عيسى عليه السلام رحمة من الله، لأنه دعا الناس إلى عبادة الله في طفولته وكهولته، وفي صغره وكبره.

أما الكيفية التي تم بها حمل السيدة مريم لسيدنا عيسى عليه السلام فهي أنه سبحانه وتعالى جعلها تحمله بقدرته وكلمته، وبنفخة علوية، ونفحة سماوية. وهذا الذي ذكرناه يفهم من قوله سبحانه[1]: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[2].

أما قصة الحمل فيحكيها القرآن العظيم هي وملابساتها وظروفها في سورة مريم فيقول سبحانه: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[3].

---

(١) تاريخ الأنبياء للدكتور محمد الطيب النجار ص ٢٨٠، ٢٨١ .

(٢) سورة التحريم الآية : ١٢ .

(٣) سورة مريم الآيات : ٢٢ - ٢٦ .

موقف قومها من هذا الوليد :

بعد أن أنجبت السيدة مريم وليدها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾[1] أي: كيف يتأتى ذلك منك وأنت أخت هارون الورع التقي، وابنة عمران رجل الخير والبر، وأمك سيدة صالحة، عرفت بالطهر والعفاف، ولم تتدنّس بإثم ولا معصية؟

فلما ضاق بها الحال، واشتد البلاء، وضاقت الدنيا بها، وانحصر المجال، وامتنع المقال، عظم التوكل على ذي الجلال، ولم يبق سوى الإخلاص والاتكال، لأنه لا منجي من هذا الكرب سوى الله عز وجل، فأشارت إلى الطفل الوليد، وطلبت منهم أن يسألوه، فتعجبوا من ذلك، وظنوا أنها تسخر منهم، وتتهكم بهم، وتستخف بعقولهم، ولم يدر بخلدهم لحظة واحدة بأن هذا الوليد سوف ينطق أو يتكلم ببنت شفه، كيف يتكلم أو كيف يتكلمون مع من كان في المهد صبيا، لكن ما هي إلا لحظات قصيرة حتى لمع الحق في ثنايا الطفل الصغير، وانْساب على شفتيه آيات بينات، أنطقه بها العليم القدير، وقد أعلن فيها عبوديته لله، وما ينتظره من الحكمة والنبوة، والبر بوالدته الطاهرة البريئة، ولاشك أن في هذا الرد من سيدنا عيسى عليه السلام ما يكفي لدحض افتراء الكاذبين، ومزاعم المفترين، الذين لم يرضهم أن يكون المسيح عبداً لله، فاتخذوه إلهاً أو ابنا لله، والمسيح بريء من هذا الباطل[2]. وعن كل ما سبق يقول سبحانه: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟

---

(١) سورة مريم الآيتان : ٢٧، ٢٨ .

(٢) تاريخ الأنبياء ص ٢٨٢ .

كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾[1].

نبوة سيدنا عيسى عليه السلام :

ويشب سيدنا عيسى عليه السلام، ويترعرع، ويقوى عوده، ويعلمه الله الكتاب والحكمة، ثم ينعم الله عز وجل عليه بالنبوة، فيبعثه إلى بني إسرائيل، ويأمره أن يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل، ويظهر على يديه المعجزات التي تدل على نبوته، ورغم كل ذلك لم يصدقوه، بل كذبوه ولم يتبعوه.

وفي كل ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي

(١) سورة مريم الآيات : ٢٩ - ٣٥ .

وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾[1] ثم استمر عليه السلام يدعو قومه لعبادة الله عز وجل إلى أن رفعه الله إليه.

خوارق العادات في حمل السيدة مريم بسيدنا عيسى عليه السلام وفي كلامه :

إن حمل السيدة مريم لسيدنا عيسى عليه السلام من غير أب خرق للعادة، وكلامه وهو لا يزال في المهد خرق للعادة، واختيار الكلمات التي نطق بها خرق للعادة، إننا لو تأملنا هذه الكلمات لوجدناها تتضمن معاني يعجز أي إنسان غير سيدنا عيسى عليه السلام أن يحتويها في هذه الألفاظ القليلة، ولوجدنا وراء كل لفظة معجزة.

فهو يبدأ بقوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾[2]، وكأنه كان يعلم أن أتباعهُ سيؤلهونه ويجعلونه ولدا لله، فأخبرهم بأنه عبدا لله وليس ابنا له ولاندا، ثم يقول: ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾[2] فمن أدرى هذا الطفل أنه سيكون نبيا، وينزل الله عليه كتابا، إنه بعد لايعرف معنى النبوة، ولا شرفها حتى ينسب نفسه إليها، ثم يقول - عليه السلام - ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾[3] فمن أدراه أنه جاء إلى الحياة على غير عادة أمثاله، وأنه من أم وليس له أب، حتى يقول: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾[3] ولم يقل كما قال الله في يحيى عليه السلام - ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾[4]، ثم نرى سيدنا عيسى عليه السلام بعد أن صار رجلا لا تنقصه صفة مما وصف بها نفسه وهو في المهد، أليس هذا دليلا على أنه كان يتكلم بلسان الغيب[5]؟

---

(١) سورة المائدة الآيتان : ١١٠، ١١١ .

(٢) سورة مريم الآية : ٣٠ .

(٣) سورة مريم جزء من الآية : ٣٢ .

(٤) سورة مريم جزء من الآية : ١٤ .

(٥) نظرات في أحسن القصص (٢/٣٠٥).

المبحث الثاني
ما بشرت به السيدة مريم عن
خصوصيات سيدنا عيسى عليه السلام

ما بشرت به السيدة مريم عن

خصوصيات سيدنا عيسى عليه السلام

لما بشر الله عز وجل السيدة مريم بسيدنا عيسى عليه السلام بوساطة سيدنا جبريل عليه السلام قال لها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ... ثم يقول: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1]. وتشتمل هذه الآيات على ما يلي:

أولاً: أن سيدنا عيسى عليه السلام يكون وجوده بكلمة من الله، أي: يقول له سبحانه: كن فيكون[2]. أو أنه عليه السلام تكلم الله عز وجل بأمره، وأخبر به في ماضي كتبه المنزلة على أنبيائه[3].

---

(١) سورة آل عمران الآيات: ٤٥ - ٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٦٣/١).

(٣) تفسير ابن عطية (٨٧/٢).

ثانياً : اسمه المسيح عيسى بن مريم، أي : يكون هذا الاسم مشهوراً به في الدنيا يعرفه المؤمنون بذلك، وسمي المسيح قال بعض السلف: لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى، ولا مسح ميتا إلا حَيِىَ، أو لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح بالدهن، أو لأن الله مسح الذنوب عنه، أو لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة، أو لجمال وجهه وحسنه، إذ المسيح في اللغة: الجميل، أو الصِّدِّيق، أو المسيح اسمه خصه الله تعالى به. وسمي بعيسى أيضا من عند الله عز وجل.

ثالثاً : ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي: له وجاهة ومكانة رفيعة وعالية عند الله عز وجل في الدنيا بما تفضل الله عز وجل به عليه من النبوة، وبما يوحيه إليه سبحانه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وبما أنعم عليه بالأخلاق الفاضلة، وحسن الأحدوثة، وطيب الذكر بين الناس الذين آمنوا به وآمنوا بسيدنا محمد ﷺ.

رابعاً : وهو وجيه في الآخرة أيضا، حيث أنه عالي الدرجة، ويشفع عند الله فيمن يأذن الله له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

خامساً: ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله سبحانه وتعالى في رفعه إلى السماء، وصحبته الملائكة.

سادساً : ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي: يكلم الناس حال

كونه طفلا صغيرا أثناء رضاعته، وكان كلامه وهو طفل كرامة لمريم رضي الله عنها، دالة على طهارتها، وبراءة لساحتها، مما نسبه أهل الإفك إليها.

وكما تكلم في المهد تكلم وهو كهلا من غير تفاوت بين حال الطفولة، وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل، ويستنبأ فيها الأنبياء.

سابعاً : ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: معدوداً في عداد الصالحين في قوله وعمله، فله علم صحيح، وعمل صالح حتى أصبح عنوانا للخير.

ثامناً : ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: يعلمه الكتابة والخط، والحكمة: أي: التوفيق إلى الحق، والإصابة في القول والعمل عصمة من الله، وإلهاما، ليكون ذلك سنة يقتدي بها الأتباع من المؤمنين.

﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أي: الكتاب الذي أنزل على سيدنا موسى، والإنجيل الكتاب الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام.

تاسعاً : ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: وسيكون رسولا إلى بني إسرائيل يقول لهم: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، وكذلك كان يفعل بصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله عز وجل، الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله. ويقول لهم أيضا: إنه يبرئ الأكمه الذي يُبْصِرُ نَهَاراً ولايُبْصر ليلاً، أو بالعكس، أو هو الأعشى أو الأعمش، أو هو الذي يولد أعمى، وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة، وأقوى في التحدي، ويبريء الأبرص، ويحي الموتى بإذن الله، وينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في

بيوتهم. (وهذه المعجزات في عمومها تتعلق بإنشاء الحياة أَوْرَدِّهَا، أورد العافية وهي فرع عن الحياة، ورؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية. وهي في صميمها تتسق مع مولد سيدنا عيسى عليه السلام ومنحه الوجود والحياة على غير مثال إلاّ مثال سيدنا آدم عليه السلام، وإذا كان الله قادرا على أن يجري هذه المعجزات على يد واحد من خلقه، فهو قادر على خلق ذلك الواحد من غير مثال، ولا حاجة إذن لكل الشبهات والأساطير التي نشأت عن هذا المولد الخاص متى رُدَّ الأمر إلى مشيئة الله الطليقة، ولم يقيد الإنسانُ الله سبحانه بمألوف الإنسان.

وهو في نفس الوقت يكون مصدقا لما بين يديه من التوراة التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام، وذلك لأن التوراة تتضمن التشريع المنظم لحياة الجماعة، وفق حاجة ذلك الزمان، وملابسات حياة بني إسرائيل، (لأنها ديانة خاصة لمجموعة من البشر في فترة من الزمان) هذه التوراة معتمدة في رسالة المسيح عليه السلام، وجاءت رسالته مصدقة لها مع تعديلات تتعلق بإحلال بعض ما حرم الله عليهم، وكان تحريمه في صورة عقوبات حلت بهم على معاص وانحرافات، أدبهم الله عليها بتحريم بعض ما كان حلالا لهم. ثم شاءت إرادته أن يرحمهم بالمسيح عليه السلام، فيحل لهم بعض الذي حرم عليهم[1].

وعندما تكلم عليه السلام في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[2].

---

(١) في ظلال القرآن (١/٣٩٩، ٤٠٠) بتصرف.

(٢) سورة مريم الآيات : ٣٠ - ٣٣ .

وفي هذه الآيات الكريمة يعلن سيدنا عيسى عليه السلام عبوديته لله عز وجل ويُقِرُّ بها، لأن الله علم أنه سيكون من الناس طائفة تدعي غير ذلك فيه، ويعلن أن الله عز وجل سيؤتيه الكتاب مستقبلا، والكتاب هو الإنجيل تكرمة ورفعة.

ويعلن أن الله سبحانه وتعالى جعله نبيا، وجعله كثير البركات والمنافع، والدلالة على الخير في الدين والدنيا، كما جعله آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، معلما للخير، داعيا إلى الله أين حل، فالبركة لاتفارقه في أي مكان وفي أي زمان. ويعلن عليه السلام أن الله أوصاه بالصلاة والزكاة طوال حياته، ولما كانت قلوبهم قاسية، ومشاعرهم متحجرة، فاستهانوا بحق الآباء والأمهات، فكثر فيهم العقوق، وكان نصيب الأمهات أكثر لضعفهن، ورقة مشاعرهن مما يجرِّئ الأولاد عليهن، لهذا فقد خطابهم عليه السلام وهم مندهشون لكلام الصبي في المهد بأنه سيكون بارا بوالدته، قائما بحقها، عاملا لرضاها، ومن لم يكن كذلك فهو جبار غليظ، لايرى عليه حقا لأحد، فمن لم يعرف حق والدته في حملها وسهرها وحنانها، فلن يعرف لأحد حقا، وهو شقي محروم من الخير، خاسر في الدنيا والآخرة، فالبر بالأمهات عنوان رحمة القلب، وصلاح العمل، ونبل المشاعر.

وهذه الأمور التي اتفقت عليها جميع الرسالات، وكانت واجبة على جميع الأمم والشعوب، الصلاة والزكاة وبر الوالدين، هي ضمان الحياة الآمنة، والحضارة الرضية المطمئنة، وهي التي فقدت في حضارتنا، فتاه غالب الناس عن ربهم، وبخلوا وضنُّوا بالمال على غيرهم، وعقوا آباءهم وأمهاتهم، وتمردوا على أقرب الناس إليهم، وماذلك إلا لانحراف الآباء في تربية الأبناء، وجهلهم بالغاية التي

يريدون منها صلاح أبنائهم وسعادتهم، وإن الأجيال التي تصاغ وتنشأ بالمنهج الرباني الذي نشأ عليه سيدنا عيسى عليه السلام ابن مريم سيكون حالها ومآلها كحاله ومآله، بمقدار ما تلتزم هذه الأسس التربوية الربانية ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[1] فالأمن والسلام والطمأنينة والسكينة في كل الظروف والأحوال، بل في لحظات الضيق والحرج، كانت مصاحبة لعيسى بن مريم، وتصاحب كذلك كل من سلك هذا المنهج التربوي القرآني الفريد.

(١) سورة مريم الآية : ٣٣ .

المبحث الثالث
المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا عيسى عليه السلام وأمه

المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة

من قصة سيدنا عيسى عليه السلام وأمه

المفهوم الأول : التوحيد والإخلاص هما الصورة المثلى للتحرر من العبودية لغير الله.

«السيدة مريم رضي الله عنها من خلاصة بيت كريم، ونقاوة خيم[1] صالح عظيم، تسلسل مدة من الدهر في مرابع قوم قساة غلاظ، فعرف بينهم بالتقى والصلاح، والخير والبركة، والاستقامة وحسن السيرة»[2] (ولعل أوضح دليل على ذلك: نذر «امرأة عمران» أم السيدة «مريم» الجنين الذي تحمله في بطنها - وهو أعز ما تملكه - خالصا لربها، محررا من كل قيد، ومن كل شرك، ومن كل حق لأحد غير الله سبحانه - فقد توجهت لربها بالدعاء قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾[3] وهذا الدعاء الخاشع من امرأة عمران، بأن يتقبل ربها منها نذرها، وهو فلذة كبدها ينم عن قلب يعمر بالإيمان الخالص لله رب العالمين، والمتوجه إليه سبحانه وتعالى بالكلية، المتحرر من كل قيد، والمتجرد إلا من ابتغاء قبوله سبحانه وتعالى ورضاه)[4]. وهكذا يجب على كل مسلم إذا عمل عملا لابد وأن يؤديه بإخلاص لله رب العالمين، كي يتقبله الله عز وجل كما تقبل سبحانه وتعالى من امرأة

---

(١) الخِيم : الأصل والشيمة والطبيعة والخلق والسجية.

(٢) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم ص ٢٢٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٣٥ .

(٤) في ظلال القرآن (٣٩٢/١) بتصرف.

عمران نذرها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾[1] (وتعبيرها رضوان الله عليها عن الخلوص المطلق - أي أنها نذرت ما في بطنها لله خالصا - بأنه تحرر تعبير موح، فما يتحرر حقا إلا من يخلص لله كله، ويفر إلى الله بجملته، وينجو من العبودية لكل أحد، ولكل شيء، ولكل قيمة، فلا تكون عبوديته إلا لله وحده ... فهذا هو التحرر إذن .. وما عداه عبودية، وإن جاءت في صورة الحرية! ومن هنا يبدو التوحيد هو الصورة المثلى للتحرر. فما يتحرر إنسان وهو يدين لأحد غير الله بشيء ما في ذات نفسه، أو في مجريات حياته، أو في الأوضاع والقيم والقوانين والشرائع التي تصرف هذه الحياة.

لاتحرر وفي قلب الإنسان تعلق أو تطلع، أو عبودية لغير الله، وفي حياته شريعة أو قيم أو موازين مستمدة من غير الله. وحين جاء الإسلام بالتوحيد جاء بالصورة الوحيدة للتحرر في عالم الإنسان[2]).

المفهوم الثاني : على الآباء أن يختاروا لأبنائهم الأسماء الحسنة التي تدعو إلى التفاؤل.

ينبغي أن يختار الآباء لأبنائهم أفضل الأسماء وأحسنها وأجملها، كما فعلت امرأة عمران، فقد سمت ابنتها (مريم) ومعنى مريم في لغتهم كما جاء: - العابدة - مما يدل على أنها ترجو (أن تكون وليدتها عابدة خاشعة لله رب العالمين، وإذا كانت قد سمتها ساعة ولادتها بهذا الاسم، فهذا يدل على امتلائها ووعيها بالغاية التي تريدها من مولودها منذ أن كانت تَحِنُّ للولد، وتضرع إلى

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٣٧ .

(٢) في ظلال القرآن (٣٩٢/١) بتصرف يسير.

الله أن يرزقها إياه، ولهذا عجلت بذلك وأعلنت اسمها تفاؤلا وأملا.

وكان من هديه ﷺ التفاؤل بالأسماء الحسنة، أخرج البخاري عن عكرمة أنه جاء سهيل بن عمرو وقال ﷺ: «قد سَهُل لكم منْ أَمْرِكم»[1]، وثبت عنه ﷺ أنه غير اسم عاصية، وقال: «أنت جميلة»[2]، وقال أبو داود: غير النبي ﷺ اسم العاصِ وعَزيز وعَتَلَة وشيطان والحكم وغُراب وحُباب وشهاب، فسماه هشاماً، وسمى حرباً سِلْماً، وسمى المضطجع المنبعث وأرضاً تُسَمَّى عَفِرةً سماها خَضِرَة، وشِعْب الضَّلالة سماه شِعْب الهُدى، وبنو الزَّنْيَة سماهم بني الرِّشدة وسَمّى بني مُغْوِيَة بني رِشْدة[3].

يقول ابن القيم رحمه الله: «للأسماء تأثير في المُسَمَّيات، وَلِلمُسَمَّيات تأثُّر عن أسمائها في الحسن والقبح، والخِفَّة والثِّقَل، واللَّطافة والكثافة، كما قيل: وقلّما أَبْصَرت عيناك ذا لَقَبٍ إلاّ ومعناه إن فكَّرت في لَقَبِهْ

وقد أمر النبي ﷺ أمته بتحسين أسمائهم، وأخبر أنهم يُدْعون يوم القيامة بها، وفي - هذا - والله أعلم - تنبيه على تحسين الأفعال المناسبة لتحسين الأسماء، لتكون الدعوة على رؤوس الأشهاد بالاسم الحسن، والوصف المناسب له»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب - الشروط - الحديث (٢٧٣٢) عن عكرمة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب - الآداب - الحديث (٥٥٦٩)، وأبو داود في كتاب - الأدب - الحديث (٤٩٥٢)، والترمذي في كتاب - الأدب - الحديث (٢٨٣٨).

(٣) ذكره أبو داود في سننه في - كتاب الأدب - بعد حديث الحزن (٤٩٥٦) وقال: تركت أسانيدها للاختصار.

(٤) زاد المعاد (٣٠٧/٢ - ٣٠٩) بتصرف واختصار.

المفهوم الثالث : على الآباء أن يلجأوا إلى الله لدفع شر الشيطان عن أبنائهم ويعوِّذوهم بالمعوذات الشرعية.

ولما سَمَّت امرأة عمران ابنتها طلبت من الله عز وجل ودعته دعاء خالدا يدعو به كل مؤمن ومؤمنة، وكل رحيم وعطوف يتطلع الآفاق لذريته من بعده قائل: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1].

وهل معركة الإنسان الكبرى إلا مع الشيطان، الذي قطع العهد أمام ربه أن يغوي آدم وذريته ما استطاع ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[2].

وهل يزيغ الزائغون إلا بتأثير الشياطين من الإنس والجن، الذين يوسوسون ويُسَوِّلون؟!

ولهذا سألت ربها أن يحفظ الوليدة ابنة الأطهار الأبرار من مكايد الشيطان وتسويله، لتتم النعمة بخلوصها لرب العالمين. وزادت في طلبها أن يتعدى حفظ الله ورعايته وصونه هذه الوليدة البريئة الطاهرة لتشمل ذريتها، فاستجاب الله عز وجل لدعاء امرأة عمران، ولم يجعل للشيطان من ساعة ولادتها إليها من سبيل[3]، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الأعراف الآيات : ١٤ - ١٧ .

(٣) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم (ص ٢٣٥ - ٢٣٧) بتصرف.

النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسة الشيطان إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1].

«وكان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين يقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ويقول: هكذا كان إبراهيم يعوِّذ إسحاق وإسماعيل عليهم السلام»[2].

المفهوم الرابع: العناية بالأطفال منذ الصغر، وتكون باختيار المربين الصالحين والقرناء الطاهرين.

وقد جعل الله عز وجل نشأة السيدة مريم خير نشأة في خَلْقِهَا وَخُلُقِهَا، وسلكها في سلك أهل السعادة من العُبّاد والصالحين، وقرنها في طفولتها بالأولياء المتبتلين، فلم تعرف للشر طريقا، ولا للزيغ مدخلا، ومن نشأ هذه النشأة الحسنة، وترعرع في هذا الجو الإيماني فأنى له إذا كبر أن ينحرف أو يزيغ؟

وهذه الآية ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا....﴾[3] الآية قاعدة من قواعد التربية القرآنية في العناية بالأطفال من ولادتهم، وحمايتهم في نشأتهم

(١) سورة آل عمران الآية: ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب - الأنبياء - الحديث (٣١٩١)، والترمذي في - كتاب الطب - الحديث (٢٠٦٠)، وأبو داود في - كتاب السنة - الحديث (٤٧٣٦) واللفظ للترمذي.

(٣) أخرجه الترمذي الحديث (٢٠٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٤/٤١١) الحديث (٧٧٢٦)، وابن حبان في صحيحه (٢/٢٩١) الحديث (١٠١٢)، والحاكم في المستدرك الحديث (٤٧٨١).

وطفولتهم حتى يرسخ الإيمان في قلوبهم، والعمل الصالح في جوارحهم، وأن يعيشوا في أتراب لهم صالحين، وقرناء طاهرين، لينبتوا نباتا حسنا، وليسبق الخير إلى قلوبهم وعقولهم، وحتى إذا ما جاء الشُّر فَلَنْ يجد له مكانا وموضعا، وكم في هذه الآية الكريمة ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾[1] من أثر نَدِيّ في القلب، يوحي إلى قلب كل أب بمعاني العناية والرعاية والحرص على الأبناء والذرية[2].

المفهوم الخامس : السيدة مريم رضوان الله عليها النموذج والقدوة للنساء العابدات الطاهرات.

في اعتزال السيدة مريم أهلها، وانقطاعها للعبادة في الجانب الشرقي للمسجد الأقصى، ودخول سيدنا جبريل عليه السلام عليها - وهي في خلوتها - على هيئة رجل، في أبهى صورة، وجمال فائق، ثم في مبادرتها له بقولها: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾[3] تذكيرا له بالله، وتخويفها له من عذاب الله، وإخباره لها بأنه رسول الله، جاءها لِيَهَبَ لها بأمر الله عز وجل غلاما زكيا، نقول: في كل ذلك تعليم للفتيات والنساء بأنه من الواجب عليهن أن يصرفن همهن في عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، وأن يُقَوِّينَ صلتهن بالله سبحانه عن طريق أداء التكاليف الشرعية التي كلفهن الله عز وجل بها، والالتزام بكل الأخلاق الإسلامية التي اشتمل عليها القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، كما أن فيه أيضا عبرة للفتيات والنساء فيما ينبغي أن

(١) سورة آل عمران الآية : ٣٧ .

(٢) آباء وأبناء ملامح تربوية (ص ٢٣٨، ٢٣٩).

(٣) سورة مريم الآية : ١٨ .

يَكُنَّ عليه من تقوى الله عز وجل والخوف والخشية منه في سر أمورهن وعلانيته، فهذه السيدة مريم رضوان الله عليها كانت في خلوتها منفردة بنفسها ليس معها أحد إلا الله عز وجل وحده لاشريك له، ثم يدخل عليها سيدنا جبريل عليه السلام - وهي لاتعرف أنه جبريل - على هيئة رجل في أبهى صورة وأحسنها، فما كان منها إلا أن تستعيذ بالرحمن منه، وتحيى فيه ضميره وفطرته وإيمانه وتقواه ألا يؤذها، وفي هذا دليل على أنه لم يَدُرْ بخلدها أي شائبة تدل على ميلها له، كما أن فيه أيضا دليل على (قمة ورعها وعفافها، وعياذها بالله، بل ومبالغتها في ذلك، ومبالغتها أيضا في استجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها)[1].

ومن هنا كان على الآباء والأمهات والمربين أن يربوا النشء على التزام العمل الصالح، والخوف من الله عز وجل وخشيته، والابتعاد عن الحرام بشتى صوره وأشكاله، واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وطهارة الباطن والظاهر، في السر والعلن.

المفهوم السادس : إن البيوت إذا تسلسل فيها الصلاح أحاطها الله بعنايته وخصها بإكرامه.

لقد ذكر الله عز وجل خلاصة آل عمران، في سورة كريمة جليلة سماها رسول الله ﷺ (الزهراء) ثالثة سور القرآن الكريم، وبين فيها شأن هذا البيت الكريم، ليعلمنا أن البيوت إذا تسلسل فيها الصلاح، أكرمها الله عز وجل بكرامات عجيبة، وذكر خلاصة هذا البيت الكريم: مريم ابنة عمران في سورة

(١) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم) (٥/ ٢٦٠) بتصرف.

خاصة بها، سماها باسمها، وهي السورة التاسعة عشرة من سور القرآن العظيم، فَصَّل فيها شأنها وحالتها التي ستبقى منارا تُبيِّنُ اعتصام المؤمنات إذا تعرضن من المجرمين العتاة إلى غمزٍ أو لمزٍ أو طغيان وفتنة، كيف يتوكلن على الله، ويلجأن إليه بقلوب راضية، ونفوس مطمئنة، لايخشين سواه، ولايخفن إلا إياه. وبين في هذه السورة خلاصةَ خُلاصَةِ هذا البيت الكريم: سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام في عناية الله به، وخطة نشأته، ومنهج تربيته، ومن أركان هذه النشأة والتربية مراعاة حق الأمهات، والعطف عليهن، وترضِّيهن قبل الآباء. إن مريم وابنها آية للعالمين في نشأتهما وطهارتهما، وسلوكهما وسيرتهما، حياة طاهرة طويلة حافلة، من الحب، والبر، والصلاح، تُحتذَى. فسلام عليهما من كل مؤمن ومؤمنة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين[1].

المفهوم السابع : من انقطع إلى الله كفاه، ومن أخذ بالأسباب المشروعة يسرها له الله.

يلاحظ من مدارستنا لقصة السيدة مريم أنها كانت وهي فتاة في محرابها يأتيها رزقها رغدا من غير تكسب ولاجهد، فلما وضعت وليدها كلفت بالتكسب والعمل، والقرآن الكريم يتناول الموقفين بوضوح فيقول عنها وهي في المحراب: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[2]. ويقول عنها بعد الولادة[3]: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ

(١) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم (ص٢٦٠ - ٢٦٤) بتصرف.

(٢) سورة آل عمران الآية : ٣٧ .

(٣) نظرات في أحسن القصص (٣٠٥/١) بتصرف.

رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾[1]. وعن ذلك يقول القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا: لما كان قلبها فارغا فرغ الله جارحتها عن النَّصَب، فلما ولدت عيسى عليه السلام، وتعلق قلبها بحبه، واشتغل سرها بحديثه وأمره، وكلها إلى كسبها، وردها إلى العادة بالتعلق بالأسباب في عباده[2].

ومعنى ذلك أن السيدة مريم رضي الله عنها لما كانت منقطعة كلية إلى عبادة الله عز وجل، كفاها الله عز وجل مؤونة الرزق، فكان ينعم عليها بالرزق الكثير دون كَدٍّ أو تعب أو سعى أو نصب. لكنها لما أنعم الله عز وجل عليها بالولد الذي شغلها بعض الوقت عن عبادة الله وطاعته، والتفكير فيما تقوله لقومها عنه، طلب منها الله عز وجل أن تسعى وتأخذ بالأسباب للحصول على الرزق.

ففي هذه القصة دليل على مشروعية الأخذ بالأسباب، وأنه لا يقدح في إيمان المسلم، ولا يناقض التوكل على الله تعالى إذا كانت هذه الأسباب مشروعة وصاحَبَها اعتماد على الله، وإيمان بأنه هو مسبب الأسباب، وهو مدبر شؤون هذا الكون.

---

(١) سورة مريم الآية : ٢٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦٥/١١).

الباب الحادي عشر
لقمان الحكيم

- تمهيد.
- المبحث الأول : مواعظ لقمان الحكيم لابنه.
- المبحث الثاني : التربية بالموعظة وأهميتها وأساليبها.
- المبحث الثالث : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة لقمان الحكيم.

تمهيد

اختلف العلماء في أصل لقمان، ونسبه، وزمن وجوده.

«فقال ابن وهب: كان ابن أخت يوسف عليه السلام، وقال مقاتل: كان ابن خالته»[1] «وقال قوم: إنه كان من أولاد آزر، وقيل كان ابن أخي إبراهيم عليه السلام»[2].

قال الألوسي: «والأكثرون على أنه كان في زمن داود عليه السلام»[3] ولعل هذا القول هو الصحيح المقبول؛ لما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان لقمان عند داود عليه السلام وهو يسرد الدرع، فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله، وتمنعه حكمته أن يسأله، فلما فرغ منها صَبَّها على نفسه، فقال: نعم درع الحرب هذه. فقال لقمان: الصَّمْت من الحكمة وقليل فاعله، كنت أريد أن أسألك، فَسَكَتُّ حتى كفيتني»[4].

قال الحافظ ابن حجر بعد أن نقل الحديث السابق: «وهذا صريح في أنه عاصر داود عليه السلام، وقد ذكره ابن الجوزي في - التلقيح - بعد إبراهيم قبل إسماعيل وإسحاق، والصحيح أنه كان زمن داود، وقد أخرج الطبري وغيره عن

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٤٣)، والبداية والنهاية (٢/٩٦، ٩٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٥٩).

(٢) فتح الباري (٦/٥٣٧)، وتفسير القرطبي (١٤/٤١).

(٣) روح المعاني (٢١/٨٢).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٢٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم.
وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب (٤/٢٦٤) الحديث (٥٠٢٤)، وقال الحافظ ابن حجر: الفتح (٦/٤٦٦). وفي المستدرك بإسناد صحيح عن أنس، وساق الحديث».

مجاهد أنه كان قاضياً على بني إسرائيل زمن داود» ا. هـ[1].

هل كان لقمان نبياً؟

اختلف السلف في لقمان الحكيم هل كان نبياً أم كان عبداً صالحاً من غير نبوة على أقوال أشهرها:

القول الأول: أنه لم يكن نبياً بل كان عبداً صالحاً، وبه قال أكثر العلماء. قال الواحدي: «أكثر العلماء على أن لقمان لم يكن نبياً»[2].

وقال القرطبي وغيره: «والصواب أنه كان رجلاً حكيماً بحكمة الله تعالى»[3] وقال ابن كثير: «والمشهور عند الجمهور أنه كان حكيماً ولياً، ولم يكن نبياً، وقال أيضاً: كان لقمان رجلاً صالحاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة»[4].

وقال الألوسي: «إنه كان رجلاً صالحاً حكيماً، ولم يكن نبياً»[5]، وقال الإمام النووي: «قال الإمام أبو إسحاق الثعلبي: اتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، إلا عكرمة فإنه قال: كان نبياً، وتفرد بهذا القول»[6].

القول الثاني: أنه كان نبياً، وممن قال بذلك: «عكرمة والسدي والشعبي وقتادة»[7].

---

(١) فتح الباري (٦/٤٦٦).

(٢) التفسير الوسيط (٣/٤٤٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٥٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٤٣).

(٥) روح المعاني (٢١/٨٣).

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/١٤٤).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٥٩)، والمحرر الوجيز (١١/٤٨٩)، والكشاف (٨٣٦).

قال الحافظ ابن كثير بعد أن نقل الأقوال السابقة:

«فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك؛ لأن كونه عبداً قد مسَّه الرق ينافي كونه نبياً، لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها، ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر، عن عكرمة، قال: كان لقمان نبياً، وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف، والله أعلم»[1].

حكمة لقمان :

منح الله عز وجل لقمان الحكمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[2] والحكمة هي كما يقول ابن عباس: العقل والفهم والفطنة[3].

ويقول عنها مجاهد: إنها العقل والفقه والإصابة في القول[4].

ويقول الراغب الأصبهاني: الحكمة هي إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات. وهذا هو الذي وصف به لقمان[5].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٤٣).

(٢) سورة لقمان الآية: ١٢ .

(٣) روح المعاني (٢١/٨٣).

(٤) المرجع السابق.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٤٩ .

قال الإمام النووي: (أما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة، قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها: أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك.

وقال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظتك وزجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح، فهي حكمة وحكم، ومنه قول النبي ﷺ: «إن من الشعر حكمة»[1]).[2]

---

(١) أخرجه البخاري في - كتاب الأدب - الحديث (٦١٤٥)، وأبو داود في - كتاب الأدب - الحديث (٥٠١٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/٢٢٠) في شرحه لحديث «الحكمة يمانية».

المبحث الأول
مواعظ لقمان الحكيم لابنه

مواعظ لقمان الحيكم لابنه

لما كان الأب أشفق الناس على ابنه، لأنه أحب الناس إليه، كان حريا أن يمنحه أفضل ما يعرف، وأبلغ ما ينفع، وأحق ما يتبع، لذلك فإن لقمان الحكيم أوصى ابنه ووعظه بمواعظ عظيمة، جمع فيها أصول الشريعة، وهي: الاعتقادات، والأعمال، وأدب المعاملة، وأدب النفس. وها هي تلك الوصايا والمواعظ كما ذكرها لنا القرآن العظيم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[1].

ففي هذه الآيات الكريمة يذكر الله عز وجل لنا مواعظ ووصايا لقمان

(١) سورة لقمان الآيات: ١٣ - ١٩ .

لابنه، وقد بدأها الله سبحانه بذكر الحال عندما قال ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾[1] للدلالة على أن لقمان كان يقوم بواجب الأب تجاه الإبن.

وهذا ما أوجبه الإسلام، فقد أوجب على الآباء بذل الجهد، واستفراغ الوسع، في نصح ووعظ وتوجيه الأبناء، وذلك في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[2]. كما أوجب على الأبناء الاستجابة لدعوة الله عز وجل التي يدعوهم إليها الآباء، لأن الآباء الصالحين يرجون دائماً من الله عز وجل أن يهبهم الأبناء البررة الذين يسيرون على منهج الإسلام، ويلتزمون بدين الله عز وجل، ثم يبين سبحانه وتعالى أن حكمة لقمان عليه السلام التي أهلته لبث وصاياه ومواعظه لابنه، بل ورفعته إلى درجة عالية بين الحكماء إنما هي قائمة على أمرين اثنين، أصل وفرع، أما الأصل فهو معرفة الله تعالى وشكره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢﴾[3] فقوام الحكمة معرفة الله تعالى وشكره على نعمائه، بالقلب واللسان والجوارح، أي: العمل بمقتضى المعرفة، كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

إن أصل كل عمل هو المعرفة، ورأس المعرفة هو معرفة الله تعالى،

---

(١) الوعظ هو: زجر مقترن بالتخويف.

(٢) سورة التحريم الآية: ٦ .

(٣) سورة لقمان الآية: ١٢ .

فبالإيمان يعرف الإنسان موقعه من الوجود، ويستنير طريقه في فجاج الحياة، وبالكفران يضيع ولايدري هل هو بهيمة من البهائم، أو حشرة من الحشرات المؤذيات، وهذا هو الأصل: العلم والعمل بمقتضاه. ومن عمل بمقتضى معرفة الله وشكره فإن هذا العمل وذاك الشكر يعودان عليه بالنفع، ويجعلانه يرتقي في درجات الكمال. هذا هو أصل التربية الأول، وأما الفرع، فهو حسن التوجيه، أي: المنهج والأسلوب، وفيه أوليَّات، وكليات وضحها القرآن الكريم من خلال توجيه لقمان لابنه، وتعليمه له[1].

بعد هذا الاستعراض الذي أشرنا فيه إلى وجوب قيام الأب بوعظ وتربية أولاده، وأنه ينبغي أن يكون متسلحاً بمعرفة الله عز وجل، كما ينبغي أن تكون مواعظه وتربيته مقرونة بالعمل السوي، والاستقامة الواضحة، حتى تؤتى المواعظ والوصايا والتربية أهدافها المرجوة، نستعرض الآن تلك الجواهر الثمينة، والمواعظ النبيلة التي وجهها لقمان عليه السلام لابنه، فإذا تأملنا تلك المواعظ وجدناها عامة، مشتملة على أمور الإيمان والعبادة والدعوة. وها هي تلك المواعظ:

الموعظة الأولى : الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك

تتمثل الموعظة الأولى في قوله سبحانه حكاية عما قاله لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾[2].

ويلاحظ أن هذه الموعظة افتتحها لقمان بنداء المخاطب مع أن توجيه

(١) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم (١٦٥ - ١٦٧).

(٢) سورة لقمان الآية: ١٣ .

الخطاب مُغْنٍ عن ندائه لحضوره بالخطاب، فالنداء مستعمل مجازا في طلب حضور الذهن لوعي الكلام، وذلك من الاهتمام بالغرض المسوق له الكلام[1] كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾[2] وقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾[3] وقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[4] وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾[5].

كما يلاحظ أن لقمان ابتدأ موعظته لابنه أيضاً بكلمة التحنن والتحبب والعطف وإظهار الشفقة عليه، والقرب منه، بأن أضافه إليه ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ وكرر هذه الكلمة استثارة لمشاعر البنوة، وتحريكا لعواطف المحبة الفطرية بين الولد والوالد، وكثيراً ما نرى في واقع الحياة أن أثر العاطفة يتغلب على كل ماعداه، وينفع حيث لاينفع أسلوب سواه[6].

ثم أمر لقمان ابنه توحيد الله عز وجل، والإيمان به سبحانه وتعالى، ونهاه عن الشرك والكفر، ويعلل نهيه لابنه عن الشرك بقوله له: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ ثم يؤكد لقمان هذه الحقيقة مرتين، مرة بتقديم النهي، وفصل علته، ومرة بإن واللام، وهذه هي الحقيقة التي يعرضها سيدنا محمد ﷺ على قومه فيجادلونه فيها، ويشكون في غرضه من وراء عرضها، ويخشون

(١) التحرير والتنوير (١٥٤/٢٠).

(٢) سورة يوسف الآية: ٤ .

(٣) سورة يوسف الآية: ٥ .

(٤) سورة المائدة الآية: ١١٢ .

(٥) سورة مريم الآية: ٤٢ .

(٦) في ظلال القرآن (٢٧٨٨/٥).

أن يكون وراءها انتزاع السلطان منهم، والتفضل عليهم! فما القول ولقمان الحكيم يعرضها على ابنه، ويأمر بها؟ والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة، بعيدة من كل ظنة؟ ألا إنها الحقيقة القديمة التي تجري على لسان كل من آتاه الله الحكمة من الناس، يراد بها الخير المحض، ولايراد بها سواه. وهذا هو المؤثر النفسي المقصود[1].

وسمي الشرك ظلماً لأن فيه تسوية بين من يستحق العبادة، وبين من لايستحقها، وبذلك توضع العبادة في غير موضعها وهذا عين الظلم[2].

ولما كانت العقائد غالبا ما تنقل إلى الولد من والديه، وتأثير الوالدين على الولد شديد الوقع، عظيم الأثر، وكان الولد مأمورا بالإحسان إلى والديه، مفروضا عليه برهما، والقيام بشؤونهما ومصالحهما وطاعتهما، ولما كان تأثير الأم عليه أكثر من تأثير الأب لشدة التصاقها بالولد، وقربها منه جنينا ووليداً، وهي التي تغرس فيه أسس السلوك وقواعد التفكير، وفي كبره يكون التجاوب مع الأم أكثر، لَلِيْن جانبها، وقوة عاطفتها نحو ولدها، مع ما قاسته من آلام الحمل، ومعاناة الوضع والولادة، وصبرها على سهر الليالي، ومجافاتها لذيذ المنام عامين ويزيد، لهذا كله أوصى الله عز وجل بالبر بهما في أسلوب رقيق فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧٨٨).
(٢) تفسير الخازن (٦/٢١٦).

فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾[1]. وفي هذا تأكيد ما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بتعميم النهي في الأشخاص والأحوال، لئلا يتوهم متوهم أن النهي خاص بابن لقمان، أو ببعض الأحوال، فحكى سبحانه وتعالى أنه أوصى بذلك كل إنسان، وأنه لا هوادة فيه، ولو في أحرج الأحوال، وهي حال مجاهدة الوالدين أولادهم على الشرك، كما يؤكد أنه سبحانه وتعالى أسبق منَّةً على عباده، إذ أوصى الأبناء ببر الآباء، فدخل في العموم المنة على لقمان جزاء على رعيه لحق الله في ابتداء موعظة ابنه، فالله أسبق بالإحسان إلى الذين أحسنوا برَعْى حقه، ويقوي هذا التفسير اقتران شكر الله وشكر الوالدين في الأمر[2].

الموعظة الثانية : علم الله المحيط بدقائق الأمور

أما الموعظة الثانية التي وعظ بها لقمان ابنه فتتعلق بقضية الآخرة وما فيها من جزاء عادل، وحساب دقيق، على عمل الإنسان، يصور ذلك كله القرآن الكريم بأسلوبه المعجز البديع، في صورة مؤثرة يرتعش لها الوجدان، وهو يطالع علم الله الشامل الهائل الدقيق اللطيف، الذي لايغيب عنه مثقال ذرة من الخردل، حتى ولو كانت هذه الذرة مخبوءة في بطن الأرض، داخل الصخرة الصلدة، أو في ملكوت الله الواسع الشامل، فكيف تخفى عليه أعمال العباد،

---

(١) سورة لقمان الآيتان: ١٤-١٥ .

(٢) التحرير والتنوير (١٥٦/٢١).

وعلمه قد وسع الملك والملكوت[1]؟

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ [2] حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ [3] فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾[4].

وفي هذه الموعظة يجدد لقمان الحكيم النداء لابنه بقوله له ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ يجدد نشاط سماع ابنه لموعظته الثانية فيتنبَّه ويهتم بما يقوله له.

وفي الآية تعبير يدل دلالة قاطعة على دقة علم الله وشموله، وعن قدرة الله سبحانه، وعن دقة الحساب وعدالة الميزان.

فلقمان الحكيم يقول لابنه: إن الحسنة والسيئة إن كانت في الصغر مثل حبة الخردل، التي لاوزن لها ولا قيمة ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ .. صلبة محشورة فيها لاتظهر ولايتوصل إليها لخفائها واحتجابها، ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في ذلك الكيان الهائل الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة أو ذرة تائهة، وهذا فيه إشارة إلى البعد البعيد، ﴿أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ضائعة في ثراها وحصاها لاتبين، كما أن في هذا التعبير إشارة إلى الظلمات، فإن جوف الأرض أظلم الأماكن. ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ فعلمه يلاحقها، وقدرته

(١) في ظلال القرآن (٢٧٨٩/٥) وقبس من نور القرآن الكريم للشيخ محمد علي الصابوني (٦٩/١٠) بتصرف.

(٢) المثقال: ما يوزن به.

(٣) الحبة: واحدة الحب. والحب اسم جنس للقمح والشعير والذرة والفول ونحوها من المطعومات، والخردل: نبات له حب صغير جداً، وإذا جفت حبة الخردل كانت نهاية في الصغر، ويضرب به المثل في الصغر. المفردات (٢١٤) وعمدة الحفاظ (٣٦٤/١) والقاموس القويم (٢٣٩/١، ١٩٠) والمعجم الوسيط (٢٢٥/١).

(٤) سورة لقمان الآية: ١٦ .

لاتفلتها، وإن خفيت وَدَقَّتَ، أي: أن الحسنة أو السيئة إن كانت في صخرة أو حيث كانت من العالم العلوي والعالم السفلي فالله متمكن منها، عالم بها، وهو معنى قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[1].

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهذه الوصية هو أنه (يابني لو كان للإنسان رزق مثقال حبة من خردل في صخرة أو في السماوات أو في الأرض لأتى الله سبحانه وتعالى بها وساقها إلى من هي رزقه. وبالتالي فينبغي على المسلم أن لايهتم بالرزق اهتماما يشغله عن أداء العبادات، وعن اتباع سبيل من أناب إلى الله عز وجل، لأنه ما قدر له من رزق فسوف يأتيه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ واللطيف: من يعلم دقائق الأشياء، ويسلك في إيصالها إلى من تصلح به مسلك الرفق، فهو وصف مؤذن بالعلم والقدرة الكاملين، أي: يعلم ويقدر وينفذ قدرته.

ففي تعقيب ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ بوصفه بـ «اللطيف» (تعقيب يناسب المشهد الخفي اللطيف)[3]، وفيه إيماء إلى أن التمكن منها وامتلاكها بكيفية دقيقة تناسب فلق الصخرة، واستخراج الخردلة منها مع سلامتهما وسلامة ما اتصل

(١) سورة يونس الآية: ٦١ .

(٢) سورة الذاريات الآيات: ٥٦ - ٥٨ .

(٣) في ظلال القرآن (٥/٢٧٨٩).

بهما من خلال نظام صنعه)[1].

الموعظة الثالثة : الأمر بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفيها يقول لقمان لابنه:

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[2] بعد أن تابع لقمان الحكيم مع ابنه خطوات العقيدة بعد استقرارها في الضمير، بعد الإيمان بالله وحده لاشريك له، واليقين بالآخرة وأنها لاريب فيها، والثقة بعدالة الجزاء الذي لايفلت منه مثال حبة من خردل، انتقل إلى مقتضياتها، وهي الأعمال الصالحة، فابتدأها بالأمر بإقامة الصلاة ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والصلاة هي التوجه إلى الله بالخضوع والتسبيح والدعاء في أوقات معينة في الشريعة التي يدين بها لقمان، والصلاة عماد الدين، والأعمال لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله وطلب الاهتداء للعمل الصالح.

وإقامة الصلاة ليس أداؤها فحسب، بل أداؤها بحدودها وفروضها وخشوعها وفي أوقاتها، وبكل ما يعين على تمام قبولها، لتكون ذات أثر عظيم في الخلوص من المعصية والاستقامة على الطاعة، ويُصَدِّق هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[3].

وبعد أن أمره بالصلاة تكميلا لنفسه، أوصاه بأن يكون آمرا بالمعروف

(١) التحرير والتنوير (٢١/١٦٣، ١٦٤)، بتصرف.

(٢) سورة لقمان الآية: ١٧ .

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٤٥ .

ناهيا عن المنكر حتى يكمل غيره، فقال: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ويشمل الأمر بالمعروف الإتيان بالأعمال الصالحة كلها على وجه الإجمال ليتطلب بيانه في تضاعيف وصايا أبيه، كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة كذلك.

ثم أعقب ذلك بأن أمره بالصبر على ما يصيبه، والصبر هو: تحمل ما يحل بالمرء مما يؤلم ويحزن.

ووجه تعقيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بملازمة الصبر: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجران للقائم بهما معاداة من بعض الناس، أو أذى من بعض، فإذا لم يصبر على ما أصابه من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوشك أن يتركهما.

ولما كانت فائدة الصبر عائدة على الصابر بالأجر العظيم عُدَّ الصبر هنا في عداد الأعمال القاصرة على صاحبها، ولم يلتفت إلى ما في تحمل أذى الناس من حسن المعاملة معهم، حتى يذكر الصبر مع قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لأن ذلك ليس هو المقصود الأول من الأمر بالصبر[1].

ثم بين لقمان الحكيم لابنه أن الصبر على أذى الناس من معزومات الأمور ومفروضاتها التي فرضها الله[2]، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٧﴾ وذلك اسم إشارة إلى كل ما ذكر، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد المشار

---

(١) التحرير والتنوير (٢١/١٦٤، ١٦٥).

(٢) تفسير الوسيط (٣/٤٤٤)، والكشاف (٣/٤٩٦، ٤٩٧)، وابن كثير (٣/٤٤٦).

إليه للإشعار ببعد منزلته[1].

فقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ راجع إذاً إلى إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك، إذ إنها من الأمور الواجبة التي أمر الله بها[2] وقيل راجع إلى الصبر، ويدل عليه قوله عز وجل: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3]، أي: أرباب الثبات والعزم، لأن الداعية لايثبت على طريقه إلا بالصبر، وبه يجزم أمره على أن لايرجع عن أمر الدعوة[4].

ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[5] ويحتمل أن يريد أن ذلك من مكارم الأخلاق، وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة.

الموعظة الرابعة : الأمر بالتواضع ولين الجانب مع الناس

بعد أن أمر لقمان الحكيم ابنه بما يكمل به نفسه، وما يكمل به غيره أمره، بما ينبغي أن يكون عليه من آداب، وهو يتعامل مع الناس، فقال له: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ [6] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧/٧٢، ٧٣)، وروح المعاني (٢١/٨٩).

(٢) تفسير الخازن (٥/٢١٧).

(٣) سورة الأحقاف الآية: ٣٥ .

(٤) القصص القرآني ص ٣٣٥، ٣٣٦ .

(٥) سورة الشورى الآية: ٤٣ .

(٦) تُصَعِّر: الصَّعَرُ: ميل في العنق، والتَّصْعير: إمالتُهُ عن النظر كبراً. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٨٤ .

كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾﴾[1].

والصعر: داء يصيب البعير يلوي منه عنقه. والمعنى في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً، ولاتولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون[2]، أو لاتُملِ خدك للناس كبراً عليهم وإعجابا، واحتقارا لهم[3].

﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾[4] أي: لا تمش في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس. وفرحا وازدهاء في غير شغل وفي غير حاجة، وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء، فالمرحون مختالون في مشيتهم[5]. ولذلك نهاهم الله عز وجل عن ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾﴾[6].

كما نهاهم الرسول ﷺ فقال: «لايَنْظُرُ الله إلى مَنْ جَرَّ ثَوبهُ خُيَلاء»[7] ثم يتبع نهيه هذا بتحذير ابنه، من بغض ربه عز وجل له، إن مشى في الأرض متكبراً مختالاً فخوراً، قائلاً له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾﴾

---

(١) سورة لقمان الآية: ١٨ .

(٢) الكشاف (٨٣٧).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ص (١٤٨٧).

(٤) المرح: شدة الفرح والتوسع فيه، المفردات ص ٧٦٤ .

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ص (١٤٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٧٠، ٧١)، والتحرير والتنوير (٢١/١٦٧)، وفي ظلال القرآن (٥/٢٧٩٠).

(٦) سورة الإسراء الآية: ٣٧ .

(٧) أخرجه البخاري في - كتاب اللباس - الحديث (٥٧٨٣)، ومسلم في - كتاب اللباس والزينة - الحديث (٥٤٢٠)، والترمذي في - كتاب اللباس - الحديث (١٧٣١).

وهذه الجملة تعليل للنهي عن الاختيال والفخر. والاختيال هو المرح، والفخر هو: التعالي والتفاخر على الناس بالمال أو الشرف، أو القوة، أو غير ذلك، وليس منه التحدث بنعم الله[1]، فإن الله يقول ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾[2].

ومن الآيات التي نهى الله عز وجل فيها عن مثل هذه الصفات الذميمة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾[3]. والهدف من هذا النهي الابتعاد أو التخلص من هذه الصفات لخطرها على الأفراد والجماعات.

الموعظة الخامسة : مراعاة الأدب في المشي والحديث

لما نهى لقمان الحكيم ابنه في موعظته السابقة عن الخلق الذميم، رسم له في موعظته الأخيرة الخلق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله، فقال له: ﴿وَٱقْصِدْ[4] فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ[5] مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾[6] أي: توسط في مشيك بين الدبيب والإسراع، وليكن مشيك قصدا، لاتخايلا ولا إسراعا. ولارياء ولا تبخترا ونحو هذا مما ليس بقصد[7].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢٩٨/٤).

(٢) سورة الضحى الآية: ١١ .

(٣) سورة النساء الآية: ٣٦ .

(٤) القصد: الوسط العدل بين طرفين، فالقصد في المشي هو: أن يكون بين طرف التبختر وطرف الدبيب.

(٥) الغض: النقصان من الطَّرْف والصَّوْتَ وما في الإناء، يقال: غَضَّ وأغَضّ. المفردات مادة (غض) ص٦٠٧، ٦٠٨ .

(٦) سورة لقمان الآية: ١٩ .

(٧) إرشاد العقل السليم (٧٣/٧)، وروح المعاني (٩٠/٢١)، والمحرر الوجيز (ص١٤٨٨).

﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ أي: اخفض من صوتك عند الكلام والخِطَاب، ولاترفعه عاليا فإنه قبيح لايَجْمُل بالعاقل، وقيل: الغض من الصوت مطلقا، فيشمل الغض عند العطاس، فلا ينبغي أن يرفع صوته عنده إن أمكنه عدم الرفع[1].

وللتنفير من هذه الصفة شَبَّهَ فاعلها بالحمار في علو صوته ورفعه، فقال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ۝١٩﴾ أي: إن أنكر الأصوات وأقبحها وأوحشها لصوت الحمير.

---

(١) روح المعاني (٢١/٩٢).

المبحث الثاني
التربية بالموعظة الحسنة
وأهميتها وأساليبها

التربية بالموعظة الحسنة وأهميتها وأساليبها

كلمة حول التربية بالموعظة :

بعد أن انتهينا من مواعظ لقمان الحكيم لابنه لابد لنا من كلمة حول التربية بالموعظة فنقول:

إن من أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الولد إيمانياً، وإعداده خلقياً ونفسياً واجتماعياً، تربيته بالموعظة، وتذكيره بالنصيحة، لما للموعظة والنصيحة من أثر كبير في تبصير الولد حقائق الأشياء، ودفعه إلى معالي الأمور، وتحليه بمكارم الأخلاق، وتوعيته بمبادئ الإسلام، فلاعجب إذاً من أن نجد القرآن الكريم قد انتهجها، وخاطب النفوس بها، وكررها في كثير من آياته، وفي مواطن عدة من توجيهاته وعظاته.

أساليب التربية بالموعظة :

التربية بالموعظة لاتسير على نمط واحد فقط، بل تتميز بأساليب عدة من أهمها ما يلي:

١ - **النداء الإقناعي** : مصحوباً بالاستعطاف أو الاستنكار، كقول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾[1] وكقول سيدنا نوح لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[2] الخ.

٢ - **الأسلوب القصصي المصحوب بالعبرة والموعظة** : وهذا الأسلوب له تأثيراته النفسية، وانطباعاته الذهنية، وحججه المنطقية والعقلية، وقد استعمله

(١) سورة لقمان الآية : ١٣ .

(٢) سورة هود الآية : ٤٢ .

القرآن الكريم في كثير من المواطن ولاسيما في أخبار الرسل مع أقوامهم.

٣ - **انتهاج أسلوب الحوار والاستجواب** : وذلك بطرح الأسئلة على أصحابه، ليثير انتباههم، ويحرك ذكاءهم، ويقدح فطنتهم، ويسقيهم المواعظ المؤثرة في قالب الإقناع والمحاجَّة.

ومن أمثلة ذلك من السنة ماروواه الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع، فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقد قذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[(١)].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لايبقى من درنه شيء، قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[(٢)].

٤ - **بدء الموعظة بالقسم بالله تعالى** :روى البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن. قيل من يارسول الله؟ قال: الذي لا

---

(١) أخرجه مسلم في - كتاب البر والصلة - الحديث (٦٥٢٢)، والترمذي الحديث (٢٤٢٣)، وأحمد (٣٠٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري في - كتاب مواقيت الصلاة - الحديث (٥٢٨)، ومسلم في - كتاب المساجد - الحديث (١٥٢٠)، والترمذي في - كتاب الأمثال - الحديث (٢٨٦٨)، والنسائي في - كتاب الصلاة - الحديث (٤٦١)، وأحمد (٣٧٩/٢).

يأمن جاره بوائقه»[1][2].

٥ - **دمج الموعظة بالمداعبة** : فعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً استحمل برسول الله ﷺ فقال: «إني حاملك على ولد الناقة، فقال الرجل: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق»[3] فأفهمه ﷺ عن طريق المداعبة أن الجمل ولو كان كبيراً يحمل الأثقال ما يزال ولد الناقة. وهناك كثير من مداعباته عليه الصلاة والسلام.

٦ - **الاقتصاد بالموعظة مخافة السآمة** : عن جابر بن سمرة: «كان رسول الله ﷺ لايطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هي كلمات يسيرات»[4].

وعن عبدالله قال: «كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا»[5].

٧ - **أن يخلص الواعظ نيته** : وأن يكون رقيق القلب، خاشع النفس، طاهر السريرة، مشرق الروح حتى يستطيع التأثير على من يعظهم.

٨ - **الموعظة بضرب المثل** : وذلك بالاستعانة بما يشاهد الناس أمام أعينهم، ويقع تحت حواسهم، وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ.

٩- **الموعظة بالتمثيل باليد** : كما كان يفعل رسول الله ﷺ فقد كان إذا أراد أن

---

(١) بوائقه أي: شروره.

(٢) رواه البخاري في - كتاب الأدب - الحديث (٦٠٦١)، وأحمد (٤/٣١).

(٣) رواه الترمذي في - كتاب البر والصلة - الحديث (١٩٩٦)، وقال: صحيح غريب.

(٤) رواه أبو داود في - كتاب الصلاة - الحديث (١١٠٧)، والحاكم في المستدرك الحديث (١٠٦٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/٢٠٨).

(٥) أخرجه الترمذي في - كتاب بالأدب - الحديث (٢٨٦٠)، وقال حسن صحيح.

يؤكد أمراً مهما يمثل بكلتا يديه، إشارة منه إلى الأمر المهم الذي يجب أن يهتموا به ويتمثلوه.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا. وشبك رسول الله بين أصابعه»[1].

١٠- **الموعظة بالرسم والإيضاح**: فقد كان رسول الله ﷺ يخط أمام أصحابه خطوطا ليوضح لهم بعض المفاهيم المهمة، ويقرب إلى أذهانهم بعض التصورات المفيدة. روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطاً مُرَبَّعاً، وخَطَّ خَطاً في الوسط خَارجاً منْهُ، وَخطَّ خُطُطاً صغَاراً إلى هذا الذي في الوسط منْ جَانبِه الذي في الوسَطِ، وقَالَ: «هذا الإنسانُ وهذا أجلُهُ مُحيطٌ به، أَوْقَدْ أَحَاطَ به، وهذا الذي هُوَ خَارجٌ أمَلُهُ، وهذه الخطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإنْ أَخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أَخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا»[2].

١١- **الموعظة بالفعل التطبيقي**: كما كان يفعل الرسول ﷺ، فقد توضأ رسول الله ﷺ أمام جمع من الناس ثم قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لايحدث نفسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في - كتاب الصلاة - الحديث (٤٨١)، ومسلم في - كتاب البر والصلة - الحديث (٦٥٢٨)، والترمذي في - كتاب البر والصلة - الحديث (١٩٢٨)، والنسائي في - كتاب الزكاة - الحديث (٢٥٥٩)، وأحمد (٤/٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في - كتاب الرقاق - الحديث (٦٤١٧)، والترمذي في - كتاب صفة القيامة - الحديث (٢٤٥٤)، وابن ماجه في - كتاب الزهد - الحديث (٤٢٣١).

(٣) أخرجه البخاري في - كتاب الوضوء - الحديث (١٥٩)، ومسلم في - كتاب الطهارة - =

١٢ - **الموعظة بانتهاز المناسبات** : وذلك لتكون الموعظة أبلغ في التأثير، وأفضل للفهم والمعرفة.

١٣ - **الموعظة بالالتفات إلى الأهم** .

١٤ - **الموعظة بإظهار المحرم الذي ينهى عنه** : كأن يحمله بيده، ويرفعه أمام المخاطبين، ليقرر لهم الشيء المنهي عنه بالقول والمشاهدة، ليكون ذلك أزجر للنفوس، وأقطع في الدلالة على التحريم، كما كان يفعل رسول الله ﷺ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إن نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»[(١)].

تلكم هي أهم أساليب الموعظة التي ينبغي على المربي اتباعها، لما لها من الأثر الكبير في ترسيخ المعلومات، وإثارة الفهم، وتحريك الذكاء، وقبول الموعظة، وقدح الفطنة، والانتباه لدى المخاطب والولد.

فالمربي حين يحسن عرض هذه الأساليب في إلقاء مواعظه وإرشاداته على من يقوم بإعدادهم وتربيتهم من أهل وولد وتلاميذ، فإنهم بلاشك يتعلمون ويطبقون ويتأثرون، ويكونون دعاة خير، وأئمة هدى، وجنود رسالة، وأبطال جهاد، بل يكونون القاعدة الصلبة في بناء المجتمع الفاضل الصالح الذي تعقد عليه الآمال، وعلى أيديهم يتحقق نصر الإسلام[(٢)].

=الحديث (٣٥٧)، وأبو داود في - كتاب الطهارة - الحديث (١٠٦)، والنسائي في - كتاب الطهارة - الحديث (٨٤)، وابن خزيمة في - كتاب الوضوء - الحديث (٣)، وأحمد (٥٩/١).

(١) أخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٠٧/٢) الحديث (٥٩٠) وقال: إسناده حسن.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام للأستاذ عبدالله ناصح علوان (٦٥٣/٢-٦٨٦) بتصرف.

المبحث الثالث
المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة لقمان الحكيم

المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة

من قصة لقمان الحكيم

المفهوم الأول: المؤمن مكلف بهداية أهله وإصلاح بيته، كما هو مكلف بهداية نفسه وإصلاح قلبه.

يرشدنا القرآن الكريم من خلال قصة لقمان إلى ما ينبغي أن يكون عليه البيت المسلم، وما أنيط برب الأسرة من تعاهد الأبناء، والقيام على تربيتهم، وتنشئتهم على الآداب الكريمة، والخصال الحميدة، فالمؤمن مكلف بهداية أهله، وإصلاح بيته، كما هو مكلف بهداية نفسه وإصلاح قلبه. إن الإسلام دين أسرة، ومن ثم يقرر تبعة المؤمن في أسرته، وواجبه في بيته، والبيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة، وهو الخلية التي يتألف منها، ومن الخلايا الأخرى في ذلك الجسم الحي.. المجتمع الإسلامي.. إن البيت الواحد قلعة من قلاع هذه العقيدة، ولابدّ أن تكون هذه القلعة متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، كل فرد فيها يقف على ثغرة لاينفذ إليها. وإلا تكن كذلك سهل اقتحام المعسكر من داخل قلاعه، فلايصعب على طارق، ولايستعصى على مهاجم!

وواجب على المؤمن أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله، وواجبه أن يُؤمِّنَ هذه القلعة من داخلها، واجبه أن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيدا.

ولابد من الأم المسلمة، فالأب المسلم وحده لايكفي لتأمين القلعة، لابد من أب وأم ليقوما كذلك على الأبناء والبنات، فعبثا يحاول الرجل أن ينشىء

المجتمع الإسلامي بمجموعة من الرجال. لابد من النساء في هذا المجتمع، فهن الحارسات على النشء، وهو بذور المستقبل وثماره. ولذلك ينبغي على الرجل أن يدرك أن عليه مسئوليات جساماً، وواجباً مضاعفاً، إن عليه أن يقي نفسه من النار؟ وعليه أن يقي أهله من هذه النار، كما عليه أن يدرك ثقل الواجب الواقع على عاتقه حتى يبذل له الجهد المضاعف. وأن يبدأ هذا الجهد بالبحث أولاً عن حارسة لقلعته الأسرية التي يريد نشأتها، فيختار المرأة الصالحة التي تستمد تصورها من الإسلام، وسيضحي في سبيل هذا بأشياء، سيضحي بالالتماع الكاذب في المرأة، سيضحي بخضراء الدمن! سيضحي بالمظهر البراق، ليبحث عن ذات الدين، التي تعينه على بناء بيت مسلم، وعلى إنشاء قلعة مسلمة. شريعتها الإسلام، والإسلام منهجها الكامل الذي تستقي منه كل تصوراتها[1].

وإذا كان الأمر كذلك وإذا تكونت الأسرة على هذه الحال قام كل من الأب والأم بدورهما في تربية الأولاد والبنات على العقيدة الصحيحة، والإيمان الصادق، والأخلاق النبيلة.

المفهوم الثاني: أول ما يجب على الآباء بناء العقيدة الصحيحة في نفوس أبنائهم.

بدأ لقمان وصاياه ومواعظه لابنه بأهم الأمور، وهي إصلاح عقيدته بالله، فنهاه عن الشرك به، ويستتبع هذا النهي الأمر بعبادته وحده، ومع هذا النهي المستلزم للأمر بيَّنَ له علة النهي وهي أن الشرك ظلم عظيم.

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٦١٩-٣٦٢٠) بتصرف.

وكانت نظرة لقمان أول ما نظر وموعظته أول ما وعظ إلى الإيمان بالله، وهذا هو المطلوب حقاً.. إذ إن أمر العقيدة أهم الأمور، لأنه الأساس الذي يبنى عليه ما يأتي بعده من متطلبات الدين... فهو مسؤولية تجاة الولد في تربيته وإصلاحه.

ولقمان الحكيم لم يعظ ابنه هنا بأمر جديد عليه، بل هو أمر قد فطر عليه، فأراد رده إليه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[1] فالإيمان مفطور في النفوس منذ خلق الله الخلق ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ....﴾[2] وإنها لمسؤولية التربية الإيمانية العظمى، فإن الولد إن لم يُعْنَ به عقديا نشأ مختل العقيدة، ضعيف الإيمان، هذا إن لم ينحلّ وينتقل من الإسلام إلى الكفر بفعل عوامل البيئة الفاسدة، والمجتمعات الضالة، وعندئذ يصعب رده إلى جادة الحق، وإلى سبيل الإيمان والهدى[3].

المفهوم الثالث : التخلية قبل التحلية.

وسبب نهي لقمان لابنه عن الشرك في أول موعظة له هو: (أن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليها عن مبادىء الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل)[4] (ثم طلب منه التخلي عن مزالق الفساد والضلال ليستطيع الرقي في مدارج التزكية والكمال، وكيف

(١) سورة الروم الآية: ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٧٢ .

(٣) القصص القرآني ص٣٤٢، ٣٤٣، وتربية الأولاد في الإسلام لعبدالله ناصح علوان (١/١٦٣).

(٤) التحرير والتنوير (٢٠/١٥٥).

تصح حال المريض، ويبرأ من المرض وهو يقيم على سبب العلة، وأساس المرض؟! وإن أول ما يقوله له الطبيب المداوي: توقف عن تناول أسباب هذا المرض، وأقلع عن موجدات ومقويات هذه العلة. ثم يقويه بالدواء الشافي الذي يرتقي به في أطوار الصحة والعافية حالا بعد حال، إنه يطلب إليه أن يتخلى عن الرذيلة، ويمده بعد ذلك بمعجون الاستقامة والفضيلة[1].

المفهوم الرابع : الشرك ظلم عظيم، والمشرك ظالم لنفسه، ظالم للمخلوقات، ظالم لحقوق الخالق.

كثيراً ما عَبَّرَ القرآن الكريم عن الشرك والكفر بالظلم، كما في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2] وكما في قوله سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

ووجه كون الكفر والشرك ظلما، هو أن الكافر والمشرك ظالم بذلك، لأن الظلم هو التعدي وتجاوز الحد، ونصر الباطل، ومجانبة الحق، وإخفاء الحقيقة، والمشرك ظالم لحقوق الخالق، وظالم لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظالم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم، وظالم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها، وظالم للمخلوقات بالنظر إليها نظرة غير حقيقية، وظالم لأهل الكفر لأنه كان قدوة لهم في الكفر مساعدا لهم على باطلهم، والظلم عند الله سبحانه وتعالى يوم

(١) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن (١٦٩).
(٢) سورة لقمان الآية : ١٣ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٢٥٤ .

القيامة كما يقول ابن القيم الجوزية له ثلاثة دواوين: ديوان لايغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك به، فإن الله عز وجل لايغفر أن يشرك به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[1]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾[2].

وديوان لايترك الله تعالى منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضا، فإن الله يستوفيه كله.

وديوان لايعبأ الله به شيئا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، بخلاف ديوان الشرك فإنه لايمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لايمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها[3]. أراد لقمان أن يباعد ابنه عن أعظم أنواع الظلم والظلمات ألا وهو الشرك، ونبهه ضمنا إلى النفور من الظلم والعدوان بكل أنواعه وأشكاله، تمهيدا لما يأتى بعده من النصائح والآداب.

وبهذه الآية ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فسر النبي ﷺ آية الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾[4] فقد ظن الصحابة عند سماعهم للآية الكريمة أن المراد بالظلم هو المعصية والذنب، فبما أنهم معرَّضون للذنوب والمعاصي، فلن يكون أحد منهم آمنا، ولذلك شق الأمر عليهم، وقالوا: «وأينا لايظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما

(١) سورة النساء الآية : ١٤٨ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

(٣) الوابل الصيب لابن القيم (٤٧).

(٤) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .

تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»[1].

قال الإمام النووي: (هكذا وقع الحديث هنا في صحيح مسلم، ووقع في صحيح البخاري: لما نزلت الآية قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[2] فهاتان الروايتان إحداهما تبين الآخرى، فيكون لما شق عليهم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ وأعلم النبي ﷺ أن الظلم المطلق هناك المراد به هذا المقيد، وهو الشرك، فقال لهم النبي ﷺ بعد ذلك ليس الظلم على إطلاقه وعمومه كما ظننتم، إنما هو الشرك كما قال لقمان لابنه، فالصحابة رضي الله عنهم حملوا الظلم على عمومه، والمتبادر إلى الأفهام منه، وهو وضع الشيء في غير موضعه، وهو مخالفة الشرع، فشق ذلك عليهم إلى أن أعلمهم النبي ﷺ بالمراد بهذا الظلم. قال الخطابي: إنما شق عليهم لأن ظاهر الظلم الافتيات بحقوق الناس، وما ظلموا به أنفسهم من ارتكاب المعاصي، فظنوا أن المراد معناه الظاهر، وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن جعل العبادة لغير الله تعالى فهو أظلم الظالمين، وفي هذا الحديث جمل من العلم منها: أن المعاصي لاتكون كفرا، والله أعلم)[3].

الشرك نوعان :

أحدهما : أن يجعل لله ندا، ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو

---

(١) أخرجه مسلم في - كتاب الإيمان - الحديث (١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في - كتاب الإيمان - الحديث (٣٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (٣٢٣/٢).

قمر أو نَبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[3]. والآيات في ذلك كثيرة.

فمن أشرك بالله ثم مات مشركا فهو من أصحاب النار قطعا، كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة، وإن عذب بالنار، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثا - قالوا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»[4].

والنوع الثاني من الشرك: الرياء بالأعمال، كما يفعل أهل الرياء ومن يطلب بعمله الدنيا وقد ورد في الحديث تسمية الرياء بالشرك الأصغر، فقد قال رسول الله ﷺ إن أخوف ما أخاف عليكم «الشرك الأصغر» قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جاء العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء»[4]. ويؤيد ذلك من القرآن الكريم تقديم الأمر بالعمل الصالح

---

(١) سورة النساء الآية : ٤٨ .

(٢) سورة لقمان الآية : ١٣ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

(٤) أخرجه البخاري في - كتاب الشهادات - الحديث (٢٦٥٤) واللفظ له، ومسلم في - كتاب الإيمان - الحديث (٨٧).

على النهي - في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[1]، (فإن وجهه حينئذ ظاهر إذ يكون الكلام في قوة قوله: من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا في نفسه ولايراء بعمله أحداً فيفسده)[2].

المفهوم الخامس : قيام الآباء بواجبهم نحو الأبناء فطرة وجِبِلَّة، وبر الأبناء للآباء يحتاج إلى مجاهدة وتذكير دائم بالجميل.

(إن توصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم، وفي وصايا رسول الله ﷺ كثيراً، ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً، ومعظمها في حالة الوأد، «أي دفن البنات وهنّ أحياء» وهي حالة خاصة في ظروف خاصة، ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه، فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشيء لضمان امتداد الحياة، كما يريدها الله، وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، من أجل تحقيق مطالبه، في غير تأفف ولا شكوى، بل في غير انتباه ولاشعور بما يبذلان! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما اللذان يأخذان! فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة! فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة، ليلتفت إلى الجيل المضحي، المدبر، المولي، الذاهب في أدبار الحياة، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة، وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوض الوالدين بعض مابذلاه،

---

(١) سورة الكهف الآية : ١١٠ .

(٢) روح المعاني للألوسي (٥٤/١٦).

ولو وقف عمره عليهما. وهذه الصورة الموحية: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ ترسم ظلال هذا البذل النبيل، والأم بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر، وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق)[1].

المفهوم السادس: الوصية بالأم تقتضي الوصية بالأب، وخصت بالذكر لما تعانيه في الحمل والولادة من وهن وآلام.

أوصى الله تعالى بالوالدين (بذكر أحوال خاصة بأحدهما وهي الأم اكتفاء بأن تلك الحالة تقتضي الوصاية بالأب أيضاً للقياس، فإن الأب يلاقي مشاقّا وتعبا في القيام على الأم لتتمكن من الشغل بالطفل في مدة حضانته، ثم هو يتولى تربيته والذّب عنه حتى يبلغ أشده، ويستغني عن الإسعاف كما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝٢٤﴾ فجمعهما في التربية في حال الصغر مما يرجع إلى حفظه وإكمال نشأته، فلما ذكرت هنا الحالة التي تقتضي البر بالأم من الحمل والإرضاع كانت منبهة إلى ما للأب من حالة تقتضي البر به على حسب ما تقتضيه تلك العلة في كليهما قوة وضعفاً، ولايقدح في القياس التفاوت بين المقيس والمقيس عليه في قوة الوصف الموجب للإلحاق، وقد نبه على هذا القياس تشريكهما في الحكم عقب ذلك بقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، وقوله ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾. وحصل من هذا النظم البديع قضاء حق الإيجاز)[2].

وفي قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ تسجيل لحقيقة

(١) في ظلال القرآن (٢٧٨٨/٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٥٨/٢١).

قاطعة، وهي أن الأم تبقى واهنة ضعيفة متعبة - والوهن هو الضعف - طيلة مدة الحمل، ويبدأ وهنها منذ بداية الحمل، ويتشمل في أعراض «الوَحَم» و«التَّقَيُّؤ» ويستمر ذلك حتى تضع حملها، وإلى ما بعد الوضع أيضا.

ولعل هذه الحكمة من جمع الوهن إلى الوهن، فوهنها دائم مستمر طيلة الحمل، ولم تقيّد الآية الوهن بصورة من الصور، بل جعلته مطلقاً عاماً، ليشمل كل صور الوهن وحالاته وآفاته، فهو وهْن في الجسم، ووهْن في النفس، ووهن في الشعور، ووهْن في القوة، ووهن في العمل والأداء، ووهْن في ٱلخُلُقِ والسلوك، ووهن في الصِّلاتِ والتصرفات، ووهن في المشاعر والأحاسيس إلى غير ذلك، ومع ذلك الوهن المستمر المتضاعف المتجدد، يبقى مرغوبا فيه من قبل المرأة، ويبقى مطلوبا محبوبا، فإذا لم تَحمِل تسعى لتَحمِل، وتبذل كل ما تملك لتَحمِل! وسبحان من فطرها على التلذذ بالوهن وطلبِهِ والرغبة فيه[1].

المفهوم السابع : ينبغي على الأم أن تراعي حق طفلها في الرضاعة الطبيعية وهي عامان.

في قوله: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ إشارة إلى مدة الرضاع الطبيعية الضرورية للطفل، إنها عامان، فإن قَلَّتْ عن عامين فإن الطفل في هذه الحالة لايكون قد أخذ حاجته الضرورية من حليب الأم، ذلك الحليب الطبيعي، وإن زادت مدة الرضاعة عن عامين فإن هذه الزيادة لاتفيد في شيء، بل ربما قد تضره.

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن للدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي (٣/١٧٤، ١٧٥) بتصرف.

وحليب الأم بالإضافة إلى أنه الغذاء الطبيعي في السنتين الأولى والثانية من عمر الطفل، وبه ينمو الطفل نُمُوًّا طبيعيا سواء من الناحية الجسمية أم الصحية أم النفسية أم الخلقية فإنه يغرس فيه المحبة والمودة والرحمة والحنان والشفقة.

خاصة وأن جميع النظريات العلمية والصحية والتربوية أجمعت كلها كافة على صحة المقولة السابقة من أن الرضاعة الطبيعية من حليب الأم سبب نمو الطفل نمواً شاملاً طبيعياً.

المفهوم الثامن : تعظيماً لحق الأبوين قرن الله شكرهما بشكره.

في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1] إعظام لحق الأبوين وتنويه بوجوب ترتيب الحقوق والتزام أدائها، فقد جعل الله عز وجل شكر الوالدين مقترنا بشكره سبحانه وتعالى، ورضاهما من رضاه، لذا فمن الواجب على الأبناء شكر الله عز وجل على نعمه العظيمة ثم شكر الوالدين على ما قدماه، من إنجاب، وتربية، وعطف، وحنان، وغير ذلك. ويؤخذ من ذلك جواز شكر البشر الذين يقدمون للإنسان خيرا ومعروفا، فشكر الوالدين واجب بنص الآية.

ولكن الشكر في الحقيقة لايكون إلا لله، وما شكر المحسنين إلا شكر لله، لأن الله هو الذي ألهمهم الإحسان للإنسان، فيشكر الله من خلال شكره لهم. وما شكر الوالدين إلا شكر لله، فهو وإن كان شكر لهما في الظاهر، إلا أنه شكر لله في الحقيقة، الذي جعلهما سببا في وجود الإنسان، وجعل فيهما

(١) سورة لقمان الآية : ١٤ .

الرحمة والرأفة به، ولعل ما ذكرناه يتفق مع قول رسول الله ﷺ: «من لايشكر الناس لايشكر الله»[1].

وشكر الله عز وجل هو: ألا نعصي الله بنعمة، وألا نرى معه شريكا في نعمة، وطاعة الله عز وجل، وفعل ما يرضى الله، كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك من العبادات التي أمرنا بتأديتها، وتعظيم الله سبحانه وتكبيره، وصرف جميع ما أنعم الله عز وجل علينا إلى ما خلقنا لأجله، ثم بعد كل ذلك الإقرار بالعجز عن الشكر. والحاصل: أن شكر القلب المعرفة، وشكر اللسان الحمد، وشكر الأركان الطاعة، ورؤية العجز في الكل دليل على قبول الكل[2].

أما شكر الوالدين فيتمثل في أمور كثيرة كلها ترجع إلى البر والإحسان إليهما ومن أهمها ما يلي:

١ - شكر الله عز وجل دائما على إنعامه عليهما قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

٢ - أن يتوجه لوالديه دائما بالشكر خاصة وأن الله عز وجل قرن بين شكره

(١) أخرجه أبو داود في - كتاب الأدب - الحديث (٤٨١١)، وأحمد (٤٦١/٢)، وابن حبان في صحيحه (١٩٨/٨) الحديث (٣٤٠٧)، والمقدسي في المختارة (٣٠٧/٤) الحديث (١٤٩٣)، والبيهقي في الشعب (٥١٦/٦) الحديث (٩١١٧).
وأخرجه الترمذي في - كتاب البر والصلة - الحديث (١٩٥٤) بلفظ «من لايشكر الناس لايشكر الله».

(٢) تفسير النّسفي (١٣٠/٤)، والقاسمي (محاسن التأويل ٤٧٩٦/١٣) وروح المعاني ٨٦/٢١، ٨٧، والقرطبي ٦٥/١٤، وروح البيان لإسماعيل حقي ٥٢/٣ .

(٣) سورة لقمان جزء من الآية : ١٤ .

وشكر الوالدين كما هو واضح في القول الكريم السابق، ولذلك فكما يقول ابن عباس رضي الله عنه: من شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه[1].

٣ - عدم التأفف منهما، واجتناب نهرهما في كل أحوالهما، وخاصة وقت كبرهما، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

٤ - التواضع معهما ولين الجانب لهما وخفض الجناح، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[3] وهنا يشف التعبير ويلطف، ويبلغ شغاف القلب، وحنايا الوجدان، فهي الرحمة ترق وتلطف، حتى لكأنها الذل الذي لايرفع عينا، ولايرفض أمرا - وكأنما للذل جناح يخفضه إيذانا بالسلام والاستسلام[4]. وهي الرحمة التي تزيل الوحشة من نفسيهما إذا صارا في حاجة إلى معونة الولد، لأن الأبوين يبغيان أن يكونا النافعين لولدهما، والقصد من ذلك التخلق بشكره على أنعامهما السابقة عليه[5].

٥ - النفقة عليهما لأن الإنفاق عليهما أمر به الله سبحانه وتعالى بل بين أنه من خير ما ينفقه الإنسان، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[6]. كما بين الرسول

(١) الكبائر للذهبي ص ٣٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٢٣ .

(٣) سورة الإسراء جزء من الآية : ٢٤ .

(٤) في ظلال القرآن (٢٢٢١/٤).

(٥) التحرير والتنوير (٧٠/١٥).

(٦) سورة البقرة الآية : ٢١٥ .

الكريم ﷺ أن الإنسان وماله لأبيه. فعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي مالا وولدا وإن أبي يريد أن يجتاح مالي[1]، قال: «أنت ومالك لأبيك»[2].

٦ - القيام لهما عند قدومها وعدم الجلوس إلا بعد قعودهما، وتجنب التقدم في المشي عليهما، أو الخروج أو الجلوس قبلهما، أو تسميتهما باسمهما. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلين فقال لأحدهما «ما هذا منك؟ قال أبي؟ فقال: لاتسمه باسمه، ولاتمش أمامه، ولاتجلس قبله»[3].

٧ - المحافظة على سمعتهما، والحذر من التسبب في شتمهما لأن التسبب في شتمهما من أكبر الكبائر، لقول الرسول ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجلُ أبا الرجل فيَسُبُّ أباه، ويَسُبَّ أمه فَيَسُبُّ أُمَّهُ»[4].

٨ - تلبية ندائهما، والمسارعة لقضاء حوائجهما، وطاعة أمرهما، وتجنب مقاطعتهما في كلامهما، أو مجادلتهما، أو معاندتهما، أولومهما، أو السخرية منهما، وتجنب الضحك والقهقهة بحضرتهما، وتجنب الاعتراض

---

(١) يجتاح مالي: أي: يستأصله ويبدده، ويستولى عليه.

(٢) أخرجه ابن ماجة في - كتاب التجارات - الحديث (٢٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٣١/٤) الحديث (٣٥٣٤)، والشافعي في مسنده (٢٠٢/٢).

قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن القطان: إسناده صحيح، وقال المنذري: رجاله ثقات» أ. هـ فتح الباري (٥/٢٦٠-٢٦١).

(٣) تحذير الخواص (٥١).

(٤) أخرجه البخاري في - كتاب الأدب - الحديث (٥٦٢٨)، ومسلم في - كتاب الإيمان - الحديث (٢٥٩)، وأبو داود في - كتاب الأدب - الحديث (٥١٤٢) بنحوه، والترمذي في - كتاب البر والصلة - الحديث (١٩٠٢) وقال حسن صحيح، وأحمد (١٦٤/٢).

على قولهما إلا إذا كان أمرا بمعصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[1].

٩ - إدخال السرور على قلبيهما بالإكثار من برهما، وتقديم الهدايا لهما، والتودد لهما بفعل كل ما يحبانه ويفرحا به، والمحافظة على أموالهما وأمتعتهما، وتفقد مواضع راحتهما، وتجنب إزعاجهما أثناء نومهما أو الدخول عليهما في غرفتهما إلا بإذنهما.

١٠ - تجنب مد اليد إلى الطعام قبلهما، أو الاستئثار بالطيبات دونهما، وتجنب الاضطجاع أو مد الرجل أمامهما، أو الجلوس في مكان أعلى منهما.

١١ - السلام عليهما عند ملاقاتهما، واستشارتهما في جميع الأمور، والاستفادة من رأيهما وتجاربهما وقبول نصائحهما.

١٢ - الإكثار من الدعاء والاستغفار لهما، والطلب من الله تعالى أن يجزيهما كل خير على فضلهما وإحسانهما وتربيتهما[2].

المفهوم التاسع : وشيجة العقيدة مقدمة على رابطة الأبوة، والإحسان للوالدين لا يسقط بحال.

وضع قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قاعدة مأمونة متزنة في

(١) سورة لقمان الآية : ١٥ .

(٢) راجع في كل ما سبق وغيره موسوعة الأسرة الصادرة عن اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، اللجنة التربوية، الجزء الثاني ص٣٩٧-٤٤٨، وكتابنا من وصايا القرآن الكريم، البر بالوالدين في الحياة وبعد الممات ص٧٢-٨٧ . بتصرف.

صلة الابن بوالديه وبره بهما، فحواها:

أن بر الوالدين واجب ومطلوب في كل حال، سواء أخطآ مع الابن أو أحسنا إليه، عاملاه بمودة أو عاملاه بغلظة وقسوة.

وإن هذا البر لا يسقط عن الابن، ولو ارتكبا ذنبا ومعصية، بل لايسقط حتى لو كانا كافرين مشركين بالله ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

لكن طاعة الابن للوالدين طاعة مبصرة واعية. بمعنى أن يطيعهما فيما يُرْضِي الله، ولايطيعهما فيما يُغضب الله، يطيعهما عندما يأمرانه بالطاعة، ولايطيعهما عندما يأمرانه بالمعصية، ولايطيعهما عندما يطلبان منه الكفر بالله أو الشرك به، لأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.

إن الآية فرقت بين أمرين: البر والطاعة.

فالبر بالوالدين مطلوب على كل حال ولو كانا كافرين.

ولكن الطاعة مقيدة بطاعة الله، فلا طاعة لهما إذا تعارضت أوامرهما مع أوامر الله[1].

ولكن الاختلاف في العقيدة، والأمر بعدم الطاعة في خلافها لايسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة، والصحبة الكريمة: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ فهي رحلة قصيرة على الأرض لا تؤثر في الحقيقة الأصيلة: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ من المؤمنين ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد رحلة الأرض المحدودة ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولكل جزاء ما عمل

(١) مع قصص السابقين في القرآن (١٧٥، ١٧٦).

من كفران أو شكران، ومن شرك أو توحيد.

وقد ورد أن قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ نزلت في سعد بن أبي وقاص، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أُم سَعْد ألا تكلِّمهُ أبدا حتى يَكْفُرَ بدينه ولا تأكل ولاتشرب، قالت: زَعَمْتَ أن الله وَصَّاك بوالدَيْك وأنا أمُّك وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثا حتى غُشيَ عليها من الجَهْدِ فقام ابنٌ لها يقال له: عُمَارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي ... وفيها.. وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾[1] الخ الحديث وهو طويل. وعن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك قال: «أنزلت فيَّ هذه الآية ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ الآية، قال: كنت رجلاً بَراً بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيّر بي فيقال: يا قاتل أمه، فقلت: لا تفعلي يا أمّة فإني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت يا أمة تَعْلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي. فأكلت»[2].

(١) أخرجه مسلم ضمن حديث طويل في - كتاب فضائل الصحابة - الحديث (٦١٨٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٤٥).

والقصة في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص - كما ذكرنا - وسيدنا سعد بن أبي وقاص هو نفسه سعد بن مالك.

المفهوم العاشر : ينبغي ترويض الأبناء على مراقبة الله وخشيته في كل شؤون حياتهم، والإخلاص له في كل أعمالهم.

قصد لقمان الحكيم من موعظته لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ..﴾ إشعاره بمراقبة الله عز وجل، لأنه لا يخفى عليه شيء وإن دق وخفى، وأنه مجازٍ عليه بعدله سبحانه.

ومما لاشك فيه أنه من الواجب على الأب بعث روح المراقبة لله سبحانه وتعالى في ابنه في كل تصرفاته وأحواله كي يصلح عقيدته، وينشئه على التربية الإيمانية العميقة، وكل ذلك لايتم إلا بترويض الولد على أن الله سبحانه يرقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتخليق الولد على مراقبة الله تعالى يجب أن تكون غاية المربي، وهمه وهدفه الأكبر، وذلك لا يكون إلا في ترويض الولد عليها وهو يعمل، وترويضه عليها وهو يفكر، وترويضه عليها وهو يحس.

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يعمل، فليتعلم الإخلاص لله رب العالمين في كل أحواله وأقواله وأعماله وسائر تصرفاته، ولكي يقصد وجه الله سبحانه في كل عمل يسبقه نية، وعندئذ يتحقق بالعبودية الخالصة لله تعالى، ويكون ممنْ شملهم القرآن بقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝﴾[1] وكذلك على المربي أن يشعر الولد بأن الله سبحانه لايقبل منه أي عمل إلا إذا قصد من ورائه وجه الله، وابتغى به مرضاته. للحديث الذي رواه أبو داود والنسائي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل لايقبل من العمل إلا ما كان خالصا، وابتغى به وجهه»[2]. ولقوله ﷺ فيما رواه الشيخان: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[3].

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يفكر فليتعلم الأفكار التي تقربه من خالقه العظيم، والتي بها ينفع نفسه، وينفع مجتمعه، وينفع الناس أجمعين. بل يجب أن يُرَوَّض على أن يكون عقله وقلبه وهواه تبعا لما جاء به الرسول ﷺ، وكذلك على المربي أن يؤدب الولد على المحاسبة حتى على الخواطر السيئة، والأفكار الشاردة.. وأن يُحَفِّظه أواخر سورة البقرة[4] مع بيان ما فيها من إرشادات وأدعية، لما تشتمله هذه الآيات من توجيه إلى مراقبة الله، والمحاسبة للنفس، والالتجاء إلى خالق الأرض والسماوات، ومناجاته والدعاء له.

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يحس.. فليتعلم كل إحساس نظيف، وليتربَّى على كل شعور طاهر.. فلايحسد، ولايحقد، ولاينم، ولايتمتع المتاع

---

(١) سورة البينة الآية : ٥ .

(٢) أخرجه النسائي في - كتاب الجهاد - الحديث (٣١٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤).

(٣) أخرجه البخاري في - كتاب بدء الوحي - الحديث (١)، ومسلم في - كتاب الإمارة - الحديث (٤٩٠٤)، وأبو داود في - كتاب الطلاق - الحديث (٢٢٠)، والترمذي في - كتاب فضائل الجهاد - الحديث (١٦٤٧)، والنسائي في - كتاب الطهارة - الحديث (٧٥).

(٤) الآيات تبدأ من قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السورة.

الدَّنس، ولا يشتهي الشهوات الباطلة.. وكلما أصابه نزغ من الشيطان، أو هاجسة من النفس الأمارة بالسوء تذكر أن الله سبحانه معه، يسمعه ويراه، فإذا هو متذكر مبصر.

وهذا النمط من التربية والمراقبة قد وجه إليه المربي الأول عليه الصلاة والسلام في إجابته جبريل عليه السلام عن الإحسان[1] فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

وقد أشار القرآن الكريم إليه بقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾[3].

وبهذه الأمور الثلاثة التي يروض الأب ابنه عليها يستطيع أن يحقق في ابنه ما أراد أن يحققه لقمان لابنه.

المفهوم الحادي عشر: تعميق الشعور الإيماني لدى الأبناء بالتأكيد على أن علم الله وقدرته يحيطان بجميع المعلومات والممكنات.

في قول لقمان الحكيم لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان (١/١٦٩، ١٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في - كتاب الإيمان - الحديث (٥٠)، ومسلم في - كتاب الإيمان - الحديث (٩٣)، وأبو داود في - كتاب السنة - الحديث (٤٦٩٥)، والترمذي في - كتاب الإيمان - الحديث (٢٦١٠)، والنسائي في - كتاب الإيمان - الحديث (٥٠٠٥)، وابن ماجه في -المقدمة- الحديث (٦٣)، وأحمد (١/٥١).

(٣) سورة الأعراف الآيتان: ٢٠٠ - ٢٠١.

﴿ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾[1] تذكير له وتعميق لشعوره الإيماني بأن علم الله وقدرته يحيطان بجميع المعلومات والممكنات، فذكر له أدق الكائنات حالاً ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ المختفي في أصلب مكان ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ أو أقصاه وأعزه منالاً ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أو أوسعه انتشاراً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ليعلم أن ما هو أقوى منه في الظهور والدنو من التناول أولى بأن يحيط به علم الله وقدرته التامّة.

وكأن لقمان الحكيم يقول لابنه: اعمل ما شئت فإنه ظاهر مكشوف معلوم، وتقلب كيف شئت فإنك في قبضة القدر، ضعيف محصى عليك عملك، وستجازى عليه.

وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ولو أن أحدكم يعمل في صخرة صَمَّاء ليس لها باب ولاكوَّة لخرج عمله للناس كائنا ما كان»[2] (فَحَوتْ موعظة لقمان الحكيم على عنصر مهم من عناصر التربية الإيمانية العقائدية وهي: الإشارة إلى قدرة الله المعجزة. فكأنه بموعظته هذه يومئ إلى ولده بالتفكر في إبداع الله لخلق السماوات والأرض والتأمل فيها، إذ أنه يجول بخاطره في السماوات والأرض وما فيها ليتدرج معه من الأمر المحسوس لديه إلى ما يريد منه أن يعقله من المعقول ويدركه، حتى يصل إلى القضية الإيمانية

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٦ .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٨)، وابن حبان في صحيحه (١٢/٤٩١) الحديث (٥٦٧٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٥٢١) الحديث (١٣٧٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٢٥) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن.

المطلوبة، وتلك طريقة حكيمة في التربية والتأثير)[1].

المفهوم الثاني عشر: الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

بين لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه أن الإيمان بالله عز وجل لايكفى فيه التصديق القلبي فقط، بل لابد معه من مقتضيات وتبعات تترجمه إلى الواقع العملي، وتخرجه من حيز التصديق القلبي إلى التصديق بالأعمال الصالحة، على اختلاف أنواعها وأحكامها، من واجبة أو مندوبة. ومن أهم الأعمال الصالحة التي تدل على عمق الإيمان ما ذكره لقمان الحكيم لابنه من أمره له بإقامة الصلاة، وأمره له بأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

فالأعمال الصالحة تعزّز الإيمان وتقويه وتزيد فيه، فالإيمان كما قرر العلماء: قول وعمل، يزيد وينقص، فيزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[2]. وبين النبي ﷺ أن الإيمان شعب، فباكتمالها يكتمل، وبنقصانها ينقص، فقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[3] فلابد من المحافظة على هذه

---

(١) القصص القرآني (٣٤٥).

(٢) سورة الأنفال الآية : ٢ .

(٣) أخرجه مسلم في - كتاب الإيمان - الحديث (١٥٢)، وأخرجه البخاري في - كتاب الإيمان - الحديث (٩) بلفظ «الإيمان بضع وستون شعبة...»، وأخرجه الترمذي في - كتاب الإيمان - الحديث (٢٦١٤) وقال حسن صحيح، وأبو داود في - كتاب السنة - الحديث (٤٦٧٦)، والنسائي في - كتاب الإيمان - الحديث (٥٠٠٥).

الشعب ليبقى الإيمان مكتملاً قوياً في النفوس، ينير لصاحبه الدرب، ويعصمه من الفتن، فإذا ربينا الأجيال على الإيمان الكامل المعزز بسياج من الأعمال الصالحة كان ذلك حصناً لهم من الفتن والتيارات العاصفة، والإغراءات المختلفة، التي أصبحت تهدد الأجيال، باقتلاع جذوة الإيمان من صدورهم.

فمن هنا كان دور الأنبياء عليهم السلام والمصلحين قائماً على الوصية بالأعمال الصالحة، وعلى رأسها الصلاة؛ لأنها المحضن الأول للإيمان، والترجمان العملي على صدق الإيمان، فلا يحافظ عليها إلا مؤمن، ولايتساهل فيها إلا منافق.

المفهوم الثالث عشر : الصلاة ركن في كل الديانات الصحيحة، فعلى الآباء أن يكونوا قدوة في المحافظة عليها، وينشِّئوا الأبناء على إقامتها ومتابعتهم حتى يرشدوا.

الصلاة عبادة عريقة في القدم، وشعيرة مشتركة بين الديانات عامة، ولا أحسب أن تاريخ الأديان عرف دينا بغير صلاة، ولعل في النماذج التالية ما يدل على ذلك. قال سبحانه وتعالى في معرض حديثه عن سيدنا إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب عليهم السلام في سورة الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]. وقال تعالى مبينا لنا دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما أسكن زوجه وابنه مكة: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى

(١) سورة الأنبياء الآية : ٧٣ .

بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1]، وقال أيضا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾[2]، ويمدح الله عز وجل بها الذبيح إسماعيل عليه السلام قائلاً: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾[3]، ويأمر الله عز وجل كليمه موسى عليه السلام بإقامتها أول ما يأمر به في ساعات الوحي الأولى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[4]. ويوحي إليه وإلى أخيه هارون بأن يقيموا الصلاة. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[5]. وتؤمر السيدة مريم بتأديتها، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[6]. ويبين سيدنا عيسى عليه السلام حينما نطق وهو في مهده أن الله أوصاه بها فقال: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[7]. ويأمر الله عز وجل بها رسولنا الكريم بقوله:

---

(١) سورة إبراهيم الآية : ٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٤٠ .

(٣) سورة مريم الآية : ٢٥ .

(٤) سورة طه الآيتان : ١٣-١٤ .

(٥) سورة يونس الآية : ٨٧ .

(٦) سورة آل عمران الآية : ٤٣ .

(٧) سورة مريم الآية : ٣١ .

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]. وهكذا فهي عبادة قديمة عريقة في القدم، وشعيرة مشتركة بين الديانات عامة، وما ذلك إلا لعظم منزلتها عند الله عز وجل، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد جعلها صفة أساسية من صفات المتقين تتلو الإيمان بالغيب مباشرة، فقد قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[2]، ويفتح الله عز وجل بها ويختتم أوصاف المؤمنين الفالحين قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾[3]، ويجعلها الله سبحانه وتعالى من صفات عباد الله. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤﴾[4]. ويأمر الله سبحانه وتعالى بها بل ويؤكد على المحافظة عليها في الحضر والسفر، والأمن والخوف، والسلم والحرب وذلك في قوله سبحانه: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى

(١) سورة العنكبوت الآية : ٤٥ .

(٢) سورة البقرة الآيتان : ٢، ٣ .

(٣) سورة المؤمنون الآيات : ١ - ٩ .

(٤) سورة الفرقان الآيتان : ٦٣، ٦٤ .

ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[1].

ويندر سبحانه وتعالى الساهين عنها بالويل والهلاك وذلك في قوله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾[2]. ويتهدد سبحانه وتعالى الذين أضاعوها، يتهددهم بالضلال والهلاك، فقال سبحانه وتعالى بعد حديثه عن سيدنا زكريا وابنه يحيى والسيدة مريم وابنها سيدنا عيسى وسيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأزكى التسليمات: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾[3]. فبين سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أن الذين ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فتركوها وجحدوها ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ والغي هو: (الشرود والضلال، وعاقبة الشرود والضلال الضياع والهلاك)[4]. ولأهمية الصلاة أيضا فإن الرسول ﷺ قد جعلها الشعار الفاصل بين المسلم والكافر

(١) سورة البقرة الآيتان : ٢٣٨، ٢٣٩ .

(٢) سورة الماعون الآيتان : ٤، ٥ .

(٣) سورة مريم الآيات : ٥٨ - ٦٠ .

(٤) في ظلال القرآن (٤/٢٣١٤).

فقد قال ﷺ: «العهد الذي بينا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[1]. وقال ﷺ: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[2].

كما بين ﷺ أنها تكون نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة لمن حافظ عليها، أما من لم يحافظ عليها فسيحشر يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبَيّ ابن خلف، فقال ﷺ: «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولابرهان ولانجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»[3].

ويبين عليه الصلاة والسلام أن من فاتته صلاة واحدة فكأنما وتر أهله فقال ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِر أهله وماله»[4]، أي: فكأنه أصيب في أهله وماله، وأصبح بعدهم وترا فردا، فإذا كان هذا حال من ترك صلاة أو من فاتته صلاة فكيف بمن فاتته الصلوات كلها؟ لذلك فمن الواجب على المسلم أن يحافظ على الصلاة وأن يعض عليها بالنواجذ ولايهمل فيها،

(١) رواه الترمذي في - الإيمان - باب ما جاء في ترك الصلاة الحديث (٢٦٢٦) وقال عنه: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في - كتاب إقامة الصلاة - باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، الحديث (١٠٧٩)، والإمام أحمد (٣٤٦/٥) والحاكم (٦/١، ٧) والبيهقي (٣٦٦/٣).

(٢) رواه الإمام مسلم في - كتاب الإيمان - باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة الحديث (٢٤٢).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٦٩/٢)، والدارمي (٣٠٢/٢)، وابن حبان في صحيحه (١٤٦٥)، وأورده في الترغيب والترهيب في - كتاب الصلاة - رقم (٨٢٠)، وقال عنه رواه أحمد بإسناد جيد، والطبراني في الكبير والأوسط، وابن حبان في صحيحه.

(٤) أخرجه البخاري في - كتاب مواقيت الصلاة - الحديث (٥٥٢)، ومسلم في - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - الحديث (١٤١٦)، وأبو داود في - كتاب الصلاة - الحديث (٤١٤)، والترمذي في - كتاب الصلاة - الحديث (١٧٥).

فيقيمها بحقها، ويؤديها في أول أوقاتها، ويحرص عليها كحرصه على حياته وعلى أعز ما يملك، لأنها أول ما يحاسب عليه العبد، فإن صلحت فقد صلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، ويجب عليه أن (يتوجه بها إلى الله وحده، ويرتفع بها عن عبادة العباد، وعبادة الأشياء، يتوجه بها إلى القوة المطلقة بغير حدود، ولايحني جبهته إلا لله فقط، ولايسجد إلا لله عز وجل، لأن القلب الذي يسجد لله حقا، ويتصل به على مدار الليل والنهار، يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وحاجات الأرض، ويحس أنه أقوى من المخاليق لأنه موصول بخالق المخاليق، وهذا كله مصدر قوة للضمير، كما أنه مصدر التقوى، وعامل مهم من عوامل تربية الشخصية، وجعلها ربانية التصور، ربانية الشعور، ربانية السلوك)[1].

وبعد أن اتضحت لنا أهمية الصلاة وفضلها فإنه من الواجب على الآباء أن يعلموها لأولاهم، ويدربوهم عليها، ويتفقّدوهم فيها حالا بعد حال، بما تستوجبه من طهارة واستعداد حتى تصبح جزءاً من كيانهم، وأساس حياتهم وعيشهم، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحث الآباء على تعويد أولادهم الصلاة، ويطلب منهم أن يرقوا بأولادهم فيها درجة إثر درجة[2]، فقد جاء في الحديث الشريف، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»[3].

---

(١) في ظلال القرآن (١/٤٠).

(٢) آباء وأبناء ملامح تربوية (ص١٧٣).

(٣) أخرجه أبو داود في - كتاب الصلاة - الحديث (٤٩٥)، والحاكم في المستدرك (١/٤٤٢)=

وذكر مالك بن نافع مولى عبدالله بن عمر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله: «إنَّ أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع»[1].

وإن الأب الذي يثبِّت في أبنائه حب الصلاة بحق يجعل بينهم وبين الشر حاجزا، ويمدهم بسلاح لمقاومة الفتن والانحراف ماضياً، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2].

المفهوم الرابع عشر: تنشئة الأبناء على حب الخير وفعله والاهتمام بإصلاح المجتمع.

في قول لقمان لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ توجيه وإرشاد إلى إصلاح المجتمع، إذ أنه لايكفي أن يكون المؤمن صالحا في نفسه، بل لابد أن يكون مصلحا لمن حوله لوجوب ذلك عليه[3].

فيجب على المربين تربية من يربونهم على الاهتمام بواجبين مهمين متوازيين كما فعل لقمان الحكيم مع ابنه:

أولهما: الاهتمام بإصلاح النفس، الذي أشار إليه لقمان بالأمر بإقامة الصلاة ومن ثم إقامة كل الأعمال التي كلف بها الفرد المسلم لتأديتها حتى يكون مؤديا للعبادات كاملة.

= الحديث (٧٣٤)، والبيهقي في الكبرى (٨٤/٣).

(١) أخرجه مالك في الموطأ - كتاب وقوت الصلاة - الحديث (٦).

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٤٥ .

(٣) القصص القرآني ص ٣٨٧ .

ثانيهما : الاهتمام بإصلاح المجتمع الذي يعيش فيه المسلم، وقد أشار لقمان الحكيم إلى ذلك من خلال أمره ابنه بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة وعمت الفترة[1] وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وكان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لاتأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة، وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها، أو متقلدا لتنفيذها، مجردا لهذه السنة الدائرة، ناهضا بأعبائها، ومتشمرا في إحيائها، كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القُرَب دون ذِرْوَتِها[2].

وينبغي على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون عالما بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين

---

(١) الفترة: هي السكون بعد الحِدّة، والهدوء بعد الشدة.

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٢/٤٧٧).

علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء، ثم العلماء إنما ينكرون ما أُجْمِعَ عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه[1].

كما ينبغي على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون فعله مطابقاً لما يدعو إليه، حتى يقبل الناس قوله، ويستجيبوا له ويتأثروا به.

(قال العلماء ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين، قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه، كانوا يأمرون الولاة بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، مع تقرير المسلمين إياهم، وترك توبيخهم على التشاغل بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية، والله أعلم)[2].

وينبغي على من يتصدى للنهي عن المنكر الالتزام بما يلي:

أ - أن يكون من أهل الصلاح والفضل.

ب - أن يرفق في التغيير جهده بالجاهل، وبذي العزة الظالم المخوف شره، إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[3]. (وقال الإمام الشافعي رحمه الله: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه. ومن وعظه

---

(١) المرجع السابق.

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/٢١٣).

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

علانية فقد فضحه وشانه[1])[2].

جـ - (أن يغلظ على المتمادي في غيه، والمسرف في بطالته إذا أمن أن يوثر إغلاظه منكرا أشد مما غيره، لكون جانبه محميا عن سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرا أشد منه، من قتله، أو قتل غيره بسببه كف يده، واقتصر على القول باللسان، والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه، وكان في سعة، وهذا هو المراد من قول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[3].

وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان، ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر، إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه، هذا هو فقه المسألة، وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين، خلافا لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال، وإن قتل ونيل منه كل أذى. وليس للآمر بالمعروف البحث والتنقير والتجسس واقتحام الدور، بل إن يعثر على منكر غيرّه جهده)[4].

---

(١) شانه : أي عابه.

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/٢١٤).

(٣) أخرجه مسلم في - كتاب الإيمان - الحديث (١٧٥)، وأبو داود في - كتاب الصلاة - الحديث (١١٤٠)، والترمذي في - كتاب الفتن - الحديث (٢١٧٢) وقال حسن صحيح، والنسائي في - كتاب الإيمان - الحديث (٥٠٢٣)، وابن ماجه في - كتاب إقامة الصلاة - الحديث (١٢٧٥).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/٢١٥).

المفهوم الخامس عشر : تبليغ الدعوة وتبصير الناس بمنهج الإصلاح يحتاج إلى صبر وعزيمة.

يستفاد من قول لقمان الحكيم لابنه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ وجوب الصبر على ما يتعرض له الإنسان في سبيل الدعوة إلى الله. فمهما يتعرض الآمرون الناس بإقامة الصلاة وفعل المعروف واجتناب المنكر لأذى وشدة من العصاة والفسقة بل والكفرة فإنه يجب عليهم أن يصبروا على ذلك حتى ينالوا الثواب العظيم، والأجر الكبير، وحتى يكونوا في ذلك متأسين برسول الله ﷺ وبأولي العزم من الرسل قال تعالى لرسوله الكريم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1].

وفي ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد إقامة الصلاة لفتة لطيفة، فبالصلاة يتصل المرء بربه، ويستمد منه القوة والجرأة والثبات، ويتزود بالزاد الإيماني الذي يعينه على القيام بالدعوة والنصح، وبالصلاة لا يرضى المنكر ولايقبل به فينهى عنه، وبها يحب المعروف فيأمر به، إن الصلاة عندما تؤدى على طريقة رسول الله ﷺ من أفضل الوسائل والأدوات للقيام بواجب الدعوة إلى الله، فإذا لم تثمر الصلاة عند صاحبها ثمرة الدعوة والنصح فإنها صلاة ميتة، مجرد حركات ظاهرية[2].

وفي وقوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متوسطا بين الصلاة والصبر وذلك في قوله سبحانه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ

---

(١) سورة الأحقاف الآية : ٣٥ .

(٢) مع قصص السابقين في القرآن ص ١٦٨ بتصرف.

ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ أمر مقصود، فقد أمره أولاً بإقامة الصلاة كي يتزود بالزاد الأصيل زاد العبادة لله، والتوجه إليه بالصلاة، قبل المعركة مع الشر، ثم عقب الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأمر بالصبر لأن الصبر شرط لاستمرار القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. والصبر يجعل الداعية صامدا أمام التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها، وصامدا أمام الأذى الذي تمتد به الألسنة، وتمتد به الأيدى، وأمام الابتلاء في المال، والابتلاء في النفس عند الاقتضاء.

المفهوم السادس عشر : الابتلاء صنو الدعوات قديماً وحديثاً.

بعد أن حث لقمان ابنه على أن يقوم بدوره في إصلاح المجتمع فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1]. نبهه بعد ذلك إلى أن هذه المهمة لا تخلو من عقبات ومصاعب، وأن طريق الدعوة محفوف بالابتلاء والمخاطر فقال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

فالداعية مقتف لمنهج الأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد أخبرنا الله عز وجل عما لقيه هؤلاء الكوكبة من الجهد والعناء في سبيل إصلاح أقوامهم، فقد تعرضوا إلى الأذى النفسي من التكذيب والسخرية قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٧ .

(٢) سورة لقمان الآية : ١٧ .

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾[1].

وقد لايقف الأمر عند هذا الحد بل يتعداه إلى الإيذاء الجسدي، والتضييق المادي، والإخراج من الأوطان، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[2].

ولما تنزل الوحي على النبي ﷺ في غار حراء وخشي على نفسه «انطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى - ابن عم خديجة - وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، ياليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي»[3].

فليوطن الدعاة أنفسهم على هذا، فإن اقتلاع الأشواك من النفوس والعادات الخبيثة من المجتمعات يحتاج إلى جلد وصبر ومثابرة، ومن المؤكد أن

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٠ .

(٢) سورة العنكبوت الآيات : ١ - ٣ .

(٣) أخرجه البخاري في - كتاب بدء الوحي - الحديث (٣)، ومسلم في - كتاب الإيمان - الحديث (٧٣).

يعقب ذلك كله خير كثير، وأن مسائل الإيمان التي يغرسها المصلحون في المجتمع ويرعونها لابد أن تؤتي ثمارها؛ فيعيش المجتمع هانئاً في ظلالها الوارفة. فهذه سنة الله في خلقه. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾[1]، وقال موسى عليه السلام لقومه يصبرهم ويبشرهم: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[2] هذا وإن الصبر على تنشئة جيل صالح سيعقبه صلاح أجيال وأجيال.

المفهوم السابع عشر: الدعوة إلى الخير لاتجيز التطاول على الناس والتعالي عليهم.

في قول لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[3] تحذير من الغرور والكبر، وإرشاد إلى آداب الدعوة إلى الله (فالدعوة إلى الخير لاتجيز التعالي على الناس، والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل)[4].

فالتطاول على الناس بالغطرسة والكبرياء مرض خطير، مبعثه نقص في

---

(١) سورة يوسف الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٢٨.

(٣) سورة لقمان الآية: ١٨.

(٤) في ظلال القرآن (٥/٢٧٩٠).

العقل، ودنس في النفس. والمتكبر بسبب هذا المرض يظن نفسه أعلى من جميع الخلق، فينظر إليهم نظرة ازدراء واحتقار، لكن يجب عليه أن يعلم أنه إذا انتابه شعور الكبر والغرور، وبالتالي ازدراء الناس واحتقارهم، فإن الله عز وجل سوف يبغضه، ومن أبغضه الله جعل له البغضاء في قلوب الناس، فيمقتونه، ويكرهونه، ويحتقرونه، ولن يقيموا له وزنا كما قال الشاعر:

مَثَلُ الْمُعْجَب في خُيَلاَئِـه مَثَلُ الْوَاقِفُ في أَعْلَى جَبَل
يُبْصِرُ النَّاسَ صِغَاراً وَهُو في أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ لَمْ يَزَل

والكبر آفة عظيمة وغائلته هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد، والزهاد، والعلماء، فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لاتعظم آفته وقد قال ﷺ: «لايدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر»[1] وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة كلها، والكبر يغلق تلك الأبواب كُلّها، لأنه لايقدر المرء على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيءٌ من الكبر. فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه، فمن هذا لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه. والأخلاق الذميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة، وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤١٦/٣) وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٦٦/٣)، وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٢) إحياء علوم الدين (٥٣٣/٣) بتصرف.

وإن الله سبحانه وتعالى يكره كل ذي خيلاء - وهي الكبر والازدهاء - كثير الفخر والتيه على الناس والتعالي عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ لذلك فإن النبي ﷺ كان يؤدب أصحابه على التواضع ولين الجانب، وينهاهم عن التكبر والغرور.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على التواضع والترغيب فيه، كما وردت أحاديث أخرى في النهي عن التكبر والغرور.

فَمِمَّا ورد في الحث على التواضع ما يلي:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد، ولايبغي أحد على أحد»[1].

وقال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عِزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[2].

وقال ﷺ: «من ترك اللباس تواضعا لله، وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أيِّ حُلَلِ الإيمان شاء يَلْبَسُهَا»[3].

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في صفة الجنة، رقم (٢٨٦٥)، وأبو داود رقم (٤٨٩٥) وغيرهما.

(٢) رواه الإمام مسلم في البر (٢٥٨٨)، والإمام مالك في الموطأ (٢/١٠٠٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/٤٣٩) والترمذي رقم ٢٤٨١) واللفظ له، وقال: حديث حسن. والحاكم في المستدرك (١/٦١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ومما ورد في النهي عن الكبر ما يلي:

قال ﷺ: «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق[1]، وغمط الناس[2]»[3].

وقال ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلّة تعجبه نفسه مُرَجِّل رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[4].

وقال ﷺ: «يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم»[5].

وعن سراقة بن مالك بن جعثم - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «يا سراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: فأما أهل النار فكل جَعْظَرِيٍّ[6] جَوَّاظٍ[7] مُسْتَكْبِرٍ، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون»[8].

---

(١) بطر الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبرا.

(٢) غمط الناس: احتقارهم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٩١) في - كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر.

(٤) أخرجه البخاري في اللباس باب من جر ثوبه خيلاء (٢٥٨/١٠)، ومسلم في اللباس والزينة (٦٥٣/٣).

(٥) رواه مسلم رقم (٢٦٢٠)، وابن ماجه رقم (٤١٧٤) واللفظ له.

(٦) الجعظري : الغليظ المتكبر.

(٧) الجواظ : المختال في مشيته.

(٨) رواه الترمذي في الترغيب والترهيب رقم (٤٢٨٣) وقال رواه الطبراني في الكبير باسناد حسن، والحاكم في المستدرك (٦١٩/٣) وقال صحيح على شرط مسلم.

المفهوم الثامن عشر : اتزان الحركات الخارجية للإنسان له ارتباط وثيق بالاتزان النفسي الداخلي.

في قول لقمان لابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[1] أمر له بمراقبة سلوكه الخارجي، وإرشاد له إلى أدب السير، وأدب الكلام، وسنتناول هذين الأدبين بشيء من التفصيل لعناية القرآن الكريم بهما في أكثر من موضع.

الأدب الأول : ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾.

قوله له: ﴿وَٱقْصِدْ﴾ يتسع لمعان عدة منها:

التوسط في المشي بين الإسراع والبطء، بأن يمشي المرء مستويا لايدب دبيب المتماوتين، ولايثب وثوب الشياطين، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا مشى أسرع[2]. كما ورد أنه ﷺ كان إذ يمشي كأنما يَنْحَطّ من صَبَبٍ. وعن عائشة رضي الله عنها أنها نظرت إلى رجل كاد يموت تخافتا فقالت: ماهذا؟ فقيل إنه من القراء. فقالت: كان عمر رضي الله تعالى عنه سيد القراء، وكان إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع[3].

ورأى عمر رضي الله عنه رجلا متماوتا فقال: لاتمت علينا ديننا أماتك الله تعالى[3]. ورأى أيضا رجلا مطأطئا رأسه فقال: ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمريض[3]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كانوا ينهون عن خبب اليهود

(١) سورة لقمان الآية : ١٩ .

(٢) فتح القدير (٤/٢٩٨).

(٣) روح المعاني للألوسي (٢١/٩١) الأصل والحاشية.

ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك[1].

فالمراد بالقصد هنا إذاً التوسط والاعتدال في المشي مع الالتزام بالوقار والسكينة التي يلتزم بها عباد الرحمن، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[2].

ومما يشمله معنى القصد: أن يكون سير الإنسان ومشيه قاصدا، أي: ذا هدف محدد، وغاية منشودة، لأمر معين، وغرض نافع، فليس المشي والضرب في فجاج الحياة هياما دون معنى، بل إن العاقل الحصيف يكون على الدوام مُكبًّا على عمل نافع، وغاية سامية[3]. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[4].

الأدب الثاني: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾.

الغض من الصوت فيه أدب، وَثِقَةٌ بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغفلة والزعاق[5].

والحكمة في غض الصوت المأمور به أنه أوفر للمتكلم، وأبسط لنفس السامع وفهمه[6].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة الفرقان الآية : ٦٣ .

(٣) آباء وأبناء ملامح تربوية ص ١٧٧ .

(٤) سورة المؤمنون الآية : ١١٥ .

(٥) في ظلال القرآن (٥/٢٧٩٠).

(٦) روح المعاني (٢١/٩١).

ورفع الصوت بلا فائدة ضرر، وخرق ونزق، أما رفعه لفائدة كخطبة خطيب، أو إسماع بعيد، أو مناداة حشد كبير فلا يدخل في هذا الأمر ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ وقدرفع رسول الله ﷺ صوته لمصلحة، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا صلاة العصر، فجعلنا نَمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثا»[1].

ورفع صوته لما فر المسلمون يوم حنين قائلاً:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب»[2].

وأمر ﷺ العباس رضي الله عنه يومها أن ينادي في الناس بأعلى صوته كي يعودوا. فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن العباس رضي الله عنه أنه قال «طفق رسول الله يَرْكُض[3] بَغْلَتَه قِبَلَ الكفار. قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أُكُفُّها إرادة ألاَّ تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أي عباس ناد أصحاب السَّمُرَة[4] فقال عباس: «وكان رجلاً صَيِّتاً» فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السَّمُرَة؟ قال: فوالله لكأن عَطْفَتَهُمْ حين سمعوا صوتي عَطْفةُ البقر على أولادها. فقالوا: يالبَّيْكَ

(١) رواه البخاري (١٤٣/١) في الوضوء باب غسل الرجلين، ولايمسح على القدمين (٢٦٥/١) وأرهقتنا أي: أدركتنا، وغشيتنا أي: كاد أن يفوت وقتها.

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة حنين (٧٤، ٧٥، ٧٦).

(٣) يركض بغلته: أي يضربها برجله الشريفة كي تسرع.

(٤) السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية. شرح النووي على صحيح مسلم (٤٠٢/٤).

يالبَّيك.. الخ الحديث»[1].

وعن جابر بن عبدالله قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته، واشتدّ غضبه، حتى كأنه منذرجيش يقول: صبَّحكم ومسَّاكم»[2].

وعن النعمان بن بشير قال: «لقد سمعت رسول الله ﷺ يخطب وهويقول: «أنذرتكم النار» فلو أن رجلاً في موضع كذا وكذا سمع صوته»[3]. كناية عن ارتفاع صوته ﷺ، وبعد مداه.

ويحتمل أن يكون المراد من الأمر بغض الصوت في قوله سبحانه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ أمر للإنسان بالابتعاد عن ملاحاة الرجال والمنازعات والخصومات التي تجعله عرضة لرفع صوته، أو التشهير به[4]. والجهر بالصوت فيما لا فائدة فيه ليس بمحمود، وأنه داخل في باب الصوت المنكر، لأنه لو كان محمودا، أو كان خيرا ما جعله الله للحمير، كذلك فإن علو الصوت ورفعه لايُهيب، لأنه لو كان يهيب لكان الحمار يهيب لصوته[5].

وفي تشبيه الله عز وجل للرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة، وإن جعلوا حميرا، وصوتهم نهاقا، مبالغة شديدة، في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت، والترغيب عنه، وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان[6].

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة حنين (٧٣).

(٢) صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٨/٤).

(٤) آباء وأبناء ملامح تربوية ص ١٧٨ .

(٥) زاد المسير ص ١١٠٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٢/١٤).

(٦) تفسير الكشاف ص ٨٣٨ .

وعن هذا التشبيه يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: والأسلوب القرآني يرذِّل هذا الفعل ويقبحه - أي رفع الصوت - في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: «إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» فيرتسم كمشهد مضحك يدعو إلى الهزء والسخرية، مع النفور والبشاعة، ولايكاد ذو حِسّ يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع، ثم يحاول شيئا من صوت هذه الحمير[1].

المفهوم التاسع عشر: على المربين أن يلتزموا في تربية أبنائهم منهجاً مدروساً شاملاً لأصول الشريعة وآدابها العامة والخاصة.

ينبغي على المربين من آباء ومعلمين ودعاة أن يسيروا على منهج مدروس مع من يقومون بتربيتهم، ويجمعون في هذاالمنهج أصول الشريعة كلها، من الاعتقادات الصحيحة، والأعمال الصالحة، وأدب المعاملة مع الناس، وأدب النفس والذات كما فعل لقمان الحكيم مع ابنه.

كما ينبغي على المربين أيضا أن يوجهوا من يربونهم إلى الآداب الخاصة في نفوسهم، تلك الآداب التي يراها الناس منهم، وتظهر لهم، وقد لايراها الفرد في نفسه، كما ينبغي عليهم أن يرشدوهم إلى مراعاة العرف الاجتماعي، والمحيط الذي يعيشون فيه، وفق السلوك السليم، والهدى العالي الرفيع، لأن مراعاة ذلك من الأمور المطلوبة شرعا، وهذا الذي يسمى بالمروءة. وقد فعل ذلك لقمان الحكيم حين قال لابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾.

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧٩٠).

الباب الثاني عشر
قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام

- تمهيد.

- المبحث الأول : ورود القصة في القرآن الكريم.

- المبحث الثاني : ورود القصة في السنة النبوية.

- المبحث الثالث : سيدنا موسى بن عمران عليه السلام هو صاحب الخضر، ورد شبهة من قال بخلاف ذلك.

- المبحث الرابع : فتى سيدنا موسى عليه السلام (يوشع بن نون).

- المبحث الخامس: الخضر عليه السلام.

- المبحث السادس: المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام.

تمهيد

قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام لم ترد في القرآن الكريم إلا في سورة الكهف فقط. وهذه القصة أراد الله عز وجل من خلال أحداثها أن ينفتح موسى عليه السلام على توجيه جديد، يحتاجه الرسل والدعاة والمصلحون والمربون فيما يواجهونه من مفاجآت وأحداث.

وخلاصة هذه التوجيه: أن وراء ظواهر الأشياء التي تبدو للناس في حياتهم، ويلتقون بها أمورا غيبية خفية عجيبة، قد تبدل الصورة، وتغير النظرة، فيخرجوا - بعد ذلك- بنتيجة مختلفة تماما عما كونوه من آراء واستنتاجات. وقد أراد الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام من خلال تجربته مع الخضر عليه السلام أن يواجه هذا الموضوع، وينفتح عليه في تجربة حية.

(ولعل قيمة هذه التجربة أنها تتصل ببعض القضايا التي تدخل في نطاق اختصاص نبي الله موسى عليه السلام، وهي القضايا المتصلة ببعض الجوانب التشريعية التي قد يكون حكمها على الظواهر العادية شيئا، ولكنها قد تأخذ حكما آخر في حالة الاطلاع على الجوانب الخفية من الموضوع، سواء في ذلك الحكم العام الذي لايختص بظرف دون ظرف. أو بحالة دون حالة. أو الحكم الخاص الذي يخضع لحالة خاصة، بسبب بعض المصالح الخاصة)[1].

(١) الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، محمد حسين فضل الله (ص٢٨٤، ٢٨٥).

المبحث الأول
ورود القصة في القرآن الكريم

ورود القصة في القرآن الكريم

وردت قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام في القرآن الكريم في سورة واحدة فقط من سوره هي سورة الكهف كما ذكرنا آنفا.

ونستطيع من خلال استعراضنا للآيات التي ساقت لنا تلك القصة أن نقسم الآيات إلى أربعة مشاهد:

المشهد الأول: عزم سيدنا موسى عليه السلام على السفر إلى العبد الصالح الذي أخبره الله عن علمه.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ[1] أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا[2] ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا[3] ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا[4] ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا[5] ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[6].

(١) مجمع البحرين: مكان التقاء البحرين.

(٢) حقبا: سنين طويلة.

(٣) سربا: طريقا نافذا ومَمَرًّا.

(٤) نصبا: تعبا وعناء.

(٥) ارتدَّا على آثارهما قصصا: رجعا في الطريق يقصان آثار أقدامها.

(٦) سورة الكهف الآيات: ٦٠ - ٦٥.

هـذا هو المشـهـد الأول مـن تلك الرحلـة العـجـيـبـة من رحـلات سـيـدنا موسى عليه السلام كليم الله عز وجل وأحد أولى العزم من الرسل.

وسـبـب قـيـام سـيـدنا مـوسـى عليه السلام بهـذه الرحلة أنه وقف خطيـبـا في بني إسرائيل، فسُئِل. أي الناس أعلم؟ فقال أنا: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه سـبـحـانه وتعـالى[1] وبين لـه عـز وجل خطأ ظنه في أنه أعلم أهل الأرض، وأرشده بأن له سبحانه وتعالى عبداً بمجمع البحرين أعلم منه، وكأن في هذا الإخبار من الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام أمرا منه سبحانه وتعالى بضرورة أن يلحق موسى بمن هو أعلم منه، ويطلب العلم منه، حتى ولو طوى لأجل ذلك المسافات الشاسعة. فطلب موسى عليه السلام من ربه عز وجل أن يعرفه مكانه، ويجعل له علامة تدله على هذا المكان، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يأخذ حوتا ميتا مملوحا فحيثما فقد الحوت فذلك موضع العبد الصالح.

فأعد العدة للسفر وجهز زاد الطريق للقيا هذا العبد الصالح العالم كي يتعلم على يديه مما علمه الله عز وجل، فخرج متوجهاً نحو المكان الذي أخبره الله تعالى بوجود الخضر فيه مصطحباً معه فتاه (يوشع بن نون)، وحوتاً ميتاً وضعه في مكتل يحمله الفتى، ثم طلب منه أن يخبره إذا فقد الحوت؛ لأن فقده علامة على وجود العبد الصالح في ذلك المكان. وشَحَذَ من همة فتاه فأعلمه أنه سوف يستمر في السير ولو طال به الزمن، أو بعدت به الشقة، حتى يبلغ مبتغاه، وهو لقيا ذلك العبد الذي أخبره الله عز وجل به، ورفع من شأنه وعلمه.

---

(١) سيأتي تخريج الحديث بطوله في (البحث الثاني ورود القصة في السنة النبوية) فانظر تخريجه هناك.

واستمر سيدنا موسى عليه السلام وفتاه في السير يقطعان المسافات الطويلة حتى وصلا إلى مجمع البحرين، فتوقفا هناك للاستراحة من وعثاء السفر، فأخذت موسى عليه السلام سِنَةٌ من النوم، وبينما هو كذلك إذا بالحوت المملوح تلمسه قطرات من الماء فتدب فيه الحياة، ويخرج من المكتل - وهو القفة التي يحمل فيها الطعام - ويقفز في البحر، ويتخذ سبيله فيه، وقد صار الماء عليه كالقنطرة، وأصبح طريقه الذي يعوم فيه قناة مجوفة[1]، فوقف الفتى مشدوها من شدة ما رأى. فلما استيقظ موسى عليه السلام من نومه نسي فتاه أن يخبره بالحوت وما حدث له، كما نسي موسى عليه السلام أن يسأله عنه، وواصلا سيرهما إلى مقصدهما، ولما أحسا بالتعب والجوع طلب موسى عليه السلام من فتاه الغداء، وإذا بالفتى يتذكر أمر الحوت وما حدث له، فأخبر موسى عليه السلام بخبره، وما حدث منه من غرائب وعجائب، فأدرك عليه السلام أنه وصل إلى بغيته، فقال لفتاه: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: إن المكان الذي اتخذ فيه الحوت سبيله إلى البحر هو المكان الذي نطلب فيه الخضر عليه السلام، وعلى الفور إذا بهما يرجعان من حيث أتيا ماشيين على آثار أقدامهما، يتبعانها أثرا تلو أثر، كي لايضلوا الطريق. فيفوتهما مكان الخضر مرة ثانية. وما إن وصلا إلى مكان الصخرة وهو المكان الذي فقد عنده الحوت، حتى رأيا العبد الصالح

---

(١) عبارة الحافظ ابن كثير: «وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء، والماء له مثل الطاق لايلتئم بعده، ولذلك قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أ. هـ تفسير القرآن العظيم (٣/٩٣).

قال صاحب التحرير والتنوير: «وإنما أمسك الله عن الحوت جَرْيَةَ الماء ليكون آية مشهودة لموسى عليه السلام وفتاه زيادة في أسباب قوة يقينهما؛ ولأن المكان لما كان ظرفاً لظهور معجزات علم النبوة ناسب أن يَحْتَفَّ به ما هو خارق للعادة إكراماً لنزلاء ذلك المكان» أ. هـ.

الخضر عليه السلام. الذي أنعم الله عز وجل عليه برحمة عظيمة، وعلم عظيم جليل لايعلم عظمته وجلاله إلا الله عز وجل وحده لاشريك له.

ولايمن سبحانه وتعالى بهذا العلم إلا على من هو أهله، ومن هو مستحق له.

ولما رأيا العبد الصالح تقدم إليه موسى عليه السلام بكل أدب واحترام، وألقى عليه السلام، ثم عرفه بنفسه، وأخبره بأنه نبي بني إسرائيل، ثم دار بينهما حوار نعرفه في المشاهد التالية إن شاء الله تعالى.

المشهد الثاني: التحلي بالأدب مع العلماء

وفي ذلك يقول الله عز وجل:

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

بينت لنا آيات المشهد الأول حرص سيدنا موسى عليه السلام على ملاقاة الخضر عليه السلام، وتحمله المشاق والصعاب من أجل أن يتعلم على يديه، إلى أن وصل إلى هذا العالم الذي علمه الله عز وجل من لدنه علما.

ثم تأتي آيات هذا المشهد - أي الثاني - لتطلعنا على جانب من الحوار الذي دار بين موسى والخضر عليهما السلام. فتوضح لنا أن موسى عليه السلام بعد

(١) سورة الكهف الآيات: ٦٦ - ٧٠.

أن عرف بنفسه للخضر عليه السلام طلب منه - بأسلوب لطيف متسم بالمبالغة في حسن الأدب والتواضع - (أن يكون تابعا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم)[1] ليسترشد به في حياته. ويطلع على بواطن بعض الأمور، دون الوقوف على ظواهرها، وعدم تجاوز صورها.

لكن العبد الصالح الذي علمه الله من لدنه علما يعلم أن موسى عليه السلام لايقدر على تلك الصحبة العلمية، لأن علم الخضر عليه السلام من نوع خاص لايألفه موسى عليه السلام من قبل[2] ولذلك فإنه بمجرد أن سمع طلب موسى عليه السلام منه قال له: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ أي: (إنك لاتقدر على مصاحبتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك، لأني على علم من علم الله لم يعلمكه الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله، فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه، فلهذا فأنت لاتقدر على صحبتي)[3].

لكن موسى عليه السلام وهو نبي ورسول، ومن أولي العزم من الرسل، صنعه الله لنفسه وعلى عينه، وقومه من أقسى الأقوام، وأشدهم عصيانا، وأعظمهم طغيانا وأخسهم طباعا، وأحطهم نفوسا، كل هذا وغيره جعله قوي العزيمة، يتحمل الصعاب والشدائد، لذلك رد على الخضر عليه السلام مبينا عزمه وتصميمه على اتباعه والتعلم منه - بقوله: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾

---

(١) فتح القدير (٣/٣٧٠).

(٢) إتحاف الأحباب (٢/٣٥٥، ٣٥٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٩٦).

أي: (ستجدني صابرا على ما أرى من أمورك وأفعالك، وعلق صبره على مشيئة الله تعالى، وكان ذلك من موسى لأنه كان حريصا على تحصيل العلم والازدياد منه، ورجا أن يستطيع معه صبرا بعد إفصاح الخضر عن حقيقة أمره، وما قد يصدر منه من أفعال لايعرف موسى وجه الحكمة فيها، فوعده موسى عليه السلام بالصبر على ما يشاهده من أشياء ينكرها، معلقا ذلك بمشيئة الله تعالى علما منه بشدة الأمر وصعوبته. ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ ومع وعد موسى للخضر عليهما السلام بالصبر وعده أيضا بأنه لن يخالفه في شيء)[1]. لأنه على ثقة بصواب ما يفعله، وإلا ما دله الله عليه.

وأمام عزم موسى عليه السلام وإصراره الشديد على تلقى العلم من الخضر عليه السلام وافق الخضر على تعليمه، لكنه اشترط عليه شرطاً أساسياً قبل أن يتبعه، وهو: أن يسمع ويطيع (ولايسأله ولايستفسر عن شيء من تصرفاته، حتى يكشف له الخضر سرها، ويبين له وجه الحكمة فيها فقال له: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ أي: لا تسألني عن شيء أفعله، ولا تعترض عليَّ، حتى أبينه لك، فقبل موسى شرطه، رعاية لأدب التلميذ مع أستاذه، والمتعلم مع العالم، ومضيا على هذا الشرط على بركة الله تعالى، وفي حفظه ورعايته[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٩٦) بتصرف، والمستفاد من قصص القرآن (١/٣٨٧، ٣٨٨).

(٢) قبس من نور القرآن الكريم للشيخ محمد علي الصابوني (٧/٤٥).

المشهد الثالث : اعتراض سيدنا موسى عليه السلام وإنكاره على الخضر بعض تصرفاته.

وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾[1].

عرفنا من خلال المشهد السابق الحوار الذي دار بين سيدنا موسى والخضر عليهما السلام حول تعلم سيدنا موسى من الخضر عليهما السلام علما ذا رشد يسترشد به في حياته، وما تشارطا عليه كي تكون هناك صحبة علمية ناجحة مفيدة، أما المشهد الثالث من مشاهد تلك القصة العجيبة فإنه المشهد المثير الغريب، فقد حمل بين طياته مفاجآت غريبة، وأحداثا عجيبة. أدخلت موسى عليه السلام في تجربة ميدانية عملية، كي يظهر له الفرق بين علمه وعلم هذا العبد الصالح.

(١) سورة الكهف الآيات : ٧١ - ٧٨ .

وأول هذه الأحداث أن موسى والخضر عليهما السلام انطلقا يسيران على ساحل البحر قاصدين عبوره إلى جهته الأخرى، فإذا بسفينة تمر عليهما يعرف أصحابها الخضر عليه السلام، فطلبا من أصحابها أن يحملوهما معهم في سفينتهم، فرحب أصحابها بالخضر وموسى عليهما السلام - ولم يكونوا يعرفون موسى - وأكرموهم، ولم يأخذوا منهم أجرا مقابل نقلهما، فلما ركبا السفينة قام الخضر بخرقها بعد أن أصبحت في لجة البحر، فتعجب موسى عليه السلام من هذا العمل الذي فعله الخضر عليه السلام في السفينة، واعترض موسى عليه السلام على الخضر، وقال له: أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد ارتكبت أمرا عظيما حيث خرقت سفينة قوم أحسنوا إلينا وأكرمونا وحملونا معهم بدون مقابل، مع أنه من الواجب عليك أن تقابل إحسانهم لنا بإحسان موازٍ على الأقل لإحسانهم، إن لم يكن أكثر منه؟ وقد صدر هذا القول من موسى عليه السلام تلقائيا وهو في حالة من الذهول، من هول ما رأى، ناسيا ما وعد الخضر به، وما تشارطا عليه. لأن الأمر جدير بالفعل بالاعتراض والإنكار، سفينة تحملهما وتحمل معهما ركابا، وهم في وسط اللجة، ثم يأتي هذا الرجل فيقتلع لوحا من السفينة، أو يحدث فيها خرقا بشيء ما، وفي جانب ما، ليعرضها ويعرض ركابها لخطر الغرق، هذا تصرُّف ظاهره الفساد والشّرّ، فكيف يسكت عنه موسى عليه السلام، وهو يرى مثل هذا المنكر، الذي لايقبله الشرع ولا العقل؟ ولهذا قال له: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيما خطيراً بالغ الخطورة.

وهنا يذكره العبد الصالح بالوعد الذي قطعه على نفسه، ألاَّ يعترض على شيء من تصرفاته وأفعاله، قبل أن يخبره هو بها، وفي نفس الوقت ينكر عليه

سؤاله، فيقول له في صبر ولطف: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ أي: ألم أخبرك من أول الأمر أنك لاتصبر على ما ترى من صنيعي لأنها بالنسبة لك غريبة وعجيبة، ومخالف ظاهرها لعلمك الذي علمك الله إياه.

فرد سيدنا موسى عليه السلام معتذرا له بقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ أي: لاتؤاخذني بمخالفتي الشرط فقد نسيت العهد، ولا تكلفني مشقة في مصاحبتي لك، طلب منه أن يسامحه على اعتراضه، فقد حدث ذلك منه ناسيا للعهد، وأن يعامله باليسر لا بالعسر[1]، قال ﷺ: «وكانت الأولى من موسى نسيانا»[2].

أحس الخضر بصدق موسى في عذره فقبله منه، واستمرا في رحلتهما في البحر حتى نزلا من السفينة، وانطلقا يمشيان على طرف الساحل إذا بموسى عليه السلام يدخل في تجربة أشد من التجربة الأولى، ويتعرض صبره لمفاجأة أقوى من التي سبقتها، ولم يعهد لها من قبل مثيلا، إنه الآن أمام الاختبار الثاني، اختبار أقسى من الاختبار الأول، فبينما هما على الساحل يسيران إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان ليس فيهم أضوأ منه، فأخذه من بين الغلمان فقتله، ثم رمى به جثة هامدة على الأرض، وهنا لم يتحمل موسى عليه السلام ما رأى، ولم يصبر على ذلك على الرغم من تذكره لوعده، (ولم يتمالك نفسه، وهو المعروف بالغيرة الشديدة في مثل هذه الأمور، إنه لم ير هذا الغلام

(١) قبس من نور القرآن الكريم للشيخ محمد علي الصابوني (٧/٤٥، ٤٦).

(٢) هذا طرف من حديث طويل رواه البخاري في التفسير، تفسير سورة الكهف ومسلم في الفضائل حديث رقم (٢٣٨٠).

الصغير أذنب ذنبا، إنه في مرحلة الطفولة، واللهو البريء، فَلِمَ يقتله الخضر؟ ولذلك قال له معترضا منكرا)[1] ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: أقتلت نفسا طاهرة بَرِيئة من الذنوب لم ترتكب جرما، ولم تفعل ذنبا بغير حق شرعي، ومن غير قصاص؟ لقد فعلت أيها العبد أمراً منكراً عظيماً، وارتكبت ذنباً من كبائر الموبقات، وعظائم المهلكات، هكذا لم يتمالك موسى عليه السلام نفسه، واعترض اعتراضاً شديداً على العبد الصالح وقتله للغلام دون ذنب، ولهذا قال له ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً فظيعاً يوجب على شاهده الإنكار. لكن العبد الصالح يعود إلى تذكير موسى عليه السلام مرة ثانية (ويرده إلى شرطه الذي شرط، ووعده الذي وعد، ويذكره بما قال له أول مرة والتجربة تصدقه بعد التجربة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾.

وفي هذه المرة يعين أنه قال له: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ لك أنت على التعيين والتحديد، فلم تقتنع، وطلبت الصحبة، وقبلت الشرط.

ويعود سيدنا موسى عليه السلام إلى نفسه، ويجد أنه خالف عن وعده مرتين، ونسي ما تعهد به بعد التذكير والتفكير.. فيندفع ويقطع على نفسه الطريق، ويجعلها آخر فرصة أمامه[2]. ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ أي: إذا اعترضت عليك بعد هذه المرة، وأنكرت عليك ما يصدر منك، فلا تصحبني معك، فأنت معذور عندي، لمخالفتي لك ثلاث مرات. (وأمام هذا الأدب النبوي من سيدنا موسى عليه السلام لم يجد الخضر مفراً

---

(١) إتحاف الأحباب (٢/٣٩١).

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٢٨٠).

من قبول شرطه، واستصحابه معه، ثم استمر بهما السير، ويستمر السياق فإذا نحن أمام المشهد الثالث:

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ﴾ استمر بهما السير إلى أن وصلا إلى قرية أهلها بخلاء لايطعمون جائعا، ولايستضيفون ضيفا، ثم يجد الخضر عليه السلام (جدارا مائلا يهم أن ينقض، والتعبير يخلع على الجدار حياة وإرادة كالأحياء فيقول: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ فإذا الرجل الغريب يشغل نفسه بإقامة الجدار بدون مقابل، وهنا يشعر موسى عليه السلام بالتناقض في الموقف. ما الذي يدفع هذا الرجل إلى أن يجهد نفسه ويقيم جدارا يهم بالانقضاض في قرية لم يقدم لهما أهلها الطعام وهما جائعان، وقد أبوا أن يستضيفوهما؟ أفلا أقل من أن يطلب عليه أجرا يأكلان منه؟

﴿قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾.

وكان هذا القول هو القول الفصل، فلم يعد لموسى من عذر، ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال[1].

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٧٨﴾ أي: قال الخضر لموسى: هذا فراق بيني وبينك لأنك شرطت على نفسك بعد حادثة قتل الغلام: أنك إن سألتني عن شيء بعدها فإني لا أصاحبك وأكون في حل من فراقك. لكني قبل أن أفارقك سأخبرك عن حكمة

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٨٠).

وأسباب ما فعلته أنا، وأنكرته أنت عَلَيَّ ولم تصبر حتى أخبرك عن سبب وحكمة ما فعلته.

المشهد الرابع : البون الشاسع بين علم الله المحيط وفهم الإنسان القاصر.

وفيه يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾[1].

وبعد فهذا هو المشهد الأخير من مشاهد أحداث هذه القصة المثيرة، فقد كان موسى عليه السلام في خلال أحداث القصة - ونحن الذين نتابع سياق القرآن الكريم - أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سرا، وموقفنا منها كموقف سيدنا موسى عليه السلام، بل نحن لانعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة، فلم ينبئنا القرآن الكريم باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا، وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا، التي لاترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها

(١) سورة الكهف الآيات : ٧٩ - ٨٢ .

العين المحدودة، فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها، ثم يأخذ السر في التجلي، وتظهر لنا الحكمة في أفعال الخضر، ويماط اللثام عن العجائب الثلاثة التي فوجىء بها سيدنا موسى عليه السلام، حيث يقوم الخضر عليه السلام بتجلية الأمر، وتفسير أفعاله التي قام بها، حتى يعلم سيدنا موسى والمتابعون لهذه الأحداث الدوافع الحقيقية وراء ارتكابه لتلك الأحداث.

فيقول عن الأمر الأول وهو: خرق السفينة:

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ...﴾ إلخ.

أي: أما السفينة التي خرقتها، فقد كانت لأناس ضعفاء، لايقدرون على مقاومة الظلمة الجبارين، وكانوا يشتغلون بها في البحر بقصد التكسب، فأردت - أي فأراد الخضر - بخرقها أن أجعلها معيبة لئلا يغتصبها الملك الظالم، لأنهم كانوا سيمرون في طريقهم على ملك كافر جبار، يغتصب كل سفينة صالحة جيدة، لاعيب فيها ولا خلل، وأردت بهذا الصنيع أن أحفظ لهم سفينتهم من الغصب، وبهذا العيب البسيط نجت السفينة من الاغتصاب. وبقيت لأصحابها يتكسبون من ورائها، حيث إنهم لم يكن لهم شيء يتكسبون من ورائه غيرها.

هذه هي الحكمة التي خفيت على سيدنا موسى عليه السلام من خرق الخضر للسفينة، وأظهرها الله للخضر، ذلك العبد الصالح الذي أطلعه الله على علم بعض المغيبات[1].

(١) قبس من نور القرآن الكريم (٤٩/٧، ٥٠) بتصرف.

ويقول عن الأمر الثاني وهو قتل الغلام:

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ أي: وأما الغلام الذي قتلته فقد طبعه الله عز وجل يوم خلقه كافراً، وجعله يحمل بين جنباته بذور الكفر والطغيان، والظلم والعدوان وليس زكياً طاهرا كما تظن، ولذلك إذا استمر في الحياة فإنه سوف يرهق والديه، ويحملهما بسبب حبهما الشديد له وتعلقهما اللامحدود به على تكلف الكثير من الأمور التي ليست من طبعهما إرضاء له، ودفاعاً عنه، بل وسوف يحملهما على اتباعه في طريقته، ويتسبب في كفرهما وضلالهما.

لذلك فقد أراد الله عز وجل أن يخلص والديه من ظلمه وطغيانه وكفره وضلاله، حتى يستمرا على ما هما عليه من إيمان وصلاح، وسير على منهج الله عز وجل، فوجه الله سبحانه وتعالى الخضر عليه السلام إلى قتله اجتثاثاً لبذرة ضارة، لو تركت لوقعت فتنة في الأرض وفساد كبير. أما أبواه فإن دعاءنا ورجاءنا أن يعوضهما الله سبحانه وتعالى خيراً منه ديناً وخلقاً، وبراً وعطفاً ورحمة بهما، إن رجاءنا في الله كبير أن يبدلهما خلفاً منه غلاماً مؤمناً تقياً يكون أتقى لله، ويكون قرة عين لأبويه، ليعوضهما عن فقدهما للغلام الذي طبع كافراً، وليعلما أن الخير فيما اختاره الله وقدره، وأن (أمر المؤمن كله خير له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[1].

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، الحديث (٧٤٥٢).

ويقول عن الأمر الثالث: وهو إقامته الجدار المائل:

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

فقد نبهه في هذه الآية الكريمة إلى أسباب إقامته للجدار، - الذي كان على وشك الانقضاض - بدون أجر، والمتمثلة فيما يلي:

الأول: أن الجدار كان لغلامين يتيمين في المدينة.

الثاني: أن هذا الجدار كان تحته كنز لهذين الغلامين.

الثالث: أن أباهما كان رجلاً صالحاً. وقد نفعهما الله عز وجل بصلاح والدهما في طفولتهما وضعفهما.

الرابع: أن الله عز وجل أراد أن يحفظ للغلامين كنزهما كي يستخرجاه بنفسيهما بعد أن يبلغا أشدهما، ويستطيعا المحافظة عليه من استيلاء من لايستحقه من الناس عليه.

الخامس: أن فعله لهذه التصرفات الغريبة لم يكن برأيه واجتهاده ولابإرادته واختياره، بل كان بأمر الله سبحانه وتعالى وتعليمه، وبوحي منه عز وجل. ثم قال الخضر لموسى عليهما السلام في نهاية القصة: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ أي: ذلك تفسير الأمور العجيبة التي لم تستطع الصبر عليها حتى أخبرك عنها، وتسرعت في الاعتراض بها عَلَيّ.

المبحث الثاني
ورود القصة في السنة النبوية

ورود القصة في السنة النبوية

وكما وردت قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر في القرآن الكريم فقد وردت في كتب السنة حيث وردت في الكتب الستة وغيرها، وسنقتصر هنا على ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم لمجيء الرواية فيهما وافية وشاملة. أخرج البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري:

عن سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ[1] يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ[2] حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْداً بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ مُوسَى: يَارَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتاً[3] فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ[4] فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتاً فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ

---

(١) نَوْفٌ البِكاليّ هو نوف بن فضالة البكاليّ منسوب إلى بني بكال بن دعمي بن سعد بن عوف، بطن من حمير. يقال: إنه ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل: ابن أخيه، وهو تابعي صدوق، فتح الباري (٨/٤١٣).

(٢) قال ابن حجر في شرحه هذه العبارة (٨/٤١٣): (وقوله كذب) وقوله «عدو الله» محمولان على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة، فلم يكن نوف إذاً كاذبا في الحقيقة ولم يكن عدوا لله، بل كان تابعيا صادقا تقيا. لكن ابن عباس رضي الله عنه قال عنه هذا القول وهو في حالة غضب شديدة، بسبب القول الذي سمعه، والإنسان في حالة الغضب تخرج منه بعض الألفاظ ولايكون قاصدا بها حقيقتها.

(٣) قال النووي: الحوت: السمكة، وكانت سمكة مملحة.

(٤) المكتل: بكسر الميم وفتح المثناة فوق هو القفة والزنبيل الكبير، يعمل من الخوصي. النهاية في غريب الحديث مادة (كتل).

مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرباً) وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلَ الطَّاقِ[1] فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ مُوسَى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ قَالَ وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ[2] حَتَّى جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قَالَ فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَباً[3] وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَباً فَقَالَ مُوسَى ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ قَالَ رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى[4] ثَوْباً فَسَلَّمَ عليه مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ[5] قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَداً قَالَ ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ فَقَالَ مُوسَى ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فَقَالَ

---

(١) في المعجم الوسيط: الطاق والطائق ما عطف وجعل كالقوس من الأبنية (٢/٥٧١).

(٢) النصب : التعب.

(٣) السَّرب : بالتحرك المسلك في خُفْيَةٍ.

(٤) مُسَجًّى : مغطى.

(٥) وأنىّ : أي من أين السلام في هذه الأرض التي لا يُعْرف فيها السلام. صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٢٣٣). قال ابن حجر: أنّى بمعنى أين وكيف، وهو استفهام استبعاد يدل على أن أهل تلك الأرض لم يكونوا إذ ذاك مسلمين (الفتح ٨/٤١٧).

لَهُ الْخَضِرُ ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلاَّ وَالخضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحاً مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بِالْقَدُومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى قَوْمٌ قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ[1] عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا[2] ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَاناً[3] قَالَ وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلاَّ مِثْلُ مَا نَقَصَ[4] هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلاماً يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ

---

(١) بغير نول: النول بفتح النون وإسكان الواو الأجر، والنول والنوال العطاء أيضاً.

(٢) إمراً: أي عظيماً كثير الشِّدَّة.

(٣) وفي الرواية التالية لهذه الرواية مباشرة في صحيح البخاري: «كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً».

(٤) قال بعض العلماء لفظ (النقص) هنا ليس على ظاهره، وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر، هذا على التقريب إلى الأفهام، وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر، وقد جاء في رواية البخاري: «ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره» أي: في جنب معلوم الله. والله أعلم أ. هـ شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٢٣٦).

مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ قَالَ مَائِل فَقَامَ الْخَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ مُوسَى قَوْمٌ أَتَيْنَاهُم فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا[1].

(١) أخرجه البخاري في - كتاب التفسير - في تفسير سورة الكهف الحديث (٤٧٢٦)، ومسلم في - كتاب الفضائل - الحديث (٦١١٣).

المبحث الثالث
سيدنا موسى بن عمران عليه السلام هو صاحب الخضر
ورد شبهة من قال بغير ذلك

سيدنا موسى بن عمران عليه السلام هو صاحب الخضر

ورد شبهة من قال بغير ذلك

اختلف الناس في موسى صاحب الخضر على قولين:

القول الأول : أنه موسى بن عمران نَبِيٌّ بَنِي إسرائيل عليه السلام. وأحد أولى العزم، وكليم الله عز وجل، المنزل عليه التوراة، والمؤيد من قبل الله سبحانه وتعالى بكثير من المعجزات، والمرسل هو وأخاه هارون إلى فرعون ومن تبعه لدعوتهم إلى عبادة الله الواحد القهار.

وهذا الرأي عليه الأكثرون من العلماء، وهو الصحيح، ويدل عليه دليلان.

الدليل الأول : ما روي في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفاً البِكَالِيَّ يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر قال: كذب عدو الله، أخبرني أبي بن كعب.. ثم ذكر الحديث المطول السابق والذي فيه الإخبار عن رسول الله ﷺ بما هو نص في أنه موسى بني إسرائيل.

الدليل الثاني : أن الله عز وجل لم يذكر في كتابه (موسى) غير (موسى ابن عمران) الذي أرسله إلى بني إسرائيل، لذلك فإذا ذكر اسم (موسى) في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فإن المقصود به (موسى بن عمران) عليه السلام وفي ذلك يقول القفال:

(إن الله تعالى ما ذكر موسى في كتابه إلا وأراد به صاحب التوراة،

فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه. ولو كان المراد شخصا آخر مسمى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز، وإزالة الشبهة، كما أنه لما كان المشهور في العرف من أبي حنيفة رحمه الله هو الرجل المعين، فلو ذكرنا هذا الاسم وأردنا به رجلا سواه لقيدناه، مثل أن نقول: قال أبو حنيفة الدينوري)[1].

القول الثاني : أن المراد بموسى هو موسى بن ميشا بن أفراثيم بن يوسف ابن يعقوب عليهم السلام. وممن قال بذلك: فرقة منها (نُوْف البِكَالِي) وكذلك قال به أهل الكتاب. فقد قال النسفي في تفسيره إن: (أهل الكتاب يزعمون أن موسى صاحب ٱلخَضِرِ ليس موسى صاحب بني إسرائيل)[2]، وقيل هو: موسى ابن أفراثيم بن يوسف، وهو موسى الأول.

هذا وقد تأثر بعض المحدثين والمؤرخين بهذا القول.

دوافع إنكار المنكرين مصاحبة موسى بن عمران عليه السلام للخضر

هناك دوافع دفعت كلا من نوف ٱلبِكالِيّ وأهل الكتاب وغيرهم إلى القول بأن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، ومن هذه الدوافع ما يلي:

أولاً : إن نَوْفاً البِكَالِيّ كان على صلة وثيقة بكعب الأحبار.

فهو: (نوف بن فضالة البِكَالِي) وهو منسوب إلى بني بكال بن دعمي بن

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٤٣/٢١) وانظر المحرر الوجيز ص ١٢٠٠ .

(٢) تفسير النسفي (الآية ٨٢) من سورة الكهف.

سعد بن عوف بطن من حِمْيَر في اليمن.

ويقال: إنه ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل: إنه ابن أخيه، وهو تابعي صدوق)[1].

ولعل (نوفاً البكالي) أخذ رأيه هذا الذي قاله في صاحب الخضر من قريبه كعب الأحبار، خاصة وأن كعب الأحبار كان في الأصل يهوديا من يهود اليمن، ثم أسلم في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد قال العلماء عن كعب الأحبار إنه كان يستقي علمه وأخباره من الإسرائيليات، وكان يفسر بها كلام الله سبحانه. وعليه فإنه يغلب على الظن أن (نَوْفَاً البِكَالِيّ) أخذ رأيه من الإسرائيليات التي عرفها من كعب الأحبار، أو من غيره، ثم فسر بها كلام الله عز وجل.

ثانياً : استبعاد (نَوْف البِكَالِيّ) ومن دار في فلكه من المسلمين، وكذلك استبعاد أهل الكتاب أن يتعلم سيدنا موسى النبي الرسول من الخضر، وهو دون موسى في المنزلة، سواء قلنا بنبوة الخضر أو بولايته. لأن نفوسهم لاتسمح بالقول بتعلم نبيهم عليه السلام ممن ليس مثله في الفضل.

يقول أصحاب هذا الرأي: (إن الله تعالى بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة، وكلمه بلاواسطة، وخصه بالمعجزات الباهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكثر أكابر الأنبياء يبعد أن يبعثه بعد ذلك إلى التعلم والاستفادة)[2].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤١٣).

(٢) الفتوحات الإلهية (تفسير الجمل) (٣/٣٢). ومفاتيح الغيب (٢١/١٤٤).

ثالثاً : يقول بعض المحققين: ليس إنكار أهل الكتاب تعلم سيدنا موسى النبي الرسول من الخضر لمجرد أن الخضر دون سيدنا موسى في المنزلة فقط، بل لذلك ولقولهم إن موسى عليه السلام بعد الخروج من مصر حُصِر هو وقومه في التيه، وتوفى فيه، ولم يخرج قومه منه إلا بعد و فاته، والقصة تقتضي خروجه عليه السلام من التيه لأنها لم تكن وهو في مصر بالإجماع[1].

رابعاً : أنه لو كان موسى صاحب الخضر هو موسى صاحب بني إسرائيل عليه السلام لاقتضى ذهابه للخضر عليه السلام غيابه أياما عن الذين كانوا معه. ولو كان ذلك قَدْ وَقَعَ لَعَلِمهُ كثير من بني إسرائيل الذين كانوا معه، ولو علم غيابه لنقل ذلك لتضمنه أمراً غريباً تتوفر الدواعي على نقله، فحيث لم يكن العلم للذين كانوا معه لم تكن القصة[2].

وللرد على كل ما سبق نقول :

أولاً : يجاب على عدم سماح نفوسهم بالقول بتعلم نبيهم الكليم عليه السلام المؤيد بالمعجزات الباهرة من الخضر عليه السلام بما يلي:

١ - إن تعلم سيدنا موسى عليه السلام كان من نبي، ولا غضاضة في تعلم نبي من نبي)[3].

٢ - إن (عدم سماح نفوسهم بالقول بتعلم نبيهم عليه السلام ممن ليس مثله في الفضل أمر لايساعده العقل، وليس هو إلا كالحمية الجاهلية، إذ لايبعد

---

(١) روح المعاني (١٥/٣١٠).

(٢) المصدر السابق بتصرف يسير.

(٣) المصدر السابق.

عقلا تعلم الأفضل الأعلم الأكمل في أكثر العلوم الأشياء التي يجهلها ممن هو دونه في الفضل والعلم، لأنه قد يوجد في المفضول ما لايوجد في الفاضل وهذا أمر متعارف معلوم)[1].

ثانياً : ويجاب على قولهم بعدم خروج سيدنا موسى عليه السلام من التيه: بأن ذلك غيرُ مَسلَّم؛ لأن هناك من قال: بأن القصة كانت بعد أن ظهر سيدنا موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل بعد هلاك القبط، فلا إجماع على أن القصة لم تكن بمصر، نعم اليهود كما يقول الألوسي: لايقولون باستقرارهم في مصر بعد هلاك القبط وعليه كثير منا؛ وحينئذ يقال: إن عدم خروج سيدنا موسى عليه السلام من التيه غير مسلم[2].

ثالثاً : يجاب على قولهم: بأن القصة لو كانت بين سيدنا موسى بني إسرائيل والخضر عليهما السلام لاقتضى ذلك غياب سيدنا موسى عليه السلام أياماً، ولو وقعت لعلمها كثير من بني إسرائيل الذين كانوا معه، ولو علمت لنقلت لتضمنها أمراً غريباً تتوفر الدواعي على نقله، فحيث لم يكن، لم تكن، نقول: يجاب على ذلك بما يلي:

١ - جواز أن يكون ما حدث بين موسى والخضر عليهما السلام كان على وجه خارق للعادة كالتيه الذي وقعوا فيه، وكَنَتْقِ الجبلِ عليهم، وغير ذلك من الخوارق التي وقعت فيهم[3].

٢ - قد يقال: يجوز أن يكون عليه السلام خرج وغاب أياماً لكن لم يعلموا أنه عليه السلام

(١) روح المعاني السابق، ومفاتيح الغيب (١٤٤/٢١) بتصرف.

(٢) روح المعاني (٣١١/١٥) بتصرف.

(٣) روح المعاني السابق بتصرف.

ذهب لهذا الأمر، وظنوا أنه ذهب يناجي ربه ويتعبد، ولم يوقفهم على حقيقة غيبته بعد أن رجع لعلمه بقصور فهمهم، فخاف من حط قدره عندهم، فَهُمُ القائلون ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[1]. و﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[2] وأوصى فتاه بكتم ذلك عنهم أيضا[3].

٣ - كذلك: يجوز أن يكون عليه السلام غاب وعلموا حقيقة غيابه، لكن لم يتناقلوها جيلاً بعد جيل لِتَوهُّم أن فيها شيئاً مما يحط من قدره الشريف عليه السلام، فلا زالت نقلتها تَقِلّ حتى هلكوا في وقت بختنصر كما هلك أكثر حملة التوراة.

٤ - وأخيراً: يجوز أن يكون قد بقي منهم أقل قليل إلى زمن نبينا ﷺ فتواصوا على كتمانها وإنكارها ليوقعوا الشك في قلوب ضعفاء المسلمين، ثم هلك ذلك القليل ولم تنقل عنه. ولايخفى أن باب الاحتمال واسع. وبالجملة فإنه لايبالىٰ بإنكارهم بعد جواز الوقوع عقلاً، وإخبار الله تعالى به ورسوله ﷺ، فإن الآية ظاهرة في ذلك، ويقرب من هذا الإنكار إنكار النصارى تكلم عيسى عليه السلام في المهد. فلا يلتفت إلى إنكارهم بعد إخبار الله تعالى به. فعلينا بكتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ[4].

من كل ما سبق يتضح لنا أن صاحب الخضر عليه السلام هو سيدنا موسى بن عمران رسول الله عز وجل إلى بني إسرائيل، المنزل عليه التوراه، والمبعوث هو وأخوه هارون إلى فرعون ومن معه.

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية : ١٣٨ .

(٢) سورة النساء جزء من الآية : ١٥٣ .

(٣، ٤) روح المعاني السابق. بتصرف.

المبحث الرابع
فتى سيدنا موسى عليه السلام (يوشع بن نون)

فتى سيدنا موسى عليه السلام (يوشع بن نون)

«الفتى: الشَّـابُّ أَوَّلَ شبـابه بين المراهقة والرجولة، وفي التنزيل العزيز ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾[1]. والسَّخِيُّ وذو النَّجْدَة، والخـادم، وفي التنزيل: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[2] وفتى موسى هو: «يوشع بن نون» رضي الله عنه.

ودليل ذلك الحديث الذي ذكرناه سابقا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فقد جاء فيه بشأن (فتى موسى) « ... ثم انطلق، وانطلق مع فتاه (يوشع بن نون) حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما ...»[3].

ولذلك فقد قال الواحدي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾[4] أَجْمَعُوا - أي المفسرون - على أنه - أي فتى موسى - يوشع ابن نون[4].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: أما فتاه فهو يوشع بن نون من غير خلاف[5]. هذا وقد اختلف المفسرون في درجة قرابة يوشع بن نون لموسى عليه السلام اختلافاً بَيِّناً ولا حاجة لنا لتحديد هذه القرابة؛ لأنها لايترتب عليها أية فائدة. كما اختلفوا أيضاً في يوشع نفسه هل كان خادماً أو عبداً لموسى عليه السلام ورقيقاً عنده أم أنه كان تابعاً لموسى عليه السلام، مطيعاً له طاعة تشبه

(١) سور الأنبياء الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الكهف جزء من الآية : ٦٢ وانظر المعجم الوسيط ص ٦٧٣ .

(٣) سبق تخريجه في المبحث الثاني.

(٤) تفسير الوسيط (١٥٦/٣).

(٥) زاد المسير (١٦٤/٥).

طاعة العبد لسيده واتباعه له.

ولعل السبب الذي جعل الذين قالوا بأن (يوشع) كان خادماً وعبداً لموسى عليه السلام هو قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ فقد فسروا الفتى هنا بمعنى الخادم والعبد، مع أنه لايوجد في الآية ما يدل على هذا التفسير.

(فالفتى) كما علمنا سابقاً تطلق في الأصل على الشاب الطري في أول شبابه، وتطلق على العبد كناية ومجازاً.

وها هو القرآن الكريم يطلق على سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام (فتى): فقد قال الله عز وجل حكاية لما قالوه: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ وها هو القرآن الكريم أيضاً يطلق لفظ الفتية على أهل الكهف، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾[1].

فهل كان سيدنا إبراهيم عليه السلام عبداً مملوكاً؟ وهل كان أهل الكهف عبيداً مملوكين؟ لم يقل أحد ذلك. لقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام عند تحطيمه للأصنام قوياً، كما كان أصحاب الكهف في مقتبل أعمارهم. كذلك كان «يوشع ابن نون» في مقتبل الشباب عند مصاحبته لسيدنا موسى عليه السلام في هذه الرحلة الميمونة كما هو واضح من الآيات الكريمة.

أما إضافة الفتى لموسى عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ فهي إضافة تشريف وتكريم ليوشع، وكيف لا وقد كان فتى تابعاً مطيعاً، وصاحباً أميناً، لنبي كريم، من أولى العزم من الرسل.

---

(١) سورة الكهف جزء من الآية : ١٠ .

وعلى كل الأحوال فإنه سواء أكان (يوشع بن نون) عبداً خادماً مملوكاً أم ليس كذلك فإن هذا أو ذاك ليس له أي تأثير في القصة، ولايترتب عليه أي شيء. كذلك اختلف المفسرون وغيرهم في (يوشع بن نون) هل كان نبيا أم لا؟

لكن ليس لأي من الفريقين أي دليل يعتمد عليه لتقوية رأيه، لذلك فإن الأسلم لنا أن نتوقف في هذا الأمر، فلا نثبت نبوته كي لانُدْخِل في الأنبياء من ليس منهم إذا لم يكن نبياً وهذا غير جائز.

ولا ننفي عنه نبوته فقد يكون نبياً، وبهذا نُخْرِج من الأنبياء أَحَدَهم وهذا غير جائز أيضاً.

المبحث الخامس
الخضـــــر عليه السلام

الخضر عليه السلام

هو العبد الصالح الذي ذهب إليه سيدنا موسى عليه السلام كي يتعلم على يديه، وذكرت قصته في القرآن الكريم دون التصريح فيها باسمه، فهو إذاً من مبهمات القرآن الكريم. لكن الرسول ﷺ قد كشف عن اسمه في الحديث الشريف كما ورد في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما.

فقد قال رسول الله ﷺ أثناء حديثه عن رحلة سيدنا موسى عليه السلام للقاء الخضر «... فإذا رجل مسَجَّى ثَوْباً، فسلم عليه عليه السلام فقال الْخَضِرُ وَأَنىَّ بأرضك السلام...»[1].

لكن من هو الْخضِرُ عليه السلام؟ وإلى أيّ ينتسب؟ وما هي أعماله قبل الرحلة وبعدها؟ ومن القوم الذين كان يعيش بينهم؟ وما المكان الذي كان يقيم فيه؟ وماذا جرى له بعد رحلة سيدنا موسى عليه السلام إليه؟ وأين ذهب بعد مفارقة موسى عليه السلام له؟ وأين أقام؟ وكم عاش من السنين؟ وهل هو على قيد الحياة أم مات؟ وأين مات إن كان قد مات؟ وكيف مات؟ وأين دفن؟

كل هذه التساؤلات وغيرها عن الخضر عليه السلام لاجواب لها عندنا، لأنها لم تذكر في أي مصدر من المصادر الصحيحة اليقينية، وإن كان القصاص والإخباريون وغيرهم قد تناولوا هذه الأمور بالبحث، وحاولوا بيانها، واختلفوا فيما بينهم في كل هذه الأمور، لكنهم لم يصلوا في أيّ منها إلى رأي قاطع.

لذلك فإنه من الأجدر بنا أن نضرب عنها صفحاً، ونتوقف عن الخوض فيها، ولا نقول بما قالوا به، خاصة وأنهم قد استقوا معلوماتهم من مصادر

(١) سبق تخريجه في المبحث الثاني.

غير صحيحة، وبخاصة من المصادر الإسرائيلية والأخبار والأساطير والروايات المأخوذة عن بني إسرائيل، وهي كلها أخبار ما أنزل الله بها من سلطان؛ لأنهم حرفوا كتبهم وافتروا على الله وعلى أنبياء الله عز وجل.

ويكفينا عند الحديث عن الخضر عليه السلام أن نتحدث عما ورد عنه في كتاب ربنا القرآن الكريم، وفي سنة نبينا ﷺ الصحيحة، والإعراض عما ورد في غيرهما.

سبب تسميته بِالْخَضِرِ

ورد في صحيح البخاري سبب تسميته بالخضر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّما سُمِّيَ الْخَضِرُ، لأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ[1] بيضاء، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاء»[2].

هل كان الْخَضِرُ نَبِياً أم وَلِياً

اختلف العلماء في حقيقة الخضر عليه السلام هل كان نبياً أو ولياً أو غير ذلك على أقوال:

القول الأول :

ذهب فريق منهم إلى القول بأنه كان ولياً ولم يكن نبياً.

---

(١) قال عبدالرزاق: الفرو الحشيش الأبيض وما أشبهه، وقال الحربي: الفروة من الأرض قطعة يابسة من حشيش، وعن ابن الأعرابي: الفروة: أرض بيضاء ليس فيها نبات، وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه. انظر فتح الباري (٢/١٥٦٥).

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام.

قال ابن كثير رحمه الله: ذهب كثيرون إلى أن الخضر عليه السلام لم يكن نبياً بل كان ولياً[1].

وممن قال بولايته أبو القاسم القشيري الذي قال في رسالته، باب إثبات كرامات الأولياء: لم يكن الخضرنبياً، وإنما كان ولياً[2].

وممن قال بذلك أيضاً (أبو علي بن أبي موسى من الحنابلة، وأبو بكر بن الأنباري في كتابه «الزاهر» بعد أن حكى عن العلماء قولين هل كان نبياً أو ولياً[3]، ومحمد بن قاسم النويري الاسكندراني[4]. وبذلك قال أيضاً المحققون من الصوفية، كما أفاد بذلك إسماعيل حقي صاحب تفسير روح البيان[5].

وأصحاب هذا الرأي يقولون إن ما وقع من الخضر عليه السلام كان عن طريق الإلهام.

لكن يجاب عليهم بما قاله الشيخ الشنقيطي عليه سحائب الرحمة:

(من المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لايجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به، بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره. وما يزعمه بعض الجبرية أيضاً من الاحتجاج بالإلهام

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٩٩).

(٢) الرسالة القشيرية ص ١١٦ وانظر شرح العروس على شرح الشيخ زكريا الأنصاري للرسالة القشيرية. والإصابة ص ٣٤٦ وصحيح مسلم بشرح النووي (٥/١٣٠) وروح المعاني (١٥/٣٢٠).

(٣) الإصابة ص ٣٤٦ ط بيت الأفكار الدولية.

(٤) الإلمام بالإعلام بما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية (٥/٢١٦) ط حيدر آباد الدكن ١٣٨٩هـ.

(٥) روح البيان في تفسير القرآن (٢/٤٩٨) وانظر الإصابة المرجع السابق.

في حق الملهم وغيره، جاعلين الإلهام كالوحي المسموع، مستدلين بظاهر قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1]. وبخبر «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[2] كله باطل لايعول عليه لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لاثقة بخواطره، لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان، وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات، والإلهام في الاصطلاح: إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحي ولانظر في حجة عقلية، يختص الله به من يشاء من خلقه، أما مايُلْهَمُه الأنبياء مما يلقيه الله في قلوبهم فليس كإلهام غيرهم؛ لأنهم معصومون بخلاف غيرهم.

وبالجملة فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لاطريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل أو ترك، إلا عن طريق الوحي. فمن ادعى أنه غنيّ في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل، وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلاشك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لاتحصى، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[3]، ولم يقل: حتى نلقي في القلوب إلهاما. وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[4]، وقال:

(١) سورة الأنعام الآية : ١٢٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في - كتاب تفسير القرآن- الحديث (٣١٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٢/٨) الحديث (٧٤٩٧) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٨/١٠) وعزاه للطبراني، وقال: إسناده حسن.

(٣) سورة الإسراء الآية : ١٥ .

(٤) سورة النساء الآية : ١٦٥ .

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ﴾[1]. والآيات والأحاديث بمثل هذا كثيرة جداً. وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدّعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله، ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زندقة وذريعة إلى الانْحلال بالكلية من دين الإسلام. بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره)[2].

ثم يقول الشيخ الشنقيطي أيضاً (وما يستدل به بعض الجهلة ممن يدعي التصوف على اعتبار الإلهام من ظواهر بعض النصوص كحديث «استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك»[3] لا دليل فيه البتة على اعتبار الإلهام؛ لأنه لم يقل أحد ممن يعتد به أن المفتي الذي تتلقى الأحكام الشرعية من قبله القلب، بل معنى الحديث: التحذير من الشبه؛ لأن الحرام بَيِّن والحلال بيِّن، وبينهما أمور مشتبهة لايعلمها كل الناس، فقد يفتيك المفتي بِحِلِّيَّةِ شيء وأنت تعلم من طريق أخرى أنه يحتمل أن يكون حراماً، وذلك باستناد إلى الشرع، فإن قلب المؤمن لايطمئن لما فيه الشبهة، والحديث كقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى مالايريبك»[4] وقوله ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[5] رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، وحديث

(١) سورة طه الآية : ١٣٤ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ٧٢٩ .

(٣) سيأتي تخريجه بعد قليل بألفاظ أوفى.

(٤) أخرجه الترمذي في - كتاب صفة القيامة - الحديث (٢٥١٨)، والدارمي في - كتاب البيوع - الحديث (٢٥٣٢)، والنسائي في - كتاب الأشربة - الحديث (٥٧١١).

(٥) أخرجه مسلم في - كتاب البر والصلة - الحديث (٦٤٦٤)، والترمذي في - كتاب الزهد -=

وَابِصَةَ بن معبد رضي الله عنه المشار إليه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فقال: «جِئْتَ تَسْأَل عَنِ الْبِرِّ»؟ قُلْتُ: نَعم. فَقَال: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ. الْبِرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إِلَيهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوك»[1] قال النووي في «رياض الصالحين» حديث حسن[2].

ولاشك أن المراد بهذا الحديث ونحوه: الحث على الورع وترك الشبهات، ومما يدل على ما ذكرنا من كلام أهل الصوفية المشهود لهم بالخير والدين والصلاح - قول الشيخ أبي القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري رضي الله عنه: (مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة)، نقله عنه غير واحد ممن ترجمه رضي الله عنه، كابن كثير وابن خلكان وغيرهما، ولاشك أن كلامه المذكور هو الحق، فلا أمر ولانهي إلا على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبهذا كله تعلم أن قتل الخضر للغلام وخرقه للسفينة، وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى﴾ دليل ظاهر على نبوته)[3]. وبهذا يكون الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - نفى الولاية عن الخضر - عليه السلام - وأثبت له النبوة.

القول الثاني :

وذهب فريق من العلماء إلى القول بأن الخضر عليه السلام كان نبياً وفسروا

= الحديث (٢٣٨٩).

(١) أخرجه الدارمي في كتاب البيوع الحديث (٢٥٣٣)، وأحمد في المسند (٢٢٨/٤)، والطبراني في الكبير (١٤٨/٢٢).

(٢) رياض الصالحين للنووي (٢٤١/١) باب في الورع وترك الشبهات حديث رقم (٥٩٠) ط المكتبة العصرية بيروت.

(٣) أضواء البيان (٣٢٦/٣).

(الرحمة) في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ...﴾ فسروها بالوحي والنبوة.

قال الزمخشري: (﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ هي الوحي والنبوة)[1].

وقال الواحدي: (﴿ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ يعني النبوة)[2].

وقال الألوسي: في تفسيره لقوله تعالى: (﴿ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ قال: (الجمهور على أنها الوحي والنبوة، وقد أطلقت على ذلك في مواضع من القرآن، وأخرج ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وهذا قول من يقول بنبوته عليه السلام)[3].

فالقول بنبوة الخضر عليه السلام هو قول الجمهور، قال ابن عطية: «والخضر نبي عند الجمهور»[4].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾[5] أي: لكني أمرت به وَوُفِّقْتُ عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام[6]).

وقال أبو حيّان التوحيدي: (والجمهور على أن الخضر نبي)[7].

وقال الألوسي: (فيه أقوال ثلاثة: فالجمهور على أنه عليه السلام نبي وليس

(١) الكشاف (ص ٦٢٥).
(٢) الوسيط (١٥٨/٣).
(٣) روح المعاني (٢٩٣/١٥، ٣٢٠).
(٤) المحرر الوجيز (ص ١٢٠٣).
(٥) سورة الكهف الآية : ٨٢ .
(٦) تفسير القرآن العظيم (٩٩/٣).
(٧) تفسير البحر المحيط (١٣٩/٦).

برسول، وقيل هو رسول، وقيل هو ولي وعليه القشيري وجماعة، والمنصور ما عليه الجمهور، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين)[1].

أدلة القائلين بنبوة الخضر عليه السلام :

الدليل الأول : لقد وصفه الله عز وجل في مطلع الحديث عنه بالعبودية ذلك الوصف الذي أطلقه القرآن الكريم على الأنبياء، كما أطلقه على غيرهم من عباد الله الصالحين. قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾.

ومن الآيات التي أطلق فيها لفظ العبودية على الأنبياء والرسل ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾[4].

فهذه الآيات الكريمة يطلق الله عز وجل فيها صفة العبودية على رسولنا الكريم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ.

(١) روح المعاني (١٥/٢٩٣، ٣٢٠).

(٢) سورة الإسراء الآية : ١ .

(٣) سورة الكهف الآية : ١ .

(٤) سورة الجن الآية : ١٩ .

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾[1] وهذه الآية الكريمة يطلق الله عز وجل فيها صفة العبودية على بعض النبيين.

ومن الآيات التي أطلق فيها لفظ العبودية على غير الأنبياء قوله سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[2].

فكما أن لفظ العبودية أطلق في الآيات الأولى على رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ وعلى غيره من الرسل والأنبياء فلا مانع من إطلاقه على الخضر عليه السلام مع كونه نبياً.

الدليل الثاني : قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ والرحمة هي النبوة، وذلك لأنه تكرر إطلاقها في القرآن الكريم كثيراً على النبوة، فمن إطلاقات القرآن الكريم الرحمة على النبوة ما يلي: في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾[3] قال الألوسي (الرحمة: هي النبوة على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما)[4].

وقال ابن كثير رحمه الله: أي: على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة، وهي

---

(١) سورة ص الآية : ٤٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ٦٣ .

(٣) سورة هود الآية : ٢٨ .

(٤) روح المعاني (٣٩/١٢).

الرحمة العظيمة من الله به وبهم[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾[2] يقول ابن كثير رحمه الله: (أي: ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء، يدعو إلى عبادة الله)[3]. وقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[4] يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: (أي نبوته حتى يتحكموا في إنزال القرآن على رجل عظيم من القريتين)[5].

الدليل الثالث : قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وهذا يقتضي أنه تعالى علمه لا بواسطة تعليم معلم، ولا إرشاد مرشد، وكل من علمه الله لابواسطة البشر وجب أن يكون نبياً يعلم الأمور بالوحي من الله، خاصة وأن العلم المؤتى من الله تكرر إطلاقه في القرآن الكريم على الوحي[6].

(فمن إطلاق إيتاء العلم على النبوة قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[7])[8].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٤٣/٢).

(٢) سورة مريم الآية : ٢١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١١٥/٣).

(٤) سورة الزخرف الآية : ٣٢ .

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ص٧٢٨).

(٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٤٨/٢١).

(٧) سورة النساء الآية : ١١٣ .

(٨) أضواء البيان (ص ٧٢٨).

الدليل الرابع : أن سيدنا موسى عليه السلام قال للخضر عليه السلام ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ والنبي لايتبع غير النبي في التعليم، فلو كان الخضر غير نبي لم يكن لموسى عليه السلام - وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة - كبير رغبة، ولا عظيم طلبة في علم وَلِيٍّ غير واجب العصمة، ثم لما قابله واجتمع به رجاه أن يعلمه، كل هذا يدل على أنه نبي مثله يوحي إليه كما يوحي إلى سيدنا موسى عليهما السلام. وقد خص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم، نَبِيَّ بني إسرائيل الكريم.

الدليل الخامس : أن ذلك العبد أظهر الترفع على سيدنا موسى عليه السلام حيث قال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ وأما سيدنا موسى عليه السلام فإنه أظهر له التواضع حيث قال له ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ وكل ذلك يدل على أن ذلك العالم كان فوق سيدنا موسى عليه السلام، ومن لايكون نبيا لايكون فوق النبي[1]. ومن لايكون نبيا لايكون معصوما، ولو كان غير معصوم لأدى ذلك إلى احتمال الخطأ في أفعاله، فكيف في هذه الحالة يتبعه ويتعلم منه نَبِيٌّ معصوم، وإذا أخطأ في فعل ما فكيف يقتدي به النبي المعصوم، فاتباع سيدنا موسى عليه السلام له، وتعلمه منه وطاعته له، كل ذلك دل على عصمة الخضر في أفعاله، ولا عصمة إلا للأنبياء[2].

القول الراجح في هذه المسألة :

بعد استعراضنا لآراء العلماء حول الخضر عليه السلام رأينا أن من العلماء من

---

(١) الخضر بين الواقع والتهويل (ص ٤٩).

(٢) مع قصص السابقين في القرآن والدعوة والجهاد (١٧٩/٢).

يرى: أنه ولي، ومنهم من يرى أنه نبي. وبقيت هذه المسألة بين العلماء محل أخذ وردّ وشدّ وجذب ولكل أدلته، ولكن يتبين لنا من خلال عرض الأدلة السابقة ومناقشتها أن أدلة القائلين بنبوته أقوى من أدلة القائلين بولايته؛ لذا نرجح القول بنبوته، لأن الأدلة على نبوته من الآيات والأخبار، والعقل: كثيرة، (وبمجموعها - أي بمجموع الأدلة السابقة - كما يقول الألوسي - رحمه الله - يحصل اليقين وهو ما عليه الجمهور)[1].

وفي الختام نفوض الأمر إلى الله عز وجل - فهو علام الغيوب - خاصة ما دام الأمر لم يرد فيه ما يبين حقيقته لا في الكتاب ولا في السنة؛ بل الأمر مبني على الاجتهاد، لذا فالأفضل التوقف وعدم القطع، والله أعلى وأعلم، وفوق كل ذي علم عليم.

تحرير المسألة في حياة الخضر أو موته :

لولا أن العلماء خاضوا في هذه المسألة، وشاعت عند العامة شيوعاً كبيراً لما كان هناك داعٍ لإيرادها، ولكن إتماماً للفائدة وتحريراً للمسألة نقول:

اختلف أهل العلم في بقاء الخضر عليه السلام إلى اليوم على قولين:

القول الأول : ذهب فريق إلى أن الخضر عليه السلام ما زال حياً إلى اليوم، وأنه أدرك رسولنا ﷺ، وسيبقى حياً حتى قيام الساعة. وممن قال بذلك: الإمام النووي، والحافظ ابن الصلاح، وصححه القرطبي.

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: «جمهور العلماء على أنه

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٥/٣٣٠).

- أي الخضر عليه السلام - حيٌّ موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، وسؤاله، ووجوده في المواضع الشريفة، ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر. ثم يقول: قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك»[1].

وقال في المجموع: «إنما ذكره أصحابنا وغيرهم، وفيه دليل منهم لاختيار ما هو المختار، وترجيح ما هو الصواب، وهو أن الخضر عليه السلام حيٌّ باقٍ، وهذا قول أكثر العلماء»[2].

وقال القرطبي رحمه الله بعد أن ذكر القائلين بموته، والقائلين بحياته: «والصحيح القول الثاني وهو أنه حيٌّ»[3].

وقال ابن حجر الهيتمي: «إن المعتمد هو حياته»[4].

أدلة القائلين بحياته :

اعتمد القائلون بحياة الخضر عليه السلام على أحاديث وأقاويل وروايات مأثورة عن الصالحين وغيرهم، وقد تعقبها العلماء وردوا عليها كلها.

فهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله يقول في الإصابة بعد نقله أقوال

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٢٣٠)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/١٧٦، ١٧٧)، والإصابة (ص ٢٤٨).

(٢) المجموع شرح المهذب (٥/٣٠٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩٣١).

(٤) الفتاوى الحديثية (ص ١٨٠).

القائلين من العلماء بحياة الخضر عليه السلام: «قلت: اعتنى بعض المتأخرين بجمع الحكايات المأثورة عن الصالحين وغيرهم ممن بعد الثلاثمائة وبعد العشرين مع ما في أسانيد بعضها ممن يضعف؛ لكثرة أغلاطه، أو اتهامه بالكذب، كأبي عبدالرحمن السلمي، وأبي الحسن ابن جهضم»[1].

وهذا ابن كثير رحمه الله تعالى يورد روايات وأقوالاً عن حياة الخضر عليه السلام الآن ثم يعقب عليها كلها قائلاً: «وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدا لايقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لايخلو أكثرها عن ضعف الإسناد.. وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره، لأنه يجوز الخطأ.. والله أعلم»[2].

ويقول ابن كثير أيضاً: «وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه: «عجالة المنتظر في شرح الخضر» الأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعة، ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوال وجهالة رجالها، وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد»[3].

وقال ابن عطية رحمه الله بعد أن ذكر رأى القائلين بأنه حي وباق في الأرض ويحج البيت: وقد أطنب النقاش في هذا المعنى وذكر في كتابه أشياء

(١) الإصابة (ص ٣٤٨)، والزهر النضر في نبأ الخضر لابن حجر العسقلاني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/٢٠٣).

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٥٦١، ٥٦٢)، والبداية والنهاية (١/٢٥٨، ٢٥٩).

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير (ص ٥٦١، ٥٦٢)، والبداية والنهاية (١/٢٥٨، ٢٥٩).

كثيرة عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، كلها لاتقوم على ساق، ولو كان الخضر عليه السلام حَياً يَحُجُّ لكان له في ملة الإسلام ظهور، والله العليم بتفاصيل الأشياء لاَرَبّ غيره[1].

وقال الشنقيطي رحمه الله معقباً على رأي القائلين بحياته: (وحكايات الصالحين عن الخضر أكثر من أن تحصى، ودعواهم أنه يحج هو وإلياس كل سنة، ويروون عنهما بعض الأدعية، كل ذلك معروف، ومستند القائلين بذلك ضعيف جداً، لأن غالبه حكايات عن بعض من يظن به الصلاح، ومنامات وأحاديث مرفوعة عن أنس وغيره، وكلها ضعيف لاتقوم به حجة. ثم يقول:

ومن أقواه عند القائلين به آثار التعزية حين توفى النبي ﷺ، وقد ذكر ابن عبدالبر في تمهيده عن علي رضي الله عنه قال: لما توفى النبي ﷺ وسُجِّي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولايرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. السلام عليكم أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2] إن في الله خلفاً من كل هالك، وعوضا من كل تالف، وعزاءً من كل مصيبة، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا؛ فإن المصاب من حرم الثواب. فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام، يعني أصحاب النبي ﷺ.

ثم قال: قال مقيده عفا الله عنه: والاستدلال على حياة الخضر بآثار التعزية كهذا الأثر الذي ذكرناه آنفاً، مردود من وجهين:

الأول : أنه لم يثبت ذلك بسند صحيح. قال ابن كثير في تفسيره: وحكى

(١) المحرر الوجيز ص ١٢٠٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٨٥ .

النووي وغيره في بقاء الخضر إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات عن السلف وغيرهم. وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولايصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية وإسناده ضعيف، اهـ.

الثاني : أنه على فرض أن حديث التعزية صحيح لايلزم من ذلك عقلاً ولاشرعاً ولا عرفاً أن يكون ذلك المعزى هو الخضر، بل يجوز أن يكون غير الخضر من مؤمني الجن؛ لأن الجن هم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1]. ودعوى أن ذلك الْمُعَزِّى هو الخضر تحكم بلادليل. وقولهم: كانوا يرون أنه الخضر ليس حجة يجب الرجوع إليها، لاحتمال أن يخطئوا في ظنهم؛ ولا يدل ذلك على إجماع شرعي معصوم، ولامتمسك لهم في دعواهم أنه الخضر كما ترى)[2].

القول الثاني : وذهب المحققون من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام عاش حياته، ومات قبل بعثة رسول الله ﷺ.

ويرى هذا الفريق أن مقدار حياته التي عاشها لا يعلمها إلا الله، وأن وقت موته وكيفيته ومكانه لايعلمه أيضاً إلا الله سبحانه، وذلك لعدم ورود أحاديث صحيحة تبين ذلك.

كما يرى هذا الفريق أيضاً أن يضرب بأقوال غير المحققين في طول حياة

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٢٧ .

(٢) أضواء البيان (٣/٣٢٧ - ٣٢٨).

الخضر واستمرارها حتى قبيل قيام الساعة عرض الحائط، وذلك لعدم وجود أدلة صحيحة مقبولة على ذلك[1].

وممن ذهب من العلماء الأفاضل إلى موت الخضر عليه السلام قبل البعثة: البخاري وإبراهيم الحربي وابن الجوزي وابن كثير وابن عطية وأبي حيان والألوسي وغيرهم. فقد قال ابن حجر في الإصابة: (نقل أبو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضا وعن محمد بن إسماعيل البخاري أن الخضر مات، وأن البخاري سئل عن حياة الخضر، فأنكر ذلك واستدل بالحديث: إن على رأس مائة سنة لايبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد، وهذا أخرجه هو في الصحيح عن ابن عمر، وهو عمدة من تمسك بأنه مات، وأنكر أن يكون باقيا)[2].

قال أبو حيان في تفسيره: (الجمهور على أنه مات، وقال شرف الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي: أما خضر موسى بن عمران فليس بِحَيٍّ، لأنه لو كان حياً للزمه المجيء إلى النبي ﷺ والإيمان به واتباعه[3]، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «لو كان موسى حياً بين أظهركم ماحل له إلا أن يتبعني»[4].

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن (١٨٣/٢) بتصرف.

(٢) الإصابة ص ٣٤٩ .

(٣) البحر المحيط ص ١٣٩/٦ .

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٨/٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٠٢/٤)، الحديث (٢١٣٥)، وابن أبي شيبة (٣١٢/٥)، الحديث (٢٦٤٢١).

(وذكر ابن الجوزي في جزئه الذي جمعه في ذلك عن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي، قال: سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات؟ فقال: نعم)[1].

وقال في تفسيره: اختلف العلماء هل هو - أي الخضر - باق إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي، وكان الحسن يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا يقول، ويقبِّح قول من يرى بقاءه، ويقول: لايثبت حديث في بقائه[2].

وقال الشيخ محمد بن السيد درويش: لم يرد في حياته شيء يعتمد عليه[3].

ويقول ابن القيم رحمه الله: الأحاديث التي يُذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد[4].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية مرة عن الخضر وإلياس هل هما معمران؟ فأجاب: إنهما ليسا في الأحياء، ولا معمران، وقد سأل إبراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر وإلياس، وأنهما باقيان يُريان ويروى عنهما، فقال الإمام أحمد: من أحال على غائب لم ينصف منه، وما ألقى هذا إلا الشيطان[5].

---

(١) الإصابة ص ٣٥٠ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ص ٨٦١، ٨٦٢ .

(٣، ٤) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ص ٢٩٦، ٢٩٧ .

(٥) مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٣٣٧/٤).

وقال ابن تيمية أيضا: الصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به، ويجاهد معه، كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن مختفيا عن خير أمة أخرجت للناس، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم، إلى أن يقول: «وإذا كان الخضر حيا دائما، فكيف لم يذكر النبي ﷺ. ولا أخبر به أمته ولاخلفاءه الراشدين. وقول القائل: «إنه نقيب الأولياء: فيقال له: من ولاه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ، وليس منهم، وعامة ما يحكى في هذا الباب من الحكايات، بعضها كذب، وبعضها مبني على ظن رجل، مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر، وقال: إنه الخضر.

أدلة القائلين بموته :

استدل القائلون بموت الخضر عليه السلام بما يلي:

الدليل الأول : ظاهر عموم قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾[1] فقوله «لبشر» نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشر، فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله، والخضر بشر من قبله؛ فلو كان شرب من عين الحياة وصار خالداً إلى يوم القيامة لكان الله عز وجل قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد.

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٣٤ .

الدليل الثاني : أن الخضر لو كان حياً إلى زمن النبي ﷺ لكان من أتباعه، وقاتل معه، لأنه مبعوث إلى جميع الثقلين الإنس والجن، والآيات الدالة على عموم رسالته كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[3]، (ويوضح هذا أنه تعالى بين في سورة آل عمران أنه أخذ على جميع النبيين الميثاق المؤكد أنهم إن جاءهم نبينا ﷺ مصدقاً لما معهم أن يؤمنوا به وينصروه، وذلك في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٨٢﴾[4] (وهذه الآية الكريمة على القول بأن المراد بالرسول فيها نبينا ﷺ، كما قاله ابن عباس وغيره فالأمر واضح، وعلى أنها عامة فهو ﷺ يدخل في عمومها دخولاً أولياً، فلو كان الخضر حياً في زمنه لجاءه ونصره، وقاتل تحت رايته. ومما يوضح أنه لايدركه نبي إلا تبعه؛ ما رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة والبزار من حديث جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ١ .

(٣) سورة سبأ الآية : ٢٨ .

(٤) سورة آل عمران الآيتان : ٨١-٨٢ .

أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب وقال: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية لاتسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[1].

قال ابن حجر في الفتح: ورجاله موثوقون، إلا أن في مجالد ضعفا)[2].

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه بعد أن ساق آية آل عمران المذكورة آنفاً مستدلا بها على أن الخضر لو كان حيا لجاء النبي ﷺ ونصره ما نصه: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به وينصرونه ذكره البخاري عنه، فالخضر إن كان نبيا أو وليا فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيا في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله، أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزل الله عليه، وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه، لأنه إن كان وليا فالصديق أفضل منه، وإن كان نبيا فموسى أفضل منه. ثم قال: وهذا الذي يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة)[3].

الدليل الثالث : في قول الرسول ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما»[4] دليل آخر على موت الخضر عليه السلام لأنه لو كان

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/٣٣٨، ٣٨٧) رقم (١٤٦٨٥، ١٥٢٢٣).

(٢) أضواء البيان (٣/٣٢٩).

(٣) البداية والنهاية (١/٢٥٩) وقصص الأنبياء ص ٥٦٢ .

(٤) سبق تخريجه مطولاً في المبحث الثاني (ورود القصة في السنة النبوية).

موجودا لما حسن التمني الوارد في الحديث، ولأحضره بين يديه، وأراه العجائب، وكان أدعى لإيمان الكفرة، لاسيما أهل الكتاب.

الدليل الرابع : لو كان الخضر عليه السلام باقيا بعد الرسول ﷺ لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ العلم والأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة . والروايات المقلوبة، والآراء البدعية، والأهواء العصبية، وقتاله مع المسلمين في غزواتهم، وشهوده جمعهم وجماعاتهم، ونفعه إياهم، ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم، وتسديده العلماء والحكام، وتقريره الأدلة والأحكام، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر أفضل مما يقال عنه من كونه في الأمصار، وَجَوْبِهِ الْفَيَافِي وَالْأَقْطار، واجتماعه بعباد لايعرف أحوال كثير منهم، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم. وهذا الذي ذكرناه لايتوقف فيه أحد بعد التفهيم، والله يهدي إلى صراط مستقيم[1].

الدليل الخامس : أن الخضر عليه السلام فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه، وقال له: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فكيف يرضى لنفسه مفارقة موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لايحضرون جمعة ولاجماعة ولامجلس علم وكل منهم يقول: قال لي الخضر، جاءني الخضر، أوصاني الخضر، فيا عجبا له يفارق الكليم ويدور على صحبة جاهل لايصحبه إلا شيطان رجيم سبحانك هذا بهتان عظيم[2].

---

(١) البداية والنهاية (١/٢٥٩، ٢٦٠)، وقصص الأنبياء لابن كثير (ص٥٦٢-٥٦٤) بتصرف.
(٢) روح المعاني (٥/٣٢١).

الدليل السادس : إن غاية ما يتمسك به في حياته حكايات منقولة يخبر الرّجُل بها أنه رأى الخضر فيا لله تعالى العجب هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وكثير من زاعمي رؤيته يغتر بقوله أنا الخضر، ومعلوم أنه لايجوز تصديق قائل ذلك بلابرهان من الله تعالى، فمن أين للرائي أن المخبر له صادق لايكذب[1].

(١) المرجع السابق (روح المعاني).

المبحث السادس
المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة
من قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام

المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة

من قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام

المفهوم الأول : على العالم - ومن في حكمه - لزوم التواضع وعدم الاغترار بعلمه؛ لأن فوق كل ذي علم عليم.

ينبغي على العالم مهما بلغ من العلم أن لايغتر بعلمه؛ لأنه كما يقول الحق جل وعلا: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]، فسيدنا موسى عليه السلام «عندما قام خطيباً في بني إسرائيل - وكان نبي وقته ورسول أمته - فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه...»[3] وقص الحق سبحانه علينا قصته مع الخضر عليه السلام. فأحرى بكل عالم مهما بلغ من العلم أن يلزم التواضع، ويراقب قلبه وخواطره، ويخشى إطراء الناس له لئلا يداخله الغرور بما أوتي من علم، وأن يرجع الفضل في جميع الأحوال إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[4]، والعلم نعمة ورزق وفضل من عند الله عز وجل يهبه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، ويفضل سبحانه بعض الناس فيه على بعض.

---

(١) سورة يوسف الآية : ٧٦ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٨٥ .

(٣) سبق تخريجه في «المبحث الثاني ورود القصة في السنة النبوية».

(٤) سورة النحل الآية : ٥٣ .

المفهوم الثاني : العلم سبب ممدود إلى السماء ومُمتَدّ إلى ما لانهاية له فكلما ازداد العبد منه رقى وبلغ الرتب.

مصدر العلم الحقيقي هو الله عز وجل، وعِلْم الله لانهاية له وهو القائل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[2].

من هنا كان على الإنسان مهما أوتي من العلم أن يتطلع إلى المزيد، فهذا كليم الله سيدنا موسى عليه السلام ما إن أخبره الله عز وجل أن هناك من هو أعلم منه حتى جدّ في طلبه رغبة في الازدياد من علمه، وبهذا أمر الله جل وعلا نبينا عليه السلام فقال مرغباً إيّاه في طلب المزيد من العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3] أي: زدني منك علماً، (وما أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا في العلم)[4] وذلك لأن للعلم فضائل عظيمة، وفوائد جليلة، وفيه سعادة البشرية دنيا وأخرى.

فبالعلم يتميز الإنسان عن الحيوان لأنه يستخدم قلبه وبصره وسمعه، أما الحيوان فلا ينتفع بهذه الأمور الثلاثة قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

---

(١) سورة الكهف الآية : ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان الآية : ٢٧ .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٨٥ .

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري (ص ٦٦٧)، وانظر فتح الباري لابن حجر على صحيح البخاري (٤١/١).

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1]

وبالعلم استحق آدم أن يسجد له الملائكة كلهم أجمعون، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ ثم قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[2].

وبالعلم يخشى الإنسان ربه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3].

وبالعلم ينال الإنسان أرفع الدرجات وأعظمها قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[4].

وبالعلم ينال الإنسان الثواب الجزيل والمستمر إلى ما بعد وفاته، قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[5].

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٧٩).

(٢) سورة البقرة الآيات : ٣١ - ٣٤ .

(٣) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

(٤) سورة المجادلة الآية : ١١ .

(٥) أخرجه مسلم في - كتاب الوصية - الحديث (٤١٩٩)، والترمذي في - كتاب الأحكام - الحديث، والنسائي في - كتاب الوصايا - الحديث (٣٦٥٣).

وبالعلم ينشغل الإنسان بعظائم الأمور. قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة»[1].

(وبالعلم تسود الأمم، وترتقى وتعز، وتملك زمام أمورها بل وزمام أمور غيرها. ولذلك فإن الله عز وجل لما اقتضت حكمته أن يجعل أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس وآخر الأمم، وكتابها آخر الكتب السماوية وأن يجعل لها الزعامة والريادة وامتلاك ناصية الكون جعل أول أمر لها في القرآن الكريم الأمر بالقراءة)[2] فقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[3]، ثم أقسم بعد ذلك بالقلم والكتابة فقال سبحانه: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾[4]، يقول الأستاذ سيد قطب - عليه رحمة الله تعالى - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾:

(يقسم الله سبحانه وتعالى بنون، وبالقلم وبالكتابة. والعلاقة واضحة بين الحرف (نون) بوصفه أحد حروف الأبجدية وبين القلم والكتابة، فأما القسم بهما فهو تعظيم لقيمتها، وتوجيه إليها، في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة، في الوقت الذي

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٧ .

(٢) إتحاف الأحباب بقصص سورة الكهف (٢/٣٣٢، ٣٣٣).

(٣) سورة العلق الآيات: ١ - ٥ .

(٤) سورة القلم الآية : ١ .

كان دورها المقدر لها في علم الله يتطلب نمو هذه المقدرة فيها، وانتشارها بينها، لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة، وما من شك أن الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمة الكبرى. ومما يؤكد هذا المفهوم أن يبدأ الوحي بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ وأن يكون هذا الخطاب موجها للنبي الأمي - الذي قدر الله أن يكون أميا لحكمة معينة - ولكنه بدأ الوحي إليه منوها بالقراءة والتعليم بالقلم، ثم أكد هذه اللفتة هنا بالقسم بنون. ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾. وكان هذا حلقة من المنهج الإلهي لتربية هذه الأمة وإعدادها للقيام بالدور الكوني الضخم الذي قدره لها في علمه المكنون)[1].

ولذلك فإن المسلمين الأوائل ما إن علموا تلك المنزلة العظيمة للعلم وللعلماء وما أن علموا ذلك الدور الذي أراد الله عز وجل لهم حتى ضربوا نماذج رائعة في طلب العلم، وتدرجوا في سلمه، متأدبين بآداب السماء، متحملين في سبيل ذلك الشدائد والمصاعب والمشقات، «فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يَرَاهُ رَجُلٌ معه مَحْبَرة فيقول له: يا أبا عبدالله، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين - يعني: ومعك المَحْبَرَة تحملها! فقال: مع المَحْبَرَة، إلى المَقْبَرَة، وقال أيضاً: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر»[2].

---

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٦٥٤، ٣٦٥٥).

(٢) انظر مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٢٦).

وهذا الإمام عبدالرحمن بن القاسم[1] يقيم عند الإمام مالك سَبْعَ عَشْرَة سنة ليس له غرض إلا أخذ العلم، وقد هجر وطنه مصر، وترك زوجه حاملاً، فما رأى ولده إلا شاباً عندما قدم وفد الحج إلى المدينة. يروي هذه القصة القاضي عياض في «ترتيب المدارك» فيقول: قال ابن القاسم: وأَنَخْتُ بباب مالك سَبْعَ عشرة سنة، ما بعت فيها ولا اشتريت شيئاً - أي: كان منقطعاً إلى العلم - فبينما أنا عنده، إذ أَقْبَل حاجٌّ مصر، فإذا شاب متلثِّم دخل علينا، فسلم على مالك، فقال: أفيكم ابن القاسم؟ فأُشيرَ إليّ، فأقْبل يُقَبّل عينيَّ، ووجدت منه ريحاً طيبة، فإذا هي رائحة الوَلَد، وإذا هو ابني، وكان ابن القاسم تَرَك أُمَّهُ حاملاً به، وكانت ابنةَ عَمِّه، وقد خيَّرها عند سفره لطول إقامته، فاختارت البقاء»[2].

وكان هذا دأب أسلافنا من العلماء الصادقين حتى حصّلوا كثيراً من فنون العلم والمعرفة، فامتلكوا حريتهم وكرامتهم، واستردوا للآخرين تلك الحرية المطموسة والكرامة المسلوبة، وانتصروا على أقوى الممالك والملوك في الدنيا كلها، وأصبحت كلمة الذين كفروا السفلى، وأصبحت كرامة المسلمين لاتدانيها كرامة، وعزة المسلمين لاتدانيها عزة. ولاخلاص لهذه الأمة إلا بالرجوع إلى ما كان عليه السلف، من تمسك بكتاب الله الكريم، وبسنة رسوله العظيم ﷺ، وبطلب العلم المفيد النافع، سواء أكان هذا العلم علما دينيا أو علماً دنيويا، المهم أن يكون علما نافعا للإنسان، وتحتاج إليه الأمة الإسلامية، ويزيدها قوة،

(١) هو عبدالرحمن بن قاسم العُتَقي المصري، أحد أصحاب مالك والليث وغيرهما، المولود سنة (١٣٢، والمتوفى بمصر سنة ١٩١) رحمه الله تعالى.

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ٢٥٠).

ومنعة وغلبة، ويعيد لها مجدها، ويجعلها في مصاف الأمم المتقدمة، التي يهاب جانبها، ويحسب حسابها، وبهذا يتحقق لها إن شاء الله تعالى القوة المعنوية بالإيمان، والقوة المادية بالعلوم التي تتعلمها.

وليعلم المسلم أن العلم الدنيوي ليس خصما للإيمان، ولاضراً له، بل هو كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي: (يهدي إليه، ثم يقول: وقد رأينا كثيراً من العلماء الراسخين المنصفين، هداهم علمهم إلى أن وراء هذا الكون قوة عليا تديره وتنظمه، وترعى كل شيء فيه بميزان وحساب ومقدار، ذلك أن العالم أقدر من غيره على استبانة ما في هذا الكون من ترابط وتناسق وإحكام).

يقول الأستاذ «هوشل»: كلما اتسع نطاق العلم زادت البراهين الدامغة القوية، على وجود خالق أزلي، لاحد لقدرته ولانهاية.

ويقول الأستاذ «هربرت سبنسر»: العلم يناقض الخرافات، ولكنه لايناقض الدين نفسه، يوجد في كثير من العلم الطبيعي الشائع روح الزندقة، ولكن العلم الصحيح الذي فات المعلومات السطحية، ورسب في أعماق الحقائق براءة من هذه الروح.

العلم الطبيعي لاينافي الدين، والتوجه إلى العلم الطبيعي عبادة صامتة، واعتراف صامت بنفاسة الأشياء التي نعانيها وندرسها، ثم بقدرة خالقها، فليس ذلك التوجه تسبيحاً شفهياً، بل هو تسبيح عملي، وليس باحترام مدعى، وإنما هو احترام أثمرته تضحية الوقت والتفكير والعمل[1].

---

(١) الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي (ص ٣٢٦ - ٣٢٧).

وعلى هذا فالمسلم مطالب بتعلم العلوم الدينية والدنيوية لما لهما من أهمية قصوى للإسلام والمسلمين أفرادا وجماعات.

المفهوم الثالث : سيدنا موسى عليه السلام أول من سَنَّ الرحلة في طلب العلم.

تحصيل العلم والمعرفة لايتأتى إلاّ بإزعاج النفس، وإجهاد البدن في البحث عن معدنه، والتعرف على أهله وتحمل المشاق في السفر والترحال إليهم، فهذا سيدنا موسى عليه السلام وهو الذي يوحى إليه، وهو كليم الله عز وجل يتلقى علمه عن الباري جلّ وعلا ومع هذا فإنه ما إن علم بوجود من هو أعلم منه حتى يمم شطره غير مبالٍ بالصعاب والمتاعب، فكان سيدنا موسى عليه السلام هو أول من شرع الرحلة في طلب العلم في حدود علمنا.

وجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يؤكد أهمية الرحلة في طلب العلم.

أ - فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

قال الفخر الرازي رحمه الله عند تفسيره للآية السابقة: من عجز عن التفقه إلا بالسفر وجب عليه السفر، فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجباً، إلا أنه لما كان لفظ الآية دليلاً على السفر لاجرم رأينا أن العلم المبارك المنتفع به، لايحصل إلا في السفر[2].

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٢٢ .

(٢) مفاتيح الغيب (٢٢٧/١٦).

وقال عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠...﴾ «وهذا إخبار من موسى عليه السلام لفتاه بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد، والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم، وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك»[1].

وقال القرطبي رحمه الله: (في هذا من الفقه: رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم، وذلك كان دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظِّ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح، فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام)[2].

ب - وفي السنة النبوية عقد البخاري في صحيحه في كتاب العلم باباً خاصاً بذلك أسماه (باب الخروج في طلب العلم) واستفتح هذا الباب بقوله: ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر، إلى عبدالله بن أُنَيْسٍ في حديث واحد. ثم ذكر بعد هذا الكلام مباشرة الحديث الذي ذكر فيه خروج موسى عليه السلام لملاقاة الخضر ليتعلم منه[3].

وعقد باباً آخر في الكتاب نفسه أسماه (باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله)، وذكر فيه حديث عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب

(١) مفاتيح الغيب المرجع السابق (٢١/١٤٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٩١٧).

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب العلم - الحديث (٧٨).

ابن عزيز فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تَزَوَّجَ. فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني، ولا أخبرتني. فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال رسول الله ﷺ: كيف وقد قيل؟ ففارقها عقبة، ونكحت زوجاً غيره»[1].

ويقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «لو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[2].

هكذا كان شأن أصحاب رسول الله ﷺ في تحمل المشاق في طلب العلم، وقد اقتدى بهم واستن بسنتهم التابعون فمن بعدهم، أخرج الخطيب عن أبي العالية قال: كنا نسمع عن أصحاب رسول الله ﷺ فلا نرضى حتى خرجنا إليهم فسمعنا منهم. وقيل لأحمد: رجل يطلب العلم يلزم رجلاً عنده علم كثير، أو يرحل؟ قال: يرحل يكتب عن علماء الأمصار فيشافه الناس ويتعلم منهم»[3].

ثم غدت الرحلة في طلب العلم شعار العلماء عامة وأهل الحديث خاصة حتى زهدوا في علم من لم يرحل، ومن يتتبع تراجم الرواة يأخذه العجب من علو همتهم في التطواف في البلاد لجمع العلم والحديث وإليك بعض النماذج من ذلك:

---

(١) انظر صحيح البخاري - كتاب العلم - الحديث (٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في - كتاب فضائل القرآن - الحديث (٥٠٠٢).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/٢٣٠).

نماذج من الرحلة في طلب العلم:

النموذج الأول : رحلة الحافظ أبي القاسم بن عساكر رحمه الله.

قال المؤرخ القاضي ابن خلكان في «وفيات الأعيان» في ترجمة الحافظ أبي القاسم بن عساكر الدمشقي[1]: «مُحَدِّث الشام في وقته، ومن أعيان الفقهاء الشافعية، غلب عليه الحديث فاشْتَهَر به، وبالغ في طلبه إلى أن جَمَع منه ما لم يتفق لغيره، ورَحَل وطوَّف وجاب البلاد، ولقي المشايخ، سمع ببغداد، ثم رجع إلى دمشق، ثم رَحَل إلى خراسان، ودخل نيسابور وهَرَاة وأصبهان والجبال، وصنف التصانيف المفيدة، فصنف «التاريخ لدمشق» في ثمانين مجلداً[2].

النموذج الثاني : رحلة المُقْرئ المغربي أبي القاسم الهُذَلي رحمه الله[3].

قال ابن الجَزَري: «طاف - أبو القاسم الهُذلي - في طلب القراءات،

---

(١) «هو الإمام الحافظ المحدث الرَّحَّال أبو القاسم (علي بن الحسن بن عساكر) المولود بدمشق سنة (٤٩٩) والمتوفى بها سنة (٥٧١) رحمه الله تعالى وهو مؤَرِّخ مدينة دمشق الشام في ثمانين مجلداً، سوى سائر كتبه الكثيرة الكبيرة، فقد كان هذا الإمام يحافظ على اللحظات من وقته، فجاد على المكتبة الإسلامية بتآليف، تعجز المجامع العلمية اليوم عن طبعها، وقد كتبها وحده، وألفها بيده وقلمه، وحررها وحققها وجمع أصولها، وانتخب منها، ونسقها ورتبها وأخرجها للناس آية باقية ناطقة بأنه كان أعجوبة الأعاجيب، في سعة الحفظ، ووفرة المعرفة، ونفاذ الهمة في القدرة على التأليف، وكثرة المصنفات المدهشة، وحفظ الوقت وكسبه» ا. هـ من كلام الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله في كتاب «صفحات من صبر العلماء ص٣٤٦).

(٢) وفيات الأعيان (١/٣٣٥).

(٣) هو أبو القاسم الهُذَلي البَسْكَري المغربي ثم المشرقي، المولود بالمغرب الأقصى سنة ٣٩٥، والمتوفىّ بالمشرق الأقصى في نيسابور سنة ٤٦٥ رحمه الله تعالى.

فلا أعلم أحداً في هذه الأمة رَحَل في القراءات رحلته، ولالقي من لقي الشيوخ مثله، قال في كتابه «الكامل» في القراءات: فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاث مِئة وخَمسةٌ وستون شيخاً، من آخر المغرب إلى باب فَرْ غانة يميناً وشمالاً وجَبَلاً وبحراً، ولو علمت أحداً يُقَدَّم علي في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته»[1].

وذكرنا هذه النماذج من أجل أن يعلم المسلم أن تحصيل العلم لايكون إلا بجهد وتعب ومشقة سواء أكان هذا التحصيل من بلد المتعلم أم عن طريق الخروج والسفر إلى بلاد أخرى لتحصيل العلم من علمائها وكلياتها وجامعاتها ولذلك فإن على المتعلم أن يتحمل هذه المشاق، وأن يبذل غاية ما في وسعه من أجل التعلم، وأن يكون مخلصا في تحصيل العلم، قاصدا بطلبه العلم نفع نفسه والمسلمين، وابتغاء لمرضاة الله عز وجل، واضعا أمام عينيه ما تحمله سيدنا موسى عليه السلام وما تحمله سلفنا الصالح من جهد ومشقة من أجل حصولهم على العلم.

المفهوم الرابع : الأخذ بالأسباب وإتقانها مع التوكل على الله سبحانه سبيل النجاح في الأمور المهمات والوصول إلى تحقيق الغايات.

في تزود سيدنا موسى عليه السلام وفتاه بزاد يقتاتون به أثناء سفرهم دليل على اتخاذ الزاد والطعام في الأسفار والرحلات، وهذا لا ينافي التوكل، بل هو من باب التوكل، لأنه أخذ بالأسباب التي أمرنا الله عز وجل بالأخذ بها، وهذا

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢/٣٩٧-٤٠١) نقلاً عن عبدالفتاح أبو غدة في صفحات من صبر العلماء (ص ٣٤٢).

فيه رد على أولئك المخدوعين الذين يسافرون دون أن يتزودوا بالزاد مدعين أن ذلك يتعارض مع التوكل، لكنهم في حقيقة أمرهم (متواكلون معطلون للأسباب التي أوجب الله مراعاتها والالتزام بها)[1]. فهذا نبي الله موسى عليه السلام وكليمه قد حرص على اتخاذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد[2].

وفي صحيح البخاري: (عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان أهل اليمن يحجون ولايتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[3]).

وفي تصرف موسى عليه السلام وحرصه على التزود بالزاد نتعلم منه درسا مهما في حياتنا ألا وهو التوكل على الله عز وجل في كل أمورنا وكافة أحوالنا مع الحرص الدائم على أن يكون الأخذ بالأسباب كلها مقترنا بهذا التوكل، في شتى شؤون حياتنا، وفي جميع المجالات، حتى نستطيع تحقيق ما نصبو إليه، وأن نكون في مصاف الأمم التي أخذت بكل الأسباب فتقدمت، وتركنا نحن الأخذ بالأسباب فتقهقرنا وأصبحنا تبعا لغيرنا بعد أن كنا متبوعين، وضعافا بعد أن كنا أقوياء، وفقراء بعد أن كنا أغنياء، ومعتدى علينا بعد أن كنا مرهوبي الجانب، وأذلاء بعد أن كنا أعزة، ومحتاجين لغيرنا بعد أن كان الكل يحتاج منا.

إن الله سبحانه وتعالى أمرنا في كتابه الكريم بالأخذ بالأسباب، كما أمرنا أيضا بذلك رسول الله ﷺ فقد قال الله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم

(١) مع قصص السابقين في القرآن (٢/٢٠٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٩١٨).

(٣) سورة البقرة الآية : ١٩٧، والحديث رواه البخاري في الحج رقم (١٥٢٣)، وأبو داود في المناسك (١٧٣٠)، والنسائي في التفسير (٥٣).

مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1] وهذا الرسول ﷺ قد أخذ بالأسباب في كل شؤون الحياة هو وأصحابه مع توكلهم على الله عز وجل، فقد أعد الرجال والسلاح وخرج مع أصحابه لمحاربة أعداء الله وأوذى في سبيل ذلك مع أنه كان من الممكن أن يجلس في بيته ويقول إني متوكل على الله وما علي إلا أن أدعو الله عز وجل بالنصر، وسوف يستجيب الله لدعائي. لكنه لم يفعل ذلك بل أخذ بالأسباب فنصره الله سبحانه على أعدائه، وأخذ المسلمون في عصورهم المزدهرة بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله فنصرهم الله عز وجل على أعدائهم، وجعل كلمتهم هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وملكوا الدنيا بأكملها ونشروا العدل والمساواة والتسامح. فعم الأمن والأمان والاطمئنان في ربوع العالم ودانت الدنيا بأكملها لهم. وطلبوا وُدَّهُمْ، وتقربوا لهم، فما أحوجنا إلى مثل ما ساروا عليه، وإلى الالتزام بما التزموا به، ما أحوجنا إلى البعد عن الكسل، ما أحوجنا إلى بعث الحياة في نفوسنا كي يعود المجد الضائع، ويعيد التاريخ نفسه، وينمحى الظلم، ونتخلص مما نحن فيه من ذل ومهانة، وينتصر الحق والعدل على قوى البغي والعدوان.

المفهوم الخامس : حسن معاملة الخدم والترفق بهم يشيع المحبة بينهم وبين مخدوميهم ويدعوهم لزيادة البذل والتضحية.

يؤخذ من قول سيدنا موسى عليه السلام لفتاه ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ حسن معاملة الخدم - على رأي من قال بأن فتى موسى كان خادمه - «حيث كان غداؤهما

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

واحدا وجلوسهما على الطعام كان سويا، وفي ذلك من المعاملة ما يأسر قلب الخادم لمخدومه، عن حب، ومودة، وذلك أدب من آداب النبوة، بل من الآداب الإنسانية، قال ﷺ: «لايقل أحدكم عبدي أمتي، وليقل فتاي وفتاتي»[1].

بل سمى رسول الله ﷺ العبيد المملوكين إخوة حيث قال: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولاتكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[2] وهذا يفسر لنا كيف كان سيدنا أنس رضي الله عنه يكتم سر الرسول ﷺ حتى عن أمه التي ولدته، يروى لنا الإمام مسلم في صحيحه عن ثابت عن أنس قال: «أتى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال، فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لاتحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً، قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت[3]»[4].

ويصف لنا أنس بن مالك رضي الله عنه كيف كان يعامله الرسول ﷺ فيقول: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ، ولا لِمَ صَنَعْتَ؟ ولا:

---

(١) رواه البخاري في كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق الحديث (٢٥٥٢)، ومسلم في كتاب الألفاظ الحديث (٥٨٣٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية الحديث (٣٠)، ومسلم في كتاب الإيمان الحديث (٤٢٨٩)، وأبو داود في - كتاب الأدب - الحديث (٥١٥٧)، والترمذي في - كتاب البر والصلة - الحديث (١٩٤٦).

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أنس بن مالك الحديث (٦٣٢٨).

(٤) إتحاف الأحباب بقصص سورة الكهف (٢/٣٤٣).

ألا صنعت»[1]، وفي رواية ثانية «... خدمته في السفر والْحَضَر، ما قال لي لشيء صنعتــهُ لِمَ صنعت هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنع لِمَ لَمْ تَصْنَع هذا هكذا؟!»[2].

فما أحوج المسلمين اليوم لهذه الأخلاق النبوية الكريمة، وهذه المعاملة العظيمة من رسول الله ﷺ لخدمه، فالمسلمون اليوم المعظم منهم يعامل الخدم وكأنهم عبيد لاحول لهم ولاقوة، ولاحقوق لهم، ولذلك فقد حقد الخدم عليهم، ووقع بسبب ذلك فساد كبير، فقد أدى ذلك إلى تأصل وازع الانتقام من الخدم ضد مخدوميهم، لذلك نرى منهم من يسرق مخدومه، أو ينتقم منه في شرفه، وقد يصل الحال إلى القتل وما ذلك إلا بسبب الظلم الذي يتجرعه بعض الخدم من مخدوميهم، ولا من وسيلة لإصلاح هذا الخلل، وعلاج هذا الفساد إلا بالرجوع لديننا الحنيف، والالتزام بالمعاملة الإسلامية الحكيمة للخدم، وقد يكون في حسن معاملة المخدوم لخادمه ترغيب غير المسلمين منهم في اعتناق الإسلام فينال المتسبب في ذلك الثواب العظيم والأجر الجزيل، ثم من الخدم من هم من غير أهل البلاد التي يخدمون فيها فلا يقلل المخدوم من قيمتهم، لأنهم سينقلون لذويهم ما يتعامل به معهم مخدوموهم وبالتالي إما أن ينقلوا صورة حسنة أو صورة سيئة عن أهل البلاد التي يخدمون فيها.

أما على القول بأن فتى موسى لم يكن خادماً بل كان تابعاً له أو قريباً أو غير ذلك فاستعانة سيدنا موسى عليه السلام به أثناء سفره دليل على جواز استخدام

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل رقم (٣٠٣٨).

(٢) رواه مسلم في - كتاب الفضائل - باب كان رسول ﷺ أحسن الناس خلقاً، الحديث (٥٩٦٨).

الآخرين، وطلب إحضار الطعام منهم.

المفهوم السادس : اتخاذ الصاحب في السفر يخفف من عنائه ويعين على ما قد يحدث فيه من نوازل.

في اتخاذ موسى عليه السلام فتاه (يوشع بن نون) رفيقا له أثناء رحلته لملاقاة الخضر عليه السلام حث على اتخاذ الصاحب في السفر، وذلك لأن المسافر يحتاج إلى من يرفع عنه عناء السفر، ويساعده في ترحاله، كما يساعده في حله، ويكون أنيساً له في الطريق، وفي الغربة، كاتماً لأسراره، محافظاً عليه، متحسساً أمره، معتنياً به في كل أموره وفي جميع أحواله.

وكان من هدي نبينا ﷺ اتخاذ الصاحب في السفر، فلما أمر الصحابة بالهجرة من مكة إلى المدينة (كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه - كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «لاتعجل لعل الله يجعل لك صاحباً، فيطمع أبو بكر أن يكونه)[1]، (قالت عائشة رضي الله عنها: فبينا نحن يوماً جلوس في بيتنا في نحر الظهيرة فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مقبلاً متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، قال أبو بكر: فداً له بأبي وأمي والله إن جاء به في هذه الساعة لأمرا فجاء النبي ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال حين دخل لأبي بكر: أخرج من عندك قال: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أذن لي في الخروج، قال: فالصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: نعم)[2] وقد سطر الحق

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (المجلد الأول ص ٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في - كتاب اللباس - الحديث (٥٨٠٧).

جل وعلا هذه الصحبة في كتابه الكريم فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1].

وثبت عنه ﷺ أنه نهى أن يسافر الرجل وحده، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده»[2]. (وتقييده بالليل لأن الخطر بالليل أكثر، فإن انبعاث الشر فيه أكثر، والتحرز منه أصعب، ومنه قولهم: الليل أخفى للويل)[3].

المفهوم السابع : العلم إن لم يقترن بالرحمة قد ينقلب إلى شر ودمار.

ذكر الله عز وجل عند حديثه عن الخضر عليه السلام أنه آتاه رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علما فما العلاقة بين كل من الرحمة والعلم؟ ولماذا قدمت الرحمة على العلم؟.

إن الرحمة كما يقول الدكتور صلاح الخالدي: (هي الأساس الذي يسبق العلم، وهو الجو والبيئة المناسبة، لنفع العلم وخيره وبركته، فإذا نُزِعت الرحمة من العلم، وإذا لم تسبق العلم، ولم تكن تمهيداً وأساساً له، كان العلم شَرًّا وخراباً وتدميراً.

---

(١) سورة التوبة الآية : ٤٠ .

(٢) أخرجة البخاري في - كتاب الجهاد والسير - الحديث (٢٩٩٨)، وأحمد (٢/٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٥٧).

(٣) تحفة الأحوذي (٥/٢٦٠).

ولهذا المعنى قدمت على العلم.

كان علم الخضر ممزوجاً بالرحمة، وكانت الرحمة أرضية مناسبة له، تفاعل معها، ونما من خلالها، فكان علمه نافعاً خَيِّراً مباركاً! بعلمه هذا حفظ السفينة من المصادرة، وبعلمه أراح الوالدَيْن من ابنهما الكافر؛ رجاء أن يعوضهما الله عنه بآخر مؤمن، وبعلمه بنى الجدار للغلامين اليتيمين، وحفظ لهما كنزهما. وهو فعل ذلك لأنه مرحوم بعلمه، فكان علمه مرحوماً كذلك، وكان الآخرون مرحومين بعلمه أيضاً.

وَقُلْ مثل هذا في علوم المسلمين، حيث كانت علومهم المختلفة ممزوجة بالرحمة متفاعلة معها، فنفعت المسلمين، ونفعت معهم الآخرين.

أما إذا نزعت الرحمة من العلم، وإذا لم تسبقه الرحمة، وإذا لم يتفاعل معها، فإنه يكون علماً ضاراً شريراً سيئاً مدمراً مُخَرِّباً.

في ضوء هذا البيان ندرك طرفاً من حكمة تقديم الرحمة على العلم في قوله: ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾.

وفي ضوء هذا البيان ندرك أهمية مزج العلم بالرحمة، وإضفاء العنصر الأخلاقي عليه، ليكون نافعاً خيراً مباركاً مرحوماً[1].

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن (٢/٢٠٨، ٢٠٩). بتصرف.

المفهوم الثامن : جواز الإخبار عن التعب والألم ونحو ذلك، إذا لم يكن صادراً عن ضجر أو سَخَطٍ.

في قول سيدنا موسى عليه السلام لفتاه ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ (دليل على جواز أن يُخْبِر الإنسان بما يجده من الجوع والتعب والألم والأمراض، وأن ذلك لايقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء، لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولاسخط[1]. وهذا الإخبار أحيانا أو غالبا ما قد تكون له فوائد من أهمها الترويح عن النفس، والتخفيف من عنائها، وقد يكون الألم أو التعب نفسيا، ومن نخبره به يتسم بالحكمة، فيتكلم مع المتألم أو المريض بأسلوب يدفع عنه أَلَمَهُ أو مرضه، وقد تكون هناك بعض المشاكل فيشكوا صاحبها لمن تستريح نفسه إليه فيشير عليه بما يكون سببا في حل مشكلاته.

ويدل لجواز الإخبار عن الألم والمرض ما ورد في الصحيحين عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعَكُ، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً. قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك بأن لك أجرين، قال: أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحطّ الشجرة ورقها»[2].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩١٨/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢١٥/٣).

(٢) أخرجه البخاري في - كتاب المرضى - الحديث (٥٦٤٨)، ومسلم في كتاب - البر والصلة - الحديث (٦٥٠٤).

المفهوم التاسع : الأدب في طلب العلم والتواضع للأستاذ من أبهى الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم ليبارك له في علمه.

ينبغي على المتعلم لزوم الأدب في طلب العلم، والتواضع للأستاذ، وإظهار الافتقار إلى ما عنده من علم، ومخاطبته بِأَلْيَنِ العبارات، وأحسنها أدبا وألطفها تعبيرا، وأرقها عرضا. كما فعل سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام فقد خاطبه بأسلوب يتسم بالأدب واللطف في التعبير، والرقة في العرض، قائلا له بصورة الاستفهام الاسترحامي اللطيف (هل)، ثم بين له أنه سيكون تابعا له، وليس ندا له، ولا متعالما عليه، فقال (أتبعك)، كما بين له الهدف من هذا الاتباع قائلا (أن تعلمني مما علمت).

وهكذا ينبغي على طالب العلم أن يكون متأدبا مع شيخه ليرزقه الله العلم النافع، ويبارك له فيه، فيكون فيه الخير والرحمة له وللآخرين.

وبعض طلبة العلم اليوم لايراعون أدب الطلب، فإذا قرأ الواحد منهم مسألة أو مسألتين، وحفظ حديثا أو حديثين، ظن نفسه عالما مجتهدا، يجب أن يشار إليه بالبنان، (فيتعالم) على العلماء، ويظهر نفسه على حسابهم، فيعمل على ذمِّهم، وانتقاصهم. ومن يُحْرم أدب الطلب يحرم الخير كله)[1].

وللفخر الرازي رحمه الله تعالى كلام نفيس استنبطه من قول سيدنا موسى للخضر عليهما السلام: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[2]. فقد قال: اعلم أن هذه الآيات تدل على أن

(١) مع قصص السابقين في القرآن (٢/٢١١).

(٢) سورة الكهف الآية : ٦٦ .

موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر.

فأحدها: أنه جعل نفسه تبعاً له لأنه قال: (هل أتبعك).

وثانيهما: أنه استأذن في إثبات هذه التبعية فإنه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك، وهذه مبالغة عظيمة في التواضع.

وثالثها: أنه قال (على أن تعلمني مما) وصيغة (مِنْ) للتبعيض فطلب منه تعليمه بعض ما علمه الله، وهذا أيضا مشعر بالتواضع كأنه يقول له لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله.

ورابعها: أن قوله (مما علمت) اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم.

وخامسها: أن قوله (رشدا) طَلَبٌ منه للإرشاد والهداية، والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال.

وسادسها: أن قوله (تعلمن مما علمت) معناه أنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به، وفيه إشعار بأن يكون إنعامك عَلَيّ عند هذا التعليم شبيها بإنعام الله تعالى عليك في هذا التعليم، ولهذا المعنى قيل أنا عبد من تعلمت منه حرفا[1].

وفي رد سيدنا موسى على الخضر عليهما السلام بقوله له: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ ما ينبىء عن كمال

(١) مفاتيح الغيب (٢١/١٥١، ١٥٢).

أدب منه، وحسن تلطف مع العلماء، وقوة عزيمة في حمل النفس على ما تكره، ابتغاء العلم النافع. وفي وعده للخضر عليهما السلام بالصبر بقوله ستجدني صابرا مبالغة عظيمة لا توجد في قوله: (سأصبر) لو عبر به، فكأنه يقول للخضر: إنني قد وطنت نفسي من الآن، وأعددتها إعدادا تاما لما سيكون في المستقبل، بحيث لو وقع ناظري على شيء تستبعد صبري عليه، لوجدتني عليه صابرا، لا أنني سأحدث صبرا غير موجود بعد مشاهدتي[1]. وهكذا ينبغي على طالب العلم، فإن عليه أن يصبر على ما يبدو له وأمامه من أستاذه حتى يفسر له أستاذه تلك الأمور، ولايتسرع في الحكم على شيخه بأحكام قد تكون ظالمة، لأن الطالب مهما بلغ من العلم فإنه لن يصل إلى درجة أستاذه المشهود له بالعلم والمعرفة.

ولكن مما يؤسف له اليوم أن نرى طلاب علم يَتَّسِمون بالجهل وقلة الفهم والإدراك ثم هم رغم ذلك يجعلون أنفسهم فوق شيوخهم، ويحكمون عليهم بالجهل، أو بأنهم مفرطون في دينهم، وفي هذا دليل على شدة جهلهم، وغرورهم، وقلة أدبهم.

وفي قول سيدنا موسى للخضر عليهما السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۝٦٩﴾ تواضع شديد، وإظهار للتحمل التام والتواضع الشديد، وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى الغايات[2]، ويظهر هذا التواضع في إقباله على شيخه، وليعلم يقينا أن من فَقَدَ التواضع وتلبس بالكبر فاته من العلم الشيء الكثير، إن لم نقل فاته أن

---

(١) إتحاف الأحباب (٢/٣٥٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٢١/١٥٣).

يتعلم أي شيء يجهله وهو يحتاجه، قال الإمام مجاهد رحمه الله (لايتعلم العلم مستحٍي ولا متكبر)[1] وذلك لأن الحياء يمنع صاحبه أن يسأل عما ينفعه أو يتعلم ما يحتاجه، و هذا الحياء مذموم لأنه يؤدي إلى ترك أمر مشروع وهو التعلم، أما الحياء الممدوح فهو الذي لايمنع صاحبه من أن يسأل عما يجهله، ولهذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياءُ أن يتفقهن في الدين)[2]. وكما لايتعلم العلم المستحي، كذلك لايتعلم العلم متكبر، لأن التكبر يمنعه من أن يسأل غيره عما يجهله، أو يطلب منه أن يعلمه، لأنه أقل منزلة ممن يسأله أن يعلمه، وفي هذا - حسب تقديره- منقصة في حقه فيظل على جهله، ولا يتعلم ما ينفعه ويحتاج إليه[3].

من هنا فإنه كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله: ليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة[4]، نالت مطرا غزيرا، فتشربت جميع أجزائها، وأذعنت بالكلية لقبوله[5].

المفهوم العاشر : ينبغي على طالب العلم أن يصحح النية والهدف فيبتغي العلم الذي يهدي إلى الرشد والخير.

إن هدف سيدنا موسى عليه السلام من طلب العلم والتعلم على يد الخضر عليه السلام هو تحصيل الرشد ليكون راشداً رشيداً، وتعلم العلم النافع الصحيح الذي يوجد عنده الرشد، ويجعله يتعامل مع الناس برشد، ويعيش بينهم برشد. وهذا

(١) أورده البخاري تعليقا في كتاب العلم - باب الحياء في العلم - (ص٣٤)، ط دار السلام.
(٢) أخرجه البخاري في - كتاب العلم - الحديث (١٣٠).
(٣) المستفاد من قصص القرآن (١/٣٩٧، ٣٩٨).
(٤) دمثة: أي: لينة سهلة.
(٥) إحياء علوم الدين باب آداب المتعلم والمعلم (١/٥٠).

القصد الذي قصده سيدنا موسى عليه السلام حين تتلمذ على يد الخضر ينبغي أن يقصده كل متعلم، أن يتعلم ليكون راشداً رشيداً وأن يتعلم العلم النافع الصحيح الذي يوجد عنده الرشد.

لكنه للأسف الشديد فإن بعض طلبة العلم يجعلون التعلم بحد ذاته غاية وأملا، يريدون أن يتعلموا، فيرفعوا شعار (التعلُّم للتعلُّم والعلم للعلم) وبعضهم يتعلم العلم الذي يوصل للشر والضرر، أو يدفع لأخلاق قبيحة، أو لصفات سيئة، أو يتعلموا العلوم التافهة الهزيلة المرذولة، ويضيعون فيها الكثير من الأموال والأوقات والمواهب والقدرات والطاقات، وهؤلاء وغيرهم يعلمهم سيدنا موسى عليه السلام أن يكون طلبهم للعلم والتعلم وسيلة إلى غاية شريفة وهي الحصول على الرشد وتحقيقه.

وأن يكون علماً منتجاً للرشد، حتى يكون شجرة طيبة مباركة، فتثمر الثمار الطيبة النافعة، وتقود إلى العمل وحسن التصرف[1].

المفهوم الحادي عشر: ينبغي على المتعلم إذا وثق من تمكن أستاذه وتبحره في العلم أن يلزم الصبر، ولا يكثر الاعتراض والجدل، لئلا يفسد العلاقة بينهما.

إن علم الخضر عليه السلام ليس هو العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج، إنما هو جانب من العلم اللدني بالغيب، أطلعه الله عليه بالقدر الذي أراده، للحكمة التي أرادها، ومن ثم فلا طاقة لسيدنا موسى عليه السلام بالصبر على

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن (٢/٢١١، ٢١٢) بتصرف.

الرجل وتصرفاته، ولو كان نبياً رسولاً. لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولابد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة، وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار. لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتى العلم اللدني على موسى ألا يصبر على صحبته وتصرفاته[1]. ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

إن المتعلم على قسمين: متعلم: ليس عنده شيء من العلم ولم يمارس القيل والقال، ولم يتعود التقرير والاعتراض.

ومتعلم: حصل على العلوم الكثيرة، ومارس الاستدلال والاعتراض، ثم إنه يريد أن يخالط إنساناً أكمل منه ليبلغ درجة التمام والكمال، والتعلم في هذا القسم الثاني شاق شديد، وذلك لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً فربما كان ذلك بحسب الظاهر منكراً إلا أنه كان في الحقيقة حقاً صواباً، فهذا المتعلم لأجل أنه ألف القيل والقال، وتعود الكلام والجدال يغتر بظاهره، ولأجل عدم كمال علمه لايقف على سره وحقيقته، وحينئذ يقدم على النزاع والاعتراض والمجادلة، وذلك مما يثقل سماعه على الأستاذ الكامل المتبحر، فإذا اتفق مثل هذه الواقعة مرتين أو ثلاثة حصلت النفرة التامة، والكراهية الشديدة، وهذا هو الذي أشار إليه الخضر بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ إشارة إلى أنه ألف الكلام، وتعود الإثبات والإبطال والاستدلال والاعترض.

وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[2] إشارة إلى

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢٧٩).

(٢) سورة الكهف الآية : ٦٨ .

كونه غير عالم بحقائق الأشياء كما هي. ومتى حصل الأمران صعب السكوت، وعسر التعليم، وانتهى الأمر بآخرة[1]. - يعني نهاية الأمر وعاقبته - إلى النفرة والكراهية وحصول التقاطع والتنافر[2].

المفهوم الثاني عشر: من صفات النفس البشرية أنها جبلت على حب الاستطلاع فعلى المسلم الإفادة من ذلك في الأمور النافعة والبعد عما لايعني.

بين الخضر لسيدنا موسى عليهما السلام أنه لن يصبر إذا صاحبه لأنه سيرى أفعالاً وتصرفات في ظاهرها غريبة، وهو لايعرف حقيقتها، ولذلك فسينكر عليه تلك الأفعال، ولن يصبر على السير معه، وأكد على ذلك بالمؤكدات السابقة، ثم قدم له تعليلاً لذلك بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ وفي هذا التعليل إشارة إلى صفة من صفات النفس الإنسانية فحواها أن الله جلت قدرته قد فطر النفس الإنسانية على حب الاستطلاع، فالإنسان يحب أن يعرف ما يدور حوله، وأن يتعرف على ما يراه ويسمعه، ولذلك يُكثر من الأسئلة والاستفسارات، ليكتسب علوماً ومعارف جديدة. فإذا ما رأى أشياء لم يفهمها، فإنه يسارع إلى الإنكار والاعتراض، أو على الأقل يطلب التوضيح والبيان.

إن طبيعة الإنسان أن لايسير هكذا، ملغياً عقله وفكره، ولذلك لايصبر على ما لم يفهمه، ولايسكت على ما لم يستوعبه. وهذا ما عرفه الخضر من

---

(١) في مفاتيح الغيب (١٥٢/٢١) بالآخرة.

(٢) مفاتيح الغيب (١٥٢/٢١).

طبيعة النفس الإنسانية، ولذلك قال لموسى عليه السلام: شيء أُمرتُ به، إذا رأيته أنت لم تصبر عليه لأن نفسك لم تقف على حقيقته، وعقلك لم يستوعبه لأنك لم تحط به خبراً، فتظنه أمراً يدعو إلى الإنكار[1].

المفهوم الثالث عشر: الاستعانة بالله في جميع الأعمال، ورد المشيئة إليه دائماً.

يجب على المتعلم خصوصاً والمسلم عموماً أن يستعين بالله عز وجل على الأعمال، وتقديم المشيئة، وتعليق الوعد بالمشيئة، للتيمن وذلك تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾[2]. وكما فعل سيدنا موسى عليه السلام عند إجابته الخضر عليه السلام فقد قال له:

﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[3] فقد علق الوعد بالمشيئة إما طلباً لتوفيقه في الصبر، ومعونته، أو تيمناً به، أو علماً منه بشدة الأمر وصعوبته، وذلك لأن الصبر من مثله عند مشاهدة الفساد شيء لايطاق[4]. وهناك فائدة أخرى من الاستثناء بمشيئة الله تعالى هي: أن (هذا الضرب من الاستثناء يدخل لرفع حكم الكلام حتى يكون وجوده وعدمه سواء، وذلك لأن الله تعالى ندبه الاستثناء بمشيئة الله تعالى لئلا يصبر كاذباً

(١) من قصص السابقين في القرآن (٢/٢١٣، ٢١٤) بتصرف.

(٢) سورة الكهف الآيات: ٢٣ - ٢٤.

(٣) سورة الكهف الآية: ٦٩.

(٤) إرشاد الساري (٧/٢١٩) وتنوير الأذهان من تفسير روح البيان (٢/٣٩٤).

بالخلف، ولذلك لما لم يصبر سيدنا موسى عليه السلام كما وعد فلم يك كاذباً، لوجود الاستثناء في كلامه، فدل على أن معناه ما وصفنا من دخوله في الكلام لرفع حكمه فوجب أن لايختلف حكمه في دخوله على اليمين، أو على إيقاع الطلاق أو على العتاق، وقد روى أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فقال: إن شاء الله فلا حنث عليه»[1] وفي بعض الألفاظ (فقد استثنى)[2] قال أبو بكر: ولم يفرق بين شيء من الأيمان فهو على جميعها[3].

المفهوم الرابع عشر: المسلم مجبول على عمل الخير فإذا رأى مجالاً للعمل الخيري بادر إليه ولم ينتظر إذناً أو مكافأة.

في إقامة الخضر عليه السلام للجدار دون أن يطلب منه أحد ذلك، ودون أن يتفق مع أحد على إقامته، ودون أن يتفق على أجر مقابل عمله فيه دليل على أن المسلم راغب دائماً في عمل الخير، حريص على تقديم المساعدة للآخرين، ولو لم يطلبوا منه ذلك، إن المسلم خير فاعل معطاء نشيط اجتماعي.

ويوحي هذا العمل أن فعل الخير التطوعي لايحتاج إلى إذن أو اتفاق أو انتظار مكافأة، فطالما أن أمام المسلم فرصة للخير والمساعدة فلينتهزها وليقم بها.

وفي إقامة الخضر للجدار أيضاً دليل على أنه ينبغي على المسلم أن

---

(١) أخرجه الترمذي في - كتاب النذور والأيمان - الحديث (١٥٣١).

(٢) أخرج هذه الرواية أبو داود في - كتاب الأيمان والنذور - الحديث (٣٢٦١).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٥/٤١) بتصرف.

لايقابل الإساءة بمثلها، بل يعفو ويصفح، ويكرم ويحسن. قال الله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم»[2] وجدير بالذكر أن العفو عن الظالم يكون مشكوراً لصاحبه إذا كان قادراً على رده.

المفهوم الخامس عشر: الصبر أعظم وسيلة لبلوغ الرتب العالية والمنازل السامية، وفقده يفوت الخير الكثير.

استهل الخضر عليه السلام جوابه لسيدنا موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾. وفي ذلك إشارة إلى أن نيل المطالب يحتاج إلى صبر وجلد، وكأن عقبات الصبر لا تنتهي، وأنها تزداد كلما كانت الهمم عالية فهي تدريب قاس لشحذ الهمم، والرفع من شأنها، حتى لا تعود تستعظم أمراً مهما شق أو كبر، ولما للصبر من منزلة ومكانة في الشرائع فسوف نخصه بشيء من التفصيل.

فالصبر من الصفات المهمة التي يجب على المسلم التحلي بها، ولأهميته فإن الله عز وجل قد تناوله بالحديث في القرآن الكريم (في نيف وسبعين

(١) سورة فصلت الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٠١/٤).

موضعاً، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له)[1].

والصبر لا غنى للعبد عنه في أي حال من أحواله.

فالعبد يحتاج إليه في تأدية الطاعات، وفي البعد عن المعاصي، وفي العفو عن المسيء مع القدرة على الرد بالمثل، وفي الصبر على المصائب والبلاء وغير ذلك من الأمور التي تعرض للإنسان في حياته (والصبر من عناصر الرجولة الناضجة، والبطولة الفارعة، فإن أثقال الحياة لايطيقها المهازيل، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله، لايستأجر أطفالاً، أو مرضى، أو خواريف، إنما ينتقى له ذوي الكواهل الصلبة، والمناكب الشداد، كذلك الحياة: لاينهض برسالتها الكبرى، ولاينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة، وأبطال صابرون.

ومن ثم كان نصيب القادة من البناء والبلاء مكافئاً لما أوتوا من مواهب، ولما أدوا من أعمال)[2].

سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، ما عليه خطيئة»[3].

---

(١) إحياء علوم الدين (٦٠/٤) طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي، مصر.

(٢) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي ص ١٦١، الطبعة السابعة، دار الكتب الحديثة مصر (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).

(٣) رواه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، الحديث (٢٣٩٨)، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

والصبر يعتمد على حقيقتين خطيرتين:

أولاهما: تتعلق بطبيعة الإيمان.

فالإيمان صلة بين الإنسان وربه - ولابد أن يخضع إيمان المرء للابتلاء الذي يمحصه، فإما كشف عن طيبها وإما كشف عن زيفها قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[1].

والركيزة الثانية: تتعلق بطبيعة الحياة الدنيا التي نعيشها، تلك الحياة التي لم يجعلها الله عز وجل دار جزاء وقرار، بل جعلها دار تمحيص وامتحان، فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج فيها المرء من امتحان ليدخل في امتحان آخر. قد يكون مثل سابقه، أو مغايرا له، مثلما يصهر الحديد في النار ثم يرمى به بعد ذلك في الماء[2] وهذا ما عناه الله بقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[3] وما فهمه سليمان عليه السلام عندما رزق التمكين الهائل فيها فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾[4].

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٢، ٣ .

(٢) خلق المسلم ص ١٥٨، ١٥٩، بتصرف.

(٣) سورة الأنبياء الآية : ٣٥ .

(٤) سورة النمل الآية : ٤٠ .

إذا اتضح للمرء ذلك كان الطريق أمامه نورا، ولذلك قال الرسول ﷺ: «والصبر ضياء»[1] فليصبر وليحتسب، وليعلم أن جزاء الصبر عظيم، وثوابه جزيل لا حدود له. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[2].

والصبر وسيلة لتكفير الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب (أي: تعب)، ولا وصب، (أي: مرض) ولاهم، ولاحزن، ولا أذى، ولاغم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[3].

وهو وسيلة لبلوغ المراتب العالية، والمنازل السامية قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده أو ماله، أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل»[4].

والصابرون عليهم صلوات من ربهم ورحمة كما قال الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[5].

إذا كان الأمر كذلك، وإذا كانت هذه منزلة الصابرين فالأحرى بالمسلم أن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء، الحديث (٥٣٣)، والترمذي في - كتاب الطهارة - الحديث (٣٥١٧).

(٢) سورة الزمر الآية : ١٠ .

(٣) رواه البخاري في كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض، الحديث (٥٦٤٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٢/٥).

(٥) سورة البقرة الآية : ١٥٧ .

يلتزم بفضيلة الصبر ولا يحيد عنها حتى لايفوته الخير الكثير، والجزاء الجزيل.

وليس أدل على فوات الخير الكثير عند فقدان الصبر أن موسى عليه السلام لما لم يصبر مع الخضر قطع الخضر معه الرحلة والصحبة ففاته وفاتنا خير كثير. قال عليه الصلاة والسلام: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقصّ الله علينا من خبرهما»[1].

المفهوم السادس عشر: على المسلم أن يبعد نفسه عن مواطن التهم، وإن وقع منه ما يوهم ذلك فعليه أن يبينه.

في قول الخضر لسيدنا موسى عليهما السلام: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ تنبيه لكل من يفعل شيئاً يظن الناس بسبب هذا الفعل فيه ظناً سيئاً بأن يوضح لهم سبب تصرفه هذا، حتى يزيل هذا الشك والظن من عقولهم، ويبرىء نفسه من الاتهامات التي يكيلها بعض الناس للآخرين جزافاً دون تيقن، لأن كثيراً من الناس يبنون أحكامهم على ظواهر الأشياء لعدم علمهم ببواطن الأمور وحقائها.

ولذلك فإن الرسول ﷺ كان يقف يوماً مع صفية زوجته فمر عليه بعض الصحابة فأخبرهم بأن التي يقف معها زوجته صفية، حتى لايظنوا فيه سوءاً رغم أنه رسول الله ﷺ الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ ووصفته السيدة عائشة بقولها: «كان خلقه القرآن».

---

(١) سبق تخريجه.

من هنا فإنه من الواجب على المسلم والمسلمة أن لا يضعوا أنفسهم في مواطن الشبهات، وأن يبرءوا ساحاتهم من أي ظن سيىء يظن بهم حتى تكون راياتهم بيضاء ناصعة لاتمس بأذى.

المفهوم السابع عشر: المسلم مدعو لرفع الظلم ومساندة المظلومين بالحكمة، والوسائل في ذلك كثيرة ومتاحة.

إن ما قام به الخضر عليه السلام من خرق للسفينة إنما كان لرعاية أصحابها المساكين الذين يعجزون عن المحافظة عليها من ظلم الملك الذي كان يأخذ كل سفينة صالحة غصباً. وفي هذا تنبيه للمسلمين عموماً ولأولي الأمر منهم خصوصاً في كل بقاع العالم على المسارعة لإنقاذ المضطهدين من المسلمين الذين يتعرضون لحملات شرسة، واعتداءات صارخة، سواء أكانت اعتداءات جسدية، أو اقتصادية، أو فكرية، أو احتلال لأرضهم، أو إذلال أو غير ذلك.

وعن هذا يقول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي المسيء ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعنكم كما لعنهم»[1].

وقال أيضاً: «لا قُدِّسَتْ أمةٌ لا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في - كتاب الملاحم - باب الأمر والنهي - الحديث (٤٣٣٦)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٤٨/٨) واللفظ له، والطبراني في الكبير (٢٧/٩) قال الهيثمي في المجمع (٢٦٩/٧): رواه الطبراني ورجاله ورجال الصحيح. ومعنى (لتأطرنه على الحق أطرا) أي: لتقصرنه على الحق قصرا أي لتحبسنه عليه وتلزمنه إياه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في - كتاب الأحكام - الحديث (٢٤١٧)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٧٧/١): إسناده صحيح، رجاله ثقات. وأخرجه أيضا أبو يعلى (٣٤٤/٢) =

فالمسلم مدعو لرفع الظلم عن المظلومين، فإن لم يكن قادرا على الأخذ على يد الظالم فعليه أن يحتال لذلك بأي طريقة كانت، والوسائل في ذلك كثيرة ومتنوعة، ولن يعدم المصلح أن يجد حيلة إن كان همه السعي في مصالح العباد ورفع المعاناة عنهم، فالخضر عليه السلام مع ما هو عليه من العلم والتمكين من الله لكنه يعلمنا الحكمة في كيفية رفع الظلم والمعاناة عن الضعفاء، فاحتال هذه الحيلة وهي خرق السفينة بما لا يفسدها بل يجعلها معيبة فصرف الظلم بذلك عن هؤلاء المساكين دون أن يحدث أي ردود فعل مضاعفة، أو يوقع في المجتمع بلاء أشد من هذا الظلم... وفي هذا التصرف أيضا إرشاد للمصلحين أن يأخذوا بقاعدة (ارتكاب أخف الضررين) عند معالجة الأمور ومحاولة الإصلاح.

ومن هنا (فإن الإسلام يوجب إقامة الحدود للحفاظ على الأمة والدين والأخلاق، فقتل القاتل، ورجم الزاني، وقطع السارق، في ظاهره إفساد وإرهاق للأرواح، لكنه ضروري للحصول على الإصلاح)[1].

المفهوم الثامن عشر: الفطر السليمة في كل عصر تهفو إلى الكسب الشريف، وتأبى التسول والاستجداء.

كان المساكين أصحاب السفينة يعملون في البحر للحصول على ما يسد حاجتهم، ويبذلون في سبيل ذلك جهدهم، ويفرغون وسعهم لرفع المسكنة عن

= الحديث (١٠٩١)، والطبراني في الكبير (٣٨٧/١٩) الحديث (٩٠٨)، والبيهقي في الكبرى (٩٤/١٠).

(١) مع قصص السابقين في القرآن (٢٢٠/٢).

أنفسهم ولم يتقاعسوا عن العمل، ولم يمتهنوا مهنة التسول، بل تعففوا، وهذا هو ما أمرنا الإسلام به.

فقد نهانا عن التسول، والتطفل على موائد الناس، وأمرنا بالكد، وبذل الجهد، والعمل للحصول على المال الذي نسد به حاجتنا، وحاجة من نعولهم، حتى نكون في غنى عن سؤال الناس، كما قال رسول الله ﷺ: «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول»[1].

وقال ﷺ: «ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم ولا يسألون الناس إلحافا»[2].

المفهوم التاسع عشر: ينبغي مراعاة الأدب مع الله تعالى فننسب له كل خير ونثني عليه، وننزهه عن نسبة الشر إليه.

من لطائف التعبير القرآني عن القصة ما قاله الخضر لسيدنا موسى عليهما السلام، وهو يعلل له الأفعال التي قام بها، حيث عبر عن الإرادة بثلاث حالات.

فقد عبر عن خرقه السفينة بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وعبر عن قتله

(١) رواه مسلم في - كتاب الزكاة - الحديث (٢٣٩٧)، والترمذي في - كتاب الزكاة - الحديث (٦٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في - كتاب التفسير - باب لا يسألون الناس إلحافا الحديث (٤٥٣٩)، أخرجه مسلم واللفظ له في - كتاب الزكاة - الحديث (٢٣٩١) وأخرجه النسائي في - كتاب الزكاة - الحديث (٢٥٧٠).

الغلام ورغبته في مجيء غلام صالح بدله، بقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

وعبر عن بنائه الجدار لحفظ الكنز إلى أن يكبر الغلامان اليتيمان بقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ فجاءت الإرادة في هذه الصور: أردت. أردنا. أراد ربك. حيث أسند الفعل الماضي أول مرة إلى الخضر ﴿أَرَدتُّ﴾ وأسند نفس الفعل في المرة الثانية إلى الله وإلى الخضر ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ أما في المرة الثالثة، فقد أسند الفعل نفسه إلى الله وحده ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

وإذا حاولنا تسجيل ما يبدو لنا من حكمة حول ذلك نقول:

١ - هناك تدرج في المرات الثلاث، حيث يرتقى في كل مرة إلى صورة أخرى، فنسب الإرادة إلى نفسه أولا. ثم نسبها إلى الله وإليه ثانيا، وأخيراً نسبها إلى الله وحده.

٢ - الاختلاف في النسبة حسب الحالة التي يتحدث عنها، ويتفق مع الأدب مع الله، ومع إيحاءات الإيمان وتقريراته.

أسند الإرادة إلى نفسه أولا، لأن خرق السفينة أمر غير مقبول، وتخريب، حسب الظاهر - ولعله لهذا المعنى، لا يليق أن تسند هذه الإرادة إلى الله. ولا يليق أن يقال (أراد ربك أن يعيبها) ومن هذا القبيل أدب سيدنا إبراهيم عليه السلام في إخباره عن الله عندما قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى

﴿ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١﴾[1] حيث أسند كل الأفعال إلى الله إلا المرض فإنه أسنده إلى نفسه، مع أن الله هو الذي بيده الفعل. وبهذا الأسلوب عبر الجن أيضاً، حينما قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾[2].

أما في المرة الثانية، فإن الأنسب هو إسناد الإرادة إلى الله تعالى وإلى الخضر عليه السلام. فقد أسندت الإرادة إلى الله عز وجل على اعتبار أن الله وحده هو القادر على تحقيق ذلك وهو سبحانه وتعالى يريد إبدال الوالدين خيراً من الغلام زكاة وأقرب رحما، وأسندت إلى الخضر لأنه هو الذي تولى عملية القتل، وهو يريد أن يعوض الله والدي الغلام من هو خير منه، إذن للخضر إرادة في ذلك العوض أيضاً.

أما في المرة الثالثة، فإن الإرادة أسندت إلى الله وحده، والسياق يحدد أنها لا تُنْسَب إلا إلى الله وحده، لأنه لا أحد يقدر على تحقيق الإرادة فيها إلا الله وحده، فالمستقبل بيد الله وحده، والعمر بيد الله وحده، وإذا أراد الله شيئاً فإنه سيقع لا محالة، لأن ما أراد الله فلابد أن يكون[3]. وفي هذا تعليم للعباد الأدب مع الله تعالى، بأن ننسب الخير إليه تعالى، ونثني عليه بما هو أهله، وأن ننزهه تعالى عن نسبة الشر إليه، فإنه تعالى لا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة.

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ٧٨ - ٨١ .

(٢) سورة الجن الآية : ١٠ .

(٣) فتح الباري (٣٢١/٨) بتصرف، والجامع لأحكام القرآن (٣٩/١١، ٤٠) بتصرف، ومع قصص السابقين في القرآن (٢٣٣/٢-٢٣٥).

المفهوم العشرون : إن الله يحفظ العبد الصالح في نفسه وفي ولده.

إن صلاح الآباء ينفع الأبناء والذرية كلها، إن كان الأبناء مسلمين مثل الآباء، وقد وردت الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، من ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾[3].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى معلقاً على قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ «فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحفَظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم، في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة، في الجنة، لتقر عينه بهم، كماجاء في القرآن، ووردت السنة به. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاحاً»[4].

ويقول القرطبي معلقاً على نفس القول الكريم: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ «ففيه ما يدل على أن الله تعالى يَحْفظ الصالح في نفسه، وفي ولده، وإن

---

(١) سورة الطور الآية : ٢١ .

(٢) سورة النساء الآية : ٩ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٩٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٨٣/٥).

بعدوا عنه»[1].

وفي هذا عبرة لأولئك الذين يفسدون ويعربدون في الأرض، ويتكسبون أموالاً من أعمال غير مشروعة كالسرقة والنهب والرشوة وغير ذلك مما حرمه الله عز وجل، بحجة أنهم يعملون لتأمين مستقبل أولادهم، حتى ولو كان ذلك من طرق غير مشروعة.

المفهوم الحادي والعشرون : ينبغي على المرء أن لا يتعجل بإنكار ما لم يستحسنه، فلعل فيه سراً لا يعرفه أو ربما تعرض لمثله ففعله.

لا ينبغي أن يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه، فلعل فيه سراً لا يعرفه، فإن صبر عليه علم تأويله أو فهمه على مراده، فلا ينبغي أن ينكر شيئاً، بل عليه أن يتأنى حتى يعلم حقيقة الأمر، فقد أنكر سيدنا موسى عليه السلام على العبد الصالح أن خرق السفينة، وتعجب أن تحمل السفينة أهلها وبها خرق، على الرغم من أنه عليه السلام حين وضعته أمه في اليم وهو رضيع في صندوق من الخشب صُنِع على عجل، نجاه الله في مكانٍ الهلاك فيه محقق، ولو أن الإنسان تأمل أكثر، لعلم أن من في السفينة قد يتعلق بأحد الألواح، أو يستطيع الغوص فينجو، ولكن الرضيع لا أمل له في ذلك.

فالذي نجى الرضيع من الغرق. وهو لايملك الأسباب. قادر على أن ينجي أهل السفينة، وهم يمتلكون الأسباب، وأنكر سيدنا موسى عليه السلام على العبد الصالح قتل الغلام، وتعجب كيف يقتل ولا يؤاخذ، مع أنه عليه السلام قتل ولم يؤاخذ،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٨، ٣٩).

قال سبحانه: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[1] فكيف ينكر عليه القتل وقد قتل، ولم يعاقبه الله على فعله، قال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾[2] وأنكر عليه أن يبني الجدار بغير أجر، مع أنه عليه السلام سقى لابنتي الرجل الصالح، ولم يطلب على سقيه أجراً، مع أنه كان أحوج للأجر من العبد الصالح، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[3] ولذلك ينبغي أن لا يعجل المرء بل عليه أن يتريث حتى لاينكر شيئا هو يفعله[4].

المفهوم الثاني والعشرون : على المسلم أن يوقن أنه إذا استسلم لله وانقاد إليه أنه مرحوم في كل ما يصيبه من قدر الله تعالى.

بعد أن كشف الخضر لسيدنا موسى عليهما السلام سر أفعاله الثلاثة عقب على أفعاله بأنها رحمة من الله فقال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

---

(٢) سورة القصص الآية : ١٥ .

(٢) سورة القصص الآية : ١٦ .

(٣) سورة القصص الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .

(٤) صحيح القصص في العقيدة والمنهج، لأبي عبدالأعلى خالد بن محمد بن عثمان ص ١٢٢، ١١٣ .

(وذكر الرحمة الربانية هنا له دلالته وإيحاؤه، كما أنه مرتبط في أول القصة، عندما أخبر الله عن الخضر ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ فأفعال الخضر الثلاثة مسبوقة برحمة الله ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ ومختومة بالرحمة الربانية ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ وهذا يعني أنها مظهر من مظاهر رحمة الله.

فخرق السفينة رحمة من الله لأصحابها لأنها بهذا الخرق سلمت من المصادرة، ولو لم تخرق لصادرها الملك.

وقتل الغلام رحمة من الله لوالديه، حيث سيعوضهما الله خيراً منه، ولو لم يقتل لأرهقهما طغياناً وكفراً.

وبناء الجدار رحمة من الله، لأنه به يحفظ كنز الغلامين اليتيمين في المدينة، ولو لم يبن الجدار، لانكشف الكنز وسلبه البخلاء في القرية.

والمهم أن هذه الرحمة الربانية في التصرفات الثلاثة، قد لاتكون مفهومة عند المراقبين، الذين ينظرون للفعل من الظاهر، بل قد يبدو التصرف الذي يحققها مستنكراً لأول وهلة، كما أنكر سيدنا موسى على الخضر - عليهما السلام - تصرفاته، وهذا يعني أن الرحمة قد تكون صورة عكس ما يراها الناس، وعكس ما يتوقعونها، وبهذه المناسبة نقرر أن كل أفعال الله بالمؤمن هي رحمة منه له، إن الله يرحم المؤمن عندما يمنحه النعمة، كما أنه يرحمه عندما يبتليه بالنقمة، فالمؤمن مرحوم في السراء، ومرحوم في الضراء، ومرحوم في كل ما يصيبه من قدر الله، على شرط أن يعرف هذه الحقيقة، وأن يلحظ

الرحمة الربانية الغامرة في كل ما يصيبه.

وفي موضوع الخضر عليه السلام كانت الرحمة الأولى ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ من باب التعريف به، بينما كانت الرحمة الثانية ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ من باب التعليل لأعماله، أو قل: الرحمة الثانية عبارة عن تفسير عملي وتطبيق واقعي ومظهر خارجي للرحمة الأولى[1].

المفهوم الثالث والعشرون : المؤمن عميق النظرة صادق التحليل صائب التقويم.

في قول الخضر لسيدنا موسى عليهما السلام ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ بيان منه أن ما فعله لم يكن من تلقاء نفسه، ولا من رأيه وهواه، ولا من اختياره واجتهاده، بل إنها بأمر الله عز وجل وبتوجيهه سبحانه وتعالى. (ويمكننا أن نقرن بين قول الخضر عليه السلام ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾، وبين قوله: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ فكانت هذه التصرفات الثلاثة مظهراً خارجياً لعلم الله اللدني الذي علمه له.

فَمِنْ صُوَر علم الله له، أنه عرّفه بحقيقة ما يراه أمامه من أحداث، وتلك الحقيقة تخالف الصورة الظاهرية لها، وفيها تكمن المصلحة.

وكأن تصرفات الخضر تدعونا إلى أن نُعَدِّلَ نظرتنا إلى ما نراه أمامنا من مظاهر وأشكال، وأحداث وتصرفات، فبعضنا تكون نظرته قصيرة قاصرة، لاترى إلا ما برز من تلك الأحداث، وتعتبرها هي كل شيء فيها، إننا مطالبون

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن (٢/٢٢٨، ٢٢٩).

أن تكون نظرتنا لتلك الأحداث أعمق وأنفذ وأدق، وأن لاتخدعنا الصورة الظاهرية عن محاولة الوصول لِكُنْه الشيء وحقيقته، فكثيرة هي المظاهر الخادعة، وكثيراً ما يغشاها تزوير وزخرف وتمويه، وكثيرون يُخْدَعون بها، لكن المؤمن عميق النظرة، صادق التحليل، صائب التقويم[1].

المفهوم الرابع والعشرون : غرس المفاهيم التربوية عن طريق العمل أبلغ من إلقائها عن طريق القول :

نأخذ من هذه القصة أن العمل علم يجب الحرص عليه، فهذه الرحلة المباركة في طلب العلم لم يجلس فيها العبد الصالح مجلس وعظ ولا خطابة، ولا محاضرا لموسى عليه السلام، ولم يُمْلِ عليه الفوائد والمسائل والدروس والعبر والعظات، بل إن العلم الذي تلقاه موسى عليه السلام إنما بالمرافقة والملازمة والمصاحبة، فليس العلم هو الكلام فقط، بل تلقّى موسى عليه السلام علم العمل، وهذا العلم هو الذي نفتقده اليوم، فما أكثر الدروس والمحاضرات والخطب والمواعظ والمؤثرات الوقتية، وما أقل العمل، فخلاصة هذه الرحلة التركيز على علم العمل، والاستفادة من لحظات الحياة، والاستمساك بأمر الله ووحيه، وتنفيذ أمره، وكما قيل: لفعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل.

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن (٢/ ٢٣٠).

ثبت المراجع

- القرآن الكريم
- آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم: دكتور فاروق حمادة. الطبعة الأولى. دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- إتحاف الأحباب: بقصص سورة الكهف وعبر أولى الألباب، د. جمال مصطفى النجار، الطبعة الأولى، الناشر مطبعة الحسين الإسلامية، مصر (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الطبعة الثانية، دمشق، دار الفكر.
- الأحاديث المختارة للمقدسي.
- أحكام القرآن: أبو بكر الرازي الجصاص، بيروت، دار الكتاب العربي.
- إرشاد الساري: في شرح أحاديث البخاري، أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني (د. ت).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. محمد بن محمد العمادي أبوالسعود، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت)
- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: محمد بن السيد درويش، المعروف بالحوت البيروتي، (١٣٥٥هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (د. ت).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).
- الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية:

محمد بن قاسم النويري الإسكندراني، تحقيق إيثين كومب، عزيز سوريال عطية، حيد أباد الركن، مجلس دائرة المعارف العثماني (١٣٨٩هـ).
- الإيمان والحياة: الدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).
- البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- البداية والنهاية: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- تحذير الخواص: من أكاذيب القصاص، للحافظ السيوطي.
- تحفة الأحوذي: بشرح جامع الترمذي المباركفوري، أبو العلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الفكر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، والطبعة الأولى، الأردن، بيت الأفكار الدولية.
- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. تونس، الدار التونسية للنشر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب (١٩٨٤م).
- تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله ناصح علوان، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار السلام (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- ترتيب المدارك: للقاضي عياض.
- الترغيب والترهيب: عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، تحقيق مصطفى عمارة، الطبعة الثانية، بيروت، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ومؤسسة

علوم القرآن (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- تفسير ابن عطية، المسمى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) أبومحمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، الطبعة الأولى، قطر، مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية (١٤١٢هـ-١٩٩١م). والمغرب، فاس، تحقيق المجلس العلمي.
- تفسير الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي عبدالرحمن ابن محمد بن مخلوف (٤مج)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، تحقيق أبو محمد الفماري الإدريسي الحسني، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة أولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي الشهير، ط ثانية، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م).
- تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير القرشي. الطبعة الثانية، بيروت، دار صادر (١٣٨٩هـ-١٩٧٠م).
- تفسير النسفي: عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- تفسير الوسيط: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق دكتور أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل وآخرون، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي

اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط أولى، سوريا، دمشق، دار القلم (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- تهذيب الأسماء واللغات: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، مكة المكرمة، دار الباز للنشر والتوزيع (د. ت).
- تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، الرياض، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (١٤٠٤هـ).
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار المعرفة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (١٩٦٥م-١٩٩٦م).
- الحوار في القرآن: محمد حسين فضل الله قواعده أساليبه معطياته، الطبعة الثالثة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- الخضر بين الواقع والتهويل: محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الثانية، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي: الطبعة الثامنة، مصر، مطبعة حسان (د. ت).
- الرسالة القشيرية في علم التصوف: أبو القاسم عبدالكريم بن هوزان القشيري، بيروت، دار الكتاب العربي.

- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، الطبعة الرابعة، مصر، إدارة الطباعة المنيرية (د. ت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- رياض الصالحين للنووي.
- زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، الطبعة الثالثة، دمشق وبيروت، المكتب الإسلامي (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- زاد المعاد في هدى خير العباد: محمد بن أبي بكر الزرعي بن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر، نشر إحياء السنة النبوية (د. ت).
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني. إعداد وتعليق: عزت عبيد عبدالحميد، وعادل السيد، طبعة أولى، سوريا ولبنان، دار الحديث (١٣٨٨هـ-١٩٦٩م).
- سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطية عوض، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- سنن الدارمي: أبو عبدالله بن بهرام الدارمي، القاهرة، دار الفكر (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الأولى، الهند، حيد آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، وبيروت، طبع دار المعرفة (د. ت).
- سنن النسائي: أبو عبدالله أحمد بن شعيب بن علي بن يحيى بن سنان بن دينار النسائي، طبعة أولى، بيروت، دار البشائر الإسلامية، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).
- السيرة النبوية: ابن هشام عبدالملك (٢١٨هـ) مختصر سيرة ابن إسحاق، تحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد، ط دار الفكر.
- شرح العروس على شرح الشيخ الأنصاري للرسالة القشيرية.
- صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، القسم المطبوع بتحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط المكتب الإسلامي.
- الصحيح: (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، طبعة أولى، بيروت مؤسسة الرسالة (د. ت).
- صحيح البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الطبعة الرابعة، بيروت، عالم الكتب (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، وط (١) دار الفكر (١٤١١هـ-١٩٩١م).
- صحيح القصص في العقيدة والمنهج لأبي عبدالأعلى خالد محمد بن عثمان (د. ت).
- صحيح مسلم: بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، تحقيق وإشراف: عبدالله أحمد أبو زينة، القاهرة، كتاب الشعب، (د. ت).
- الفتاوى الحديثية: ابن حجر الهيثمي، بيروت، دار المعرفة.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، تحقيق محب الدين الخطيب، مصر، دار الريان للتراث (١٤٠٧هـ) والطبعة الرابعة، القاهرة، المكتبة السلفية (١٤٠٨هـ)، بيروت، دار المعرفة (د. ت).
- فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الفكر، ودار الكتب العلمية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- الفتوحات الإلهية بتوضيح الجلالين (تفسير الجمل): سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- عمدة الحفاظ: في تفسير أشرف الألفاظ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبدالدايم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط أولى، لبنان، طبع دار الكتب العلمية (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري شمس الدين، عني بنشره براجشر اسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- في ظلال القرآن: الأستاذ سيد قطب، ط (٧)، بيروت، دار الشروق (١٣٩١هـ-١٩٧١م).
- قبس من نور القرآن الكريم من سورة الروم إلى آخر سورة فاطر، دراسة تحليلية موسعة لأهداف ومقاصد السور الكريمة: الشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
- القاموس القويم: للقرآن الكريم للأستاذ إبراهيم أحمد عبدالفتاح الصادر

من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ط الهيئة العامة لمطابع الشئون الأميرية بمصر سنة (١٤٠٤هـ-١٩٨٣م).
- القصص القرآني: محمد جاد المولى وآخرون، بيروت، دار الفكر (د. ت).
- القصص القرآني تفسير اجتماعي، الدكتور راشد الراوي، ط (١)، مصر، دار النهضة العربية (١٩٧٨م).
- الكبائر للذهبي.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جارالله، محمود الزمخشري، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مصر، طبع مصطفى الحلبي (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، الطبعة الأولى، بيروت، دار المعرفة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م (طبعة في مجلد واحد فقط).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي (١٤٠٧هـ).
- المجموع شرح المهذب: يحيى بن شرف النووي، القاهرة، مطبعة التضامن الأخوي.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجوي، وساعده ابنه محمد، الرياض، دار الإفتاء، تصوير من الطبعة الأولى (٣٩٨هـ).
- محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي،

القاهرة، مطبعة الحلبي، (د. ت) والطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
- مختصر منهاج القاصدين: ابن قدامة المقدسي أحمد بن عبدالرحمن، تعليق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، دمشق، مكتبة دار البيان، بيروت، دمشق، مؤسسة علوم القرآن (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
- المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت).
- مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، طبعة دمشق، طبعة ثانية (١٤١٠هـ).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار المكتب الإسلامي (د. ت).
- مسند الإمام الشافعي: بيروت، دار الكتب العلمية (١٤٠٠هـ).
- مصباح الزجاجة للبوصيري.
- المصنّف في الأحاديث والآثار: لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الفكر، (١٩٨٣م)، ومصر مطبعة التقدم (١٣٤٩هـ).
- مع قصص السابقين في القرآن الكريم دراسات في الإيمان والدعوة والجهاد، د. صلاح الخالدي، الجزء الأول والثاني والثالث، ط (٢)، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن محمد الطبراني، تحقيق الشيخ السلفي، ط (١)، الرياض، دار الوطن للنشر، (د. ت)، والعراق، وزارة الأوقاف وإحياء التراث الإسلامي، مطبعة الوطن العربي.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، وضعه مجموعة من المستشرقين، ونشره أي ونسنك، إستانبول، تركيا، المكتبة الإسلامية، وليدن، مطبعة بريل (١٩٦٥م).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- المعجم الوسيط: القاهرة، مجمع اللغة العربية.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين، الفخر الرازي، ط (٣)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي: الطبعة الثانية، بيروت، خانجي وحمدان.
- من وصايا القرآن الكريم البر بالوالدين في الحياة وبعد الممات: د/ أحمد عبدالغني الجمل، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.
- موسوعة الأسرة الصادرة عن اللجنة الإستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
- الموطأ: الإمام مالك بن أنس، صححه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، طبع القاهرة، كتاب الشعب، (ت ١٧٩هـ)، نشر دار إحياء الكتب العربية بمصر.

- نظرات في أحسن القصص: د. محمد السيد الوكيل، ط (١)، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- الوابل الصيب في الكلم الطيب لابن قيم الجوزية.

القارىء الكريم

عرضنا لقرائنا الأعزاء في الجزء الأول والثاني - بحمد الله - جانباً كبيراً من المفاهيم التربوية والأسرية المستخلصة من قصص ثلة من الأنبياء الكرام - عليهم السلام - ونتوج هذا الجزء بالمفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا زكريا، وسيدنا يحيي، وسيدنا عيسى وأمه مريم - عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وإتماماً للفائدة ألحقنا بهذه الكوكبة المباركة شخصيتين كان لهما أثر عظيم في الأحداث الاجتماعية والأسرية، أما الشخصية الأولى فهي لقمان الحكيم مع ابنه الذي خلد قصته القرآن الكريم من خلال سورة سميت باسمه، ومن خلال المواعظ البليغةوالحكم الراقية التي كان يسوس بها ابنه، فهي نبراس لكل غلام ينشد أبواه تربيته على أعلى الفضائل وأنبل الأخلاق.

وأما الشخصية الثانية فهي الخضر عليه السلام الذي رحل إليه نبي من أولي العزم هو سيدنا موسى عليه السلام لينهل من علمه ويسترشد بهديه، فرجع بثلاث مسائل كلن لها بعد اجتماعي كبير في كيفية علاج الخلل والوصول إلى الهدف والتخلص من أثر الظلم بهدوء و حكمة.

والهدف من دراسة قصص هذه الكوكبة المباركة هو استخلاص المفاهيم التربوية والأسرية التي تكون نماذج في حياتنا نستطيع من خلالها تكوين أسر مسلمة مؤسسة على عقيدة الإسلام، وعلى التواد والتراحم والإخلاص، وغرس المفاهيم الدينية الأصيلة في نفوس أفرادها المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.